الجمهـــوريـــة الجـزائـريـة الديـــمقراطيـة الشـعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة الـتـعـلـيـــم الـعـالـــي و الـبـحـث الـعـلـمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جامعة وهران
Université d'Oran
كلـيـة الآدب و اللغـات و الفنـون
Faculté des lettres, des langues et des arts

قسم اللغة العربية وآدابها

رسـالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية موسومة بـ:

الروابـط الحجـاجيـة في شعـر أبي الطّيـب المتنبـي "مقاربـة تداوليـة"

إعـداد الطـالبـة:
خديـجة بوخـشرة

إشـراف الدكـتور:
أ- د عبد الحليم بن عيسى

أعضاء لجنة المناقشة:

- د/ محمد ملياني..... رئيساً
- د/ بن عيسى عبد الحليم .. مشرفاً و مقرراً
- د/ التيجاني الزاوي..... عضواً
- د/ لزعر مختار ..... عضوا

السنة الجامعية: 2009-2010

﴿ رَبِّ اِشْرَحْ لِيْ صَدْرِي ٢٥ وَيَسِّرْ لِيْ أَمْرِي ٢٦ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِسَانِي ٢٧
يَفْقَهُوا قَوْلِي ٢٨ ﴾

سورة "طه"

مقدمــة:

ركزت الأبحاث اللغوية منذ القدم على أغراض اللغة ؛ لأنّ كل متكلم يرمي إلى تحقيق مقصدية معينة في خطابه. والتداولية هي التي تسعى إلى الكشف عن آليات وكيفيات "تحقيق المقاصد". ومن بين هذه المقاصد التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها "الإقناع" ، كما أنه وظيفة من وظائف اللغة بالإضافة إلى الوظيفة التأثيرية والإمتاعية، والجمالية وغيرها.

وغاية الإقناع هي التأثير على الغير، وجعل المتلقي يذعن لرأي المتكلم ويقبل به إما قولا أو عملا، وهذه العملية التأثيرية تدعى الحجاج.

كل خطاب يرمي إلى تحقيق غاية معينة، ويسعى إلى التأثير على الغير ، والشاعر بدوره قد يبتغي إقناع مخاطبه بأفكاره؛ حيث يحثه على القيم الفاضلة ومكارم الأ خلاق كالكرم والنبل والإقدام، ويردعه عن النقائص، ولكي يحقق الشاعر هذه المقاصد ، فإنه يقدم حججا لذلك، ومن هنا فإنّ الخطاب الشعري يؤدي وظيفة إقناعية حجاجية؛ فهو يؤثر في المتلقي بالصورة الجمالية واللغة والإيقاع، وفيه مزج بين الإقناع والإمتاع.

حاولنا في هذا البحث دراسة الحجاج التداولي، الذي يركز على البنية اللغوية ذاتها، وإبراز فعاليته في دراسة الخطاب الشعري، وسعيا منّا للخروج عن التجريد، استعرنا بشعر المتنبي من أجل التطبيق ؛ وقمنا باستخراج الروابط والأدوات الحجاجية من شعره ؛ ليكون بذلك عنوان بحثنا:**"الروابط الحجاجية في شعر أبي الطيب المتنبي"مقاربة تداولية".**

أسباب اختيار الموضوع:

1-الأسباب الذاتية : قمنا ببحث موسوم بـ (قراءة قي قصيدة "أنا الكون " لـ "حلا م الجيلالي"مقاربة تداولية) وفي أثناء در استنا لفت انتباهنا موضوع الحجاج ، ورأينا أنه يمكن تطبيق هذه الدراسة على الخطاب الشعري، وبالخصوص المقاربة اللسانية لـ "ديكرو Ducrot الذي رأى أنه يمكن استخراج الحجاج من البنية اللغوية ذاتها.

وإن الدافع الرئيس للبحث في هذا الموضوع هو محاولة البحث عن الشيء الجديد الذي ستضيفه التداولية إلى الدراسات البلاغية في المجال الأدبي، أو بعبارة أخرى إذا كان التحليل الأدبي للنصوص يراعي شروطا معينة وهي(المتكلم والمخاطب والزمان والمكان والمناسبة) وهذه الشروط ذاتها تعنى بها التداولية وتوليها أهمية بالغة في دراسة الخطاب، فما هو الأمر الذي أغفلته تلك الدراسات وتناولته التداولية وسلطت عليه الأضواء؟

2-**الأسباب الموضوعية :** تعددت الأسباب التي جعلتنا نطرق باب هذا الموضوع بالبحث والدراسة من بينها:

- تلبية لمشروع اللسانيات التداولية ، ومحاولة الكشف عن هذه الظاهرة التداولية-الحجاجية- ونظرا لجدّة هذا الموضوع وحداثته، ولأننا لاحظنا أنّ التداولية اهتمت باللغة العادية، وربما كان هذا من المآخذ التي سجلت عليها، فمعظم الأمثلة المبثوثة في كتب التداولية من اللغة المستعملة العادية، لذلك حاولت تطبيق المنهج الحجاجي التداولي على عمل إبداعي (شعر المتنبي).

- قلة التطبيقات التداولية التي تهتم بالأعمال الأدبية مثل الشعر؛ بل إن معظم النظريات التداولية تمحورت حول مفهوم الخطاب العادي، وربما يرجع ذلك إلى الاختلاف الموجود بين اللغة العادية واللغة الشعرية، فإذا كان هدف اللغة العادية بالدرجة الأولى الإفهام والإخبار، فإنّ اللغة الشعرية تمتلك قوة خاصة، بتكثيفها للمعاني المجازية ، واحتمالها لأكثر من تأويل، وتجاوزها للزمان والمكان، وهذا لا يمنع من تقارب الدراسات بين اللغة العادية واللغة الإبداعية، فاللغة العادية في بعض الأحيان تتجاوز عاديتها وتبدع وتتجاوز المعهود.

- قلة الدراسات في هذا المجال، كما أن المدونة المختارة تحتاج إلى دراسة من هذا النوع؛ فشعر المتنبي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس؛ فدُرس من جوانب مختلفة من دراسات "الشرح، والنحو و النقد واللسانيات ..." درسناه من زاوية أخرى بالاعتماد على الحجاج التداولي ، ودراسة الروابط الحجاجية في شعره، وبيان درجتها الحجاجية من حيث القوة والضعف.

- والسؤال المطروح الآن لماذا اخترنا شعر المتنبي بالتحديد؟ لأنه يعد من أرقى النماذج في الشعر، ولما يمتازه من قوة الشعرية وتنوع الأغراض؛ فالشعرية حاضرة في قصائده، كما أن شعره يثير المتلقي بجمالية اللفظ والصورة والتركيب والإيقاع، وفي شعره نفس فخري بالذات في مختلف أغراض شعره؛ ففي مدحه مثلا كان يكشف عن أحقيته بالعطاء، وجدارته بالإحسان كما كان يلح على فضيلة الكرم وينوع صوره ليحرك في مخاطبه المروءة ويدفعه إلى العطاء، وفي تأثيره على ممدوحه كان يقدم حججا ليقنعه بها.

-إشكالية البحث: تتجسد إشكالية البحث في سؤال عام، وهو :ما هي الروابط الحجاجية التي اعتمدها أبو الطيب المتنبي في شعره؟ وما هي فعاليتها في التأثير؟

وتندرج تحته مجموعة من الأسئلة، التي سنحاول الإجابة عنها في هذا البحث:

1 - هل الحجاج كتصور غربي صالح لدراسة الشعر العربي؟

2 - ما مواصفات الخطاب الحجاجي في شعر المتنبي؟

3 - هل يمكن للأساليب البلاغية أن تدعم طاقة القول الحجاجية، وتثبت قدرته الإقناعية؟

4 - كيف تتجلي استراتيجية الإقناع اللغوية في شعر المتنبي؟ وكيف كان يوظف الروابط الحجاجية في خطابه الشعري؟ وما ملامح القوة والضعف في حججه؟

5 - ما دور الروابط الحجاجية في تحقيق الإقناع؟

أهداف البحث: نحاول من خلال هذا التناول كشف الغطاء عن الظاهرة التداولية الحجاجية، من أجل إبراز فعالية المنهج اللساني التداولي في دراسة الخطاب الشعري، و ركّزت البحث عن أنواع الحجج التي اعتمدها المتنبي واستراتيجية الإقناع في شعره بدراسة الروابط الحجاجية التي وظفها، بالاعتماد على النظرية التداولية الحجاجية، لتكون عونا لنا في الكشف عن أسرار الظاهرة الأدبية، كما أفدنا من علوم العربيّ باستثمار الوسائل البلاغية والدراسات النحوية في ذلك.

خطة البحث: وضعنا في بداية بحثنا **مدخلا** يضم أهم المفاهيم حول التداولية والحجاج؛ حتى يستأنس القارئ بمضمون البحث ومصطلحاته، ومنها مفهوم التداولية ودرجاتها الثلاثة وأبرز المصطلحات التداولية منها متضمنات القول، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية، ومفهوم الحجاج التداولي والرابط الحجاجي.

وعنوان **الفصل الأول** "بنية الحجاج وتقنياته في شعر المتنبي "، حاولنا من خلاله إثبات إمكانية الحديث عن الحجاج في الشعر ؛ حتى تتحقق مشروعية هذا البحث، ثم تحدثنا عن أساليب الإقناع البلاغية والإنشائية وعن إمكانية دعم هذه الأساليب للقوة الحجاجية للقول ، ثم تحدثنا عن تقنيات الحجاج في شعر المتنبي منها الحجج شبه المنطقية ، والحجج المؤسسة لبنية الواقع، والحجج المبنينة للواقع، ووضحنا كل نمط حجاجي على حدة بالشرح والتمثيل من شعر المتنبي.

أما **الفصل الثاني** فكان حول "استراتيجية الإقناع اللغوية في شعر الم تنبي"، حيث تناولناها على مستويين: مستوى أفقي درسنا من خلاله العناصر اللغوية الحجاجية في شعر المتنبي من روابط للوصل والفصل وألفاظ التعليل وغيرها، ومستوى عمودي قمنا بدراسة السلم الحجاجي في شعر المتنبي، قوانينه ووسائله من روابط وعوامل حجاجية.

وتشكلت **خاتمة** البحث من مجموعة من النقاط تمثلت في أهم النتائج التي توصلنا إليها.

المنهج المتبع: اعتمدنا في موضوعنا المنهج وصفي تحليلي، وهذا ما تتطلبه طبيعة الموضوع باعتبار أن الوصف يتوافق مع الدراسة اللغوية، وسنقوم بتحليل شعر المتنبي تحليلا تداوليا باحثين فيه عن أهم الروابط الحجاجية المعتمدة . وتجدر الإشارة ههنا إلى أن عملنا هذا ليس تحليلا نقديا للشعر؛ بل هو محاولة للفهم الأوضح والجلي للحجاج التداولي، وتطبيقه على الخطاب الشعري عند أبي الطيب المتنبي، وذلك عن طر يق دراسة الروابط الحجاجية في شعره، وتحاول دراستنا هذه التكامل بين الدراسة اللغوية والدراسة الأدبية، كما أنّ إفادتنا من كتب القدامى كانت من زاوية أخرى تُعنى برصد القوة الحجاجية الكامنة في شعر المتنبي.

أما فيما يخص **المرجعية المعرفية** الأساسية التي غذت البحث، فقد استعنا بالكتب التي درست الحجاج بكثرة، منها كتاب"الحجاج في الشعر العربي القديم لسامية الدريدي "، وكتاب "بلاغة الحجاج في الشعر العربي، شعر ابن الرومي نموذجا " لإبراهيم عبد المنعم إبراهيم، وكتاب "الاستعارة" لـ"محمد الولي " خاصة في الفصل الأول ؛ حيث أعانتنا هذه الكتب على دراسة أنواع الحجج وتقنيات الحجاج، وفي إثبات إمكانية الحديث عن الحجاج في الشعر ، كما أفدنا من كتاب "استراتيجيات الخطاب" لعبد الهادي بن ظافر الشهري، إلى جانب مقالتي أبي بكر العزاوي "الحجاج في الشعر، والحجاج في اللغة "، واعتمدنا بطبيعة الحال على ديوان المتنبي من أجل التطبيق، وشروح الديوان منها" شرح الواحدي، والعرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب لناصيف اليازجي، وغيرها؛ حيث كانت لنا عونا في شرح الأمثلة ، دون أن ننسى كتب القدامى في النحو والبلاغة التي أفدنا منها أثناء دراستنا للروابط الحجاجية منها : "حروف المعاني للزجاجي، و"الجنى الداني في حروف المعاني " للمرادي، والنحو الوافي لـ"عباس حسن"، وكتابي "عبد القاهر الجرجاني" الدلائل والأسرار.

ومن ا**لصعوبات** التي واجهتنا في هذا البحث : اتساع المدونة، وقد حاولنا تذليل هذه الصعوبة؛ فاعتمدنا على انتقاء الأمثلة التي تخدم البحث، تفاديا للتكرار وتوخيا للدقة في الطرح، وأردنا أن يتسم بحثنا بالتطبيقية من بدايته؛ لذلك اعتمدنا على وضع الأمثلة من شعر المتنبي في شرح مفاهيم البحث. وتعد ترجمة المصطلحات من الصعوبات التي تواجه الباحث في الدراسات اللسانية الحديثة، خاصة مشكلة تعدد المصطلحات لترجمة مصطلح واحد.

لقد بذلنا كلّ ما في وسعنا لإخراج هذا البحث في صورته النهائية، ولم نّخر جهدا في ذلك، ولا ندعي أننا قد اتخذنا طريقا أخرى في البحث، أو أننا أتينا بالشيء الجديد؛ وتوسعنا فيه أكثر من غيرنا، فقد تكون في هذا البحث نقائص لم نلتفت إليها؛ فقلما يرى المرء عيوبه، و لكل باحث هفوات وأخطاء، الأمر الذي يدفعنا إلى الاعتذار مسبقا عما قد يكون فيها من نقص أو تقصير.

نقدم شكرنا الجزيل اعترافا بأفضال وجهود أستاذنا الكريم الدكتور "عبد الحليم بن عيسى " الذي تابع مراحل هذا البحث، حتى انتظم على هذه الصورة، كما نشكر كل من مدّ لنا يد العون. ونسأل الله أن يوفقنا بأعمال من سبقونا ويرشدنا إلى نقل الرسالة لمن تبعونا، وفوق كل ذي علم عليم، والحمد لله رب العالمين.

وهران في:2010/01/25

خديجة بوخشة

مدخـــــــــل : **مفاهيم حول التداولية والحجاج**

أولاً- مفهوم التداولية:

1- الدرجات الثلاثة للتداولية.

2- أبرز مصطلحات التداولية.

2-1 متضمنات القول.

2-2 الاستلزام الحواري.

2-3 الأفعال الكلامية.

ثانيا- في مفهوم الحجاج:

1- الحجاج والبلاغة الجديدة.

2- الحجاج التداولي.

3- مفهوم الرابط الحجاجي.

مدخل: ـــــــــــــــــ مفاهيم حول التداولية والحجاج

لم ينحصر الاهتمام بالحجاج في اللسانيات التداولية فحسب ؛ بل تناولته ميادين معرفية أخرى؛ كالمنطق والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، بيد أنّنا نركز في دراستنا على الطرح التداولي للحجاج.

وما يلاحظ على النظرية الحجاجية هو أنّها ما زالت مستمرة في التأسس والتشكل لذلك يصعب علينا- في الحقيقة- الإلمام بها بشكل كامل.

تهتم بحوث الحجاج بتقنيات إجراء اللغة؛ التي تسهم في إقناع المتلقي و التأثير عليه عن طريق تنويع الخطاب ومراعاة مقامه، لكن يتعيّن علينا في البداية توضيح بعض المفاهيم التي تعدّ حجر الأساس في آليات هذا البحث من أجل فـهم بعض المصطلحات التي سنتداولها بدءً بمفهوم التداولية ودرجاتها الثلاثة وأبرز مفاهيمها، لنخلص بذلك إلى الحديث عن الحجاج لنهيّأ لبحثنا أرضيةً نظرية صلبةً ننطلق منها إلى التطبيق.

أولاً- مفهوم التداولية:Pragmatique "[1]

شهدت الدراسات اللسانية تحولات جذرية في الحقل المفاهيمي ، فبينما اهتم اللسانيون بالبنى اللغوية من حيث التركيب والدلالة، ظهر مصطلح جديد يحيل إلى رؤية خاصة للغة، إنّه مصطلح **"التداولية"**، يقول "طه عبد الرحمن": «وقد وقع اختيارنا منذ 1970على مصطلح "التداوليات "[2] مقابلا للمصطلح "براغماتيقا "،لأنّه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالته على معنيين"الاستعمال"و"التفاعل"معا»[3] ، ويحيل هذا المصطلح إلى كل ما هو مادي ومحسوس مطابق للحقيقة، غير أنّ هذا المصطلح ما زال Pragmatique يشوبه بعض الغموض، لذا ينبغي توضيحه أكثر لتبيين مجالاته؛ فهناك ترجمات أخرى لمصطلح مثل البراغماتية والنفعية والذرائعية،و«يعود أصل تسمية" البراغماتية"-أو الذرائعية الجديدة- إلى منظري السيمياء مثل

---

[1] ظهر مصطلح Pragmatique من الأصل اليوناني Pragma الذي يعني العمل action ومنه اشتقت الصفة اليونانية Pragmatikos الذي يحيل على كل ما يتعلق بمعاني العمل... ابتداءً من القرن السابع عشر ميلادي انتقل الاستعمال إلى الميدان العلمي فصارت Pragmatique تعني كل بحث أو اكتشاف من شأنه أن يفضي إلى تطبيقات ذات ثمار عَمَلية » ينظر: الطاهر لوصيف :التداولية اللسانية، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد17جانفي 2006، ص6.

[2] مصطلح تداوليات- الذي أطلقه طه عبد الرحمن- إلى مصطلح شامل لذا اخترنا مصطلح التداولية لربطه ب المجال اللساني فقط. لأنّ هناك "تداوليات متعددة: تداولية البلاغيين الجدد ...تداولية اللسانيين، وتداولية المناطقة والفلاسفة "، حفناوي بعلي : التداولية... البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والأدب، العدد17، جانفي 2006، ص50.

[3] طه عبد الرحمن : في أصول الح وار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية2000،ص28.

تشارلز موريس، وتشالرلس ساندرز بيرس، وجون ديوي على وجه الخصوص . وتختلف دلالتها حسب الحقل الذي نبعت منه:كالفلسفة واللسانيات، والاتصال...»[1].

انتقل البحث اللساني من الدراسة التي تخلص للنظ ام اللساني "langue"- من **"دي سوسير"** Saussure إلى **"تشومسكي"** Chomsky-إلى دراسة لسانية تركز على التوجه الاتصالي والوظيفي بالبحث في الكلام Parole والاستعمال اللغوي؛ فـ«الجوانب التداولية للغة تتعلق بخصائص استعمالها للحوافز النفسية للمتكلمين، ردود فعل المخاطبين، النوع المجتمعي للخطاب، موضوع الخطاب ... الخ بالمقابل للجانب النحوي الخواص الشكلية للأبنية اللسانية والدلالية والعلاقة بين الكيانات اللسانية والعالم»[2].

فإذا كان علم التراكيب يهتم بعلاقة الأدلة فيما بينها، وكان علم الدلالة يعالج علاقة الأدلة بالواقع؛ فإنّ مصطلح التداولية تعددت تعريفاته وإن كانت جميعها تصب في دراسة اللغة في الاستعمال.

وأقدم تعريف للتداولية جاء به **"تشارلز موريس"** C. Mouris " سنة 1938 وهي في نظره «تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليها »[3] ، غير أنّه تعريف يشتمل اللسانيات والسيميائيات على حد السواء، كما أنّه يتجاوز المجال الإنساني إلى الحيواني والآلي.

أما **"جاك موشلار"** Jaque Moeschler **وآن ربول** Anne Reboul فقد ربطا مفهوم التداولية بالمجال اللساني، ففي القاموس الموسوعي للتداولية تُعرّف بأنّها «دراسة الاستعمال اللغوي المقابلة لدراسة النظام اللساني الذي يعد من اهتمام اللسانيات بصفة خاصة »[4]؛ فإن كانت الدراسات السابقة قد قسمت اللغة إلى لسان وكلام Langue et Parole واهتمت بدراسة اللسان لتوخي العلمية والموضوعية، فأقصت بذلك الكلام من دراستها لكونه فردي ا ويصعب التحكم في آلياته، فإنّ التداولية اهتمت بدراسة الكلام أو الاستعمال اللغوي ، غير أنّ «عملية

---

[1] حفناوي بعلي: التداولية...البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 17جانفي 2006، ص59.

[2] Jean Dubois et des autres, Dictionnaire de linguistique, Libraire Larousse, Parie1973, p.388

[3] فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي،1986،ص 8.

[4] Jaque Moeschler- Anne Reboul: Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, Edition Seuil 1994, P.17.

توجيه التحليل نحو الكلام ليس مجرد دراسة لـ "الكلام" بالمصطلح السوسيري ، ولكنها في الحقيقة دراسة للغة في كليتها بما فيها الكلام»[1]، فهي دراسة تشمل اللغة من مختلف جوانبها.

يربط **"منقونو"**Maigueneau الدراسة التداولية بالسياق ؛ فهو يرى أنّ «المكون التداولي يعالج وصف الملفوظات في سياقاتها»[2] حيث تسعى التداولية إلى تحديد قصد المتكلم من خلال سياق محدد .

ومن خلال تحديد السياق يمكن استخراج متض منات القول، فالتداولية تدرس «الطريقة التي يستخرج بها المخاطب مقترحات ضمنية من خلال ما يقال له داخل سياق مفرد، وخاصة عندما تكون العبارة مخصصة لإطلاق استدلال ما ... »[3]حيث يحاول **" منقونو "** Maigueneau" بهذا التعريف إبراز البعد التداولي للمعنى الضمني L'implicite من خلال دراسة العلاقة بين المعنى والسياق.

أمّا **"ماري دبير"** Marie Diller و**"فرانسوا ريكاناتي"** François Récanati فقد اقترحا تعريفا آخر وهو أنّ التداولية هي «دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة على ذلك مقدرتها الخطابية»[4] ذلك أنّ التداولية تحاول الكشف عن المقدرة الإبلاغية التي تحققها العبارة اللغوية، وتدرس بذلك دلالة اللغة في الاستعمال، وهذا ما يجمعه تعريف **"فرانسيس جاك "** F. Jacques الذي يرى أنّ «التداولية تتطرق إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معاً»[5].

تسعى التداولية إلى دراسة الاستعمال اللغوي في الاتصال اللساني وفق معطيات سياقية واجتماعية معينة، وتكمن أهميتها في كونها تهتم «بإيجاد القوانين الكلية للاستعمال والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية من ثمّ جديرة بأن تسمى علم

---

[1] فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، اللاذقية، الطبعة الثانية 2007ص55-56.

[2] دومينيك منقونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة:محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى 2005-2006، ص98.

[3] Dominique Maigueneau: Aborder la linguistique, Édition du Seuil collections Mémo, paris P.29

[4] فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش ص.8.

[5] نفسه، ص8.

الاستعمال اللغوي »[1] ، كما أنّها تبحث في «كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى المتكلم»[2] ؛ ومن هنا فإنّ مفهوم التداولية يتعدى حدود البنية اللغوية ؛ لتبحث في الأقوال والعلاقة بين المتخاطبين في سياق محدد ، فتدرس العناصر الذاتية في الخطاب كالضمائر والمبهمات الزمانية والمكانية كما تدرس التلميح والتصريح وكذلك القوانين التي تضبط الخطاب والحجاج، وتحاول التداولية إعطاء تفسيرات دقيقة حول كيفيات إنتاج القول وتفسير مقاصده وغاياته.

انطلاقا مما سبق يتضح لنا أنّ التداولية هي دراسة لسانية تحاول تفسير المقاصد الكلامية من خلال وضعية كلامية محددة مع تحديد السياق والزمان والمكان ومراتب المتخاطبين من أجل الوصول إلى العملية الذهنية التي تسهم في إنتاج القول وفهمه، وبالتالي وضع قواعد تحكم الاستعمال اللغوي، إنّها تبدأ من لحظة إنتاج الملفوظ إلى تحديد القصد وما يمكن أن ينشئه الفعل الكلامي من تأثير في المتلقي.

1-الدرجات الثلاثة للتداولية:

ترتكز التداولية في تحليل الإنتاج اللغوي على السياق Contexte، وهو«مجمل الظروف الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللساني ... وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقي والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعارف الشائعة بينهما على حد السواء»[3].

ومعظم النظريات التي انبثقت عن التداولية تركز على السياق حيث «أضحى هذا التصوّر الخطوة الأولى في تنظيم وهيكلة النظريات التداولية، وقد أفضى ذلك إلى ظهور ثلاثة

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 2005،ص15.
[2] أحمد محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية 2002. ص12.
[3] Jean Dubois et des autres: Dictionnaire de linguistique, p.120.

تيارات مختلفة ومتداخلة في الوقت نفسه تشكل النسق العام لما يسمى بنظريات التداولية... ويشير الانتقال من درجة إلى أخرى إلى التصور التدريجي من مستوى إلى آخر عند كل مستوى يؤخذ قسم من السياق بعين الاعتبار، ويثري السياق ويتعقد كلما حدث هذا الانتقال »[1] ، وهذه الدرجات هي:

1-1- تداولية الدرجة الأولى: دراسة الرموز الإشارية:

وتتعلق بالعلامات الإشارية من مثل (أنا، هنا، الآن) التي تتجلى في الأقوال وتتضح مرجعيتها في سياق الحديث، ولا تتحدد إحالات هذه الرموز إلا من خلال السياق الذي تُوظّف فيه وتتضح أكثر في إطار العلاقة بين المتخاطبين والزمان والمكان، فالضمائر و إشارات الزمان والمكان تختلف إحالتها حسب ظروف استعمالها . فم ثلا عندما يقول المتنبي [2] في قصيدته[3]:

أَنَا الَذِي نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَأَسْمَعَت كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ.

كان يقصد بالعلامة الإشارية " أنا" نفسه (أي **المتنبي**)، وتختلف إحالتها إن نطق شخص آخر بهذه العلامة في سياق آخر. يقول كذلك: [4]

أَزِلْ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِـهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِـي حُسَّـدَا.

فالعلامة الإشارية (أنت) تحيل إلى مخاطِبه ويقصد هنا "سيف الدولة".

وقد قال عندما صفّ سيف الدولة الجيش وهيّئها لمقابلة جيش الروم:[5]

---

[1] عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1 ، 2003. ص12.

[2] المتنبي: هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي، ولد في الكوفة سنة ثلاث وثلاث مئة 303 في محلة (كندة) انتقل إلى الشام وفيها نشأ وتأدب واختلف في شأن لقبه المتنبي حيث قيل لادعائه النبوة في بادية السماوة وهي أرض بجبال الكوفة مما يلي الشام ولما فشا أمره خرج لؤلؤ أمير حمص نائب الأخشيد فاعتقله ثم استتابه فأطلقه ، ويقال انه لقب بالمتنبي لتشبيه نفسه بالأنبياء في قصائده.عُرف بمدحه لسيف الدولة الحمداني أمير حلب ثم مدح كافور الإخشيدي ملك مصر إلا أنه لم ي ف بوعوده فهجاه، قتل المتنبي عند رجوعه إلى بغداد مع ابنه وغلامه سنة أربع وخمسين وثلاث مئة .354ه ينظر مصطفى سبيتي:شرح ديوان المتنبي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية 2003م-1424ه، ج1،ص3-5

[3] أبو الطيب المتنبي: الديوان، دار الجيل، بيروت ، ص332.

[4] الديوان، ص372.

[5] نفسه، ص309.

لِهَذَا الْيَـوْمِ بَعْدَ غَـدٍ أَرِيـجُ وَنَارٌ فِي الْعَدُوِّ لَهَا أَجِيـجُ.

يحتوي هذا البيت على مبهمات زمانية " اليوم " وتحيل إلى زم ان آني" يوم الحرب "، و"بعد غد" وتحيل إلى مبهمات زمانية بعدية، ويقصد بذلك أنّ هذا اليوم سيكون له بعد ذلك أخبار طيبة ونار الحرب تشتعل في العدو.

1-2-تداولية الدرجة الثانية: المعنى الحرفي والمعنى التواصلي:

وتدرس الدلالة الضمنية للقول بتجاوز المعنى الحرفين ، وفي هذا المستوى يتم توسيع مفهوم السياق«من سياق الموضعة وكشف الإحالات والمنفذين إلى السياق المتعارف عليه عند المخاطبين ك"حدس" وكما في سياق الموضعة يقع التدخل لرفع الإبهامات في الجمل كذلك ، حتى وهي لا تشتمل على إشاريات وتعبّر عن قضايا مختلفة بحسب السياق»[1] فقد يكون معنى الجملة مبهما بالرغم من عدم احتوائها على إشاريات.

تسعى تداولية الدرج ة الثانية إلى معرفة كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلميحي، والنظريات التي تتناول هذا النمط بالدراسة هي «نظرية قوانين الخطاب وأحكام أو مسلمات المحادثة –حسب التسمية– وما ينبثق عنها من ظواهر خطابية كالافتراض المسبق والأقوال المضمرة والحجاج، أمّا السياق في هذا النمط ؛ فهو مجمل المعلومات والمعتقدات التي يشترك فيها المتخاطبون »[2]. وللكشف عن مقصدية العبارة اللغوية ينبغي تجاوز المعنى الحرفي والبحث عمّا يتضمنه القول من معنى غير مباشر.

1-3-تداولية الدرجة الثالثة: نظرية الأفعال الكلامية.

وتشتمل الدراسات التي تضم نظريات الأفعال الكلامية و« تنطلق من مسلمة مفادها أنّ الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتح ول إلى أفعال ذات أبع اد اجتماعية »[3]. وتختلف هذه الأبعاد حسب الأغراض التي تحقق من الإنجاز اللغوي Performative، ويُعتَبر **"أوستين"**Austin من أوائل المؤسسين لنظرية أفعال الكلام ، وكان ذلك بفضل مجموعة من

[1] فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ص51.
[2] عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي، ص13.
[3] نفسه، ص13.

الأعمال من أهمها: "تطبيقية نظرية الأفعال اللغوية على الخطاب الأدبي عند **ويليام جيم س"**؛ فقد قدم تمييزات دقيقة لأفعال الكلام.

وقد طوّر هذه التصنيفات أكثر **"سيرل"**Searle، ومن خلال الدرجات الثلاثة للتداولية نجد أنّ هذه النظريات - في الحقيقة – متداخلة ومترابطة فيما بينها، وهذا ما سيتضح لنا أكثر من خلال المفاهيم التداولية الآتية.

2- ***أبرز مصطلحات التداولية:***

2-1-متضمنات القول: Les implicites

كثيرا ما نقصد أكثر مما نقول، بمعنى أننا نضمّن في قولنا أمورا لا نذكرها بصريح العبارة، وهذا ما يدعى بـ"متضمنات القول "Les implicites، ويتعلق هذا المفهوم بـ «رصد جملة من الظواهر المتعلقة بج وانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره»[1]، وتتشكل متضمنات القول من نمطين وهما الافتراض المسبق Présupposition والقول المضمر Les sous-entendus ، فالمتخاطبون ينطلقون من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم ؛ فالافتراض المسبق هو «الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة»[2]. ففي قول **"المتنبي":**[3]

حَنَانَيْكَ مَسْؤُولاً وَلَبَّيْكَ دَاعِيًا وَحَسْبِي مَوْهُوبًا وَحَسْبُكَ وَاهِبًا

فالشاعر يطلب العفو من المخاطب "سيف الدولة " وكلمة"لبيك" تدل على الإجابة إلى الطلب والأمر، والافتراض المسبق في هذا القول أنّ "سيف الدولة " كان معاتبا للمتنبي ؛ لذلك طلب منه العفو والعطف، وهذا المعنى كان صريحا مباشرا.

---

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب ، ص30.
[2] نفسه، ص31.
[3] الديوان، ص335.

يختلف تأويل كل قول حسب السياق الذي يرد فيه، والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها ، لذلك فإنّ **"أوركيوني"** Orecchioni تعرف القول المضمر أو الضمني بأنّه « كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث»[1] فالقول المضمر هو معنى خفي متضمن في القول يُفسّر ضمن السياق الذي وُجد فيه، وقد يكون مخالفا تماما للمعنى الحرفي، مثل قول **"المتنبي"**:[2]

فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوَ الْوَرَى.

فلم يقصد بشعره مدحا "لكافور "؛ بل كان يهجو الناس الذين يأتمرون بأمره ؛ وهذا معناه أنّ الشعر الذي مدحه به كان يتضمن أو يضمر هجاءاً لا مدحا.

وكان المتنبي يلجأ أحيانا إلى التلميح وأحيانا أخرى إلى التصريح، فحين مدح كافور قال:[3]

وفي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وفِيكَ فَطَانَةٌ سُكوتي بَيَانٌ عِنْدَها وخِطَابُ

وكلمة "بيان" تشير إلى ما يتطلع إليه المتنبي، والمتلقي" كافور" يعرف ما يقصده، فأمنيته هي الضيعة أو الولاية؛ حيث قال الشاعر في قصيدة أخرى، يصرح فيها بمبتغاه ومقصده:[4]

إِذَا لَمْ تَنُطْ بي ضَيْعَةً أَوْ وِلايَةً فَجُودُكَ يَكْسوني وشُغْلُكَ يَسْلبُ

كما استعمل التلميح ليعبر عن القصد نفسه في قوله:[5]

أَبَاَ المِسْكِ هَلْ في الكَأسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ فَإِنّي أُغَنِّي مُنْذُ حينٍ وتَشْرَبُ

2-2-الاستلزام الحواري:l'implication conversationnelle

لاحظ **"بول غرايس"** Grice أنّ الجملة قد تخرج عن معناها الحرفي إلى معنى استلزامي ؛ حيث يرى أنّ«بعض الأقوال تبلغ أكثر مما تدل عليه الكلمات التي تتشكل منها الكلمات ...فكل

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب،ص32.
[2] الديوان، ص512.
[3] نفسه ، ص481.
[4] الديوان، ص468.
[5] نفسه، والصفحة نفسها.

قول يثير جزئيا أقوالا أخرى يضمها أو يخلقها بوعي أو بدونه داخل نظام دائري، حيث الكل متماسك »[1]، لذلك تعد فكرة متضمنات القول فكرة مركزية في مبدأ الحوار، لأنّها تجعل المتخاطبين يتبعون بعض القواعد الاستلزامية أثناء التواصل.

وقد يسعى المتكلم إلى تبليغ سامعه بأمر ما على نحو غير مباشر وهو على دراية بأنّ سامعَه قادرٌ على الوصول إلى قصده، حيث ينبني الاستلزام الحواري على مبدأ عام يقضي بتعاون المتخاطبين في تحقيق الهدف من الحوار، وصيغة "مبدأ التع اون" هي «ليكن اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتجاه المرسوم للحوار الذي اشتركت فيه»[2] ، ويسهم هذا المبدأ في تسهيل التفاهم وتحقيق التأثير وإنجاز الفعل، ويجب على المتكلم «أن يراعي المخاطب في كل ما يأتي ويدّع لغويا ونفسيا واجتماعيا وثقافيا بل إنّه يس خر في ذلك ما يعين في التبليغ بالإشارة والملامح...ليجد من المخاطب نفسه م تعاونا متمثلا في الإصغاء ومحاولة الفهم »[3] ويشتمل مبدأ التعاون على أربع مسلمات فرعية [4] هي : الكم والكيف والمناسبة والطريقة:

1- **مسلمة الكم: (القدر)** Quantité اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الإخبار، لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب.

2- **مسلمة الكيف (النوعية)**Qualité لا تقل ما تعتقد انه كاذب، لا تقل ما لا تستطيع البرهنة عل صدقه.

3- **مسلمة الملاءمة**: pertinence لتكن مشاركتك ملائمة، أي مناسبة للحديث.

4- **مسلمة الجهة (الطريقة)**Modalité : تنصّ على الوضوح في الكلام، وتتفرع إلى ثلاث قواعد فرعية وهي:-ابتعد عن اللبس - تحرّ الإيجاز - تحرّ الترتيب.

---

[1] عبد السلام عسير: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب 2006، ص47.

[2] طه عبد الرحمن: أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص103.

[3] نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي ، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، سطيف الجزائر، ط 1، 2009، ص30-31.

[4] ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص33-34.

وتحصل ظاهرة الاستلزام الحواري إذا تم خرق إحدى القواعد الأربعة السابقة ، فيحاول المتلقي البحث عن المعنى الحقيقي المضمر متجاوزا المعنى الحرفي ليفهم قصد المتكلم، وهذا ما يسميه **"سيرل** "Searle" الفعل الكلامي غير المباشر، ويمكننا أن نمثل لظاهرة الاستلزام الحواري ببيتين من شعر **"المتنبي"** فحينما يقول: [1]

فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيْهِ مَكَانَهُ شُعَاعُ الحَدِيدِ البَارِقِ المُتَأَلِّقِ

وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي البِسَاطِ فَمَا دَرَى إِلَى البَحْرِ يَسْعَى أَمْ إِلَى البَدْرِ يَرْتَقِي

يعني أن رسول الروم اقترب من "سيف الدولة " ولم يعد يدري أين هو من كثرة لمعان السيوف إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي[2]، فالشاعر يمدح "سيف الدولة" أثناء انتصاره في حربه مع الروم، حيث يفهم المتلقي أنّ الشاعر لم يقصد البحر في صورته الحقيقية؛ فملك الروم لم يبعث رسوله إلى البحر بل إلى سيف الدولة (خرق قاعدة الكيف) والمعنى الضمني هنا أنّ سيف الدولة كالبحر في الكرم، وكالبدر في علوه وحسنه.

2-3-الأفعال الكلامية:Les actes de langage

قد نستعمل اللغة في كلامنا للقيام بفعل ما وللتأثير على المتلقي، هذا المفهوم وسّعه "أوستين"Austin في كتابه "How to do things with words " كيف نصنع الأشياء بالكلمات أو كما ترجم إلى الفرنسية "Quand dire c'est faire" "عندما نقول نفعل " إذ جاء بأفكار ثورية فتحت مجالا واسعا أمام المفكرين على دراسة استعمالات اللغة ، فتأسست بذلك نظرية الأفعال الكلامية، واستأنفت بعد ذلك من طرف **"سيرل"** "Searle".

2-3-1- تصنيف أوستين"Austin للأفعال الكلامية:

ترتكز نظرية **"أوستين"**Austin بالدرجة الأولى على فكرة الإنجاز، والتي مفادها أن بعض الملفوظات في حقيقتها لا تصف شيئا في العالم، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، ولكنها تؤدي أفعالا(مثل الوعد، التحذير ...) ويحكم عليها بم عيار الفشل أو النجاح

[1] الديوان، ص347.
[2] ينظر :مصطفى سبيتي، شرح الديوان،ص99-100.

في الإنجاز . قام **أوستين** "Austin" بالتمييز بين العبارات ا لإنجازية و العبارات غير الإنجازية(الوصفية) فوجد أنّ «قول شيء ما على وجه مخصوص هو إنجازه، من أمثل ة العبارات الوصفية التي تصف إحساسات أعتذر، إني متأسف ...أما العبارات الإنجازية :أدعم رأيي، أتنبأ، أتوقع...وشرط العبارات الإنجازية هو ملاءمتها للواقع(الإنجاز الحقيقي)»[1].

والجمل الوصفية لا يقصد بها أن تخبر عن أمر أو تبلغ معرفة عن حدث واقع و«يكمن القصد من الكلام في تبادل المعلومات مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته، مما ينتج عنه تغيير في وضع المتلقي والتأثير في مواقفه »[2]، لكنه لاحظ أنّ تصنيفه يفتقر إلى مقياس معياري نحوي لتمييز العبارات الإنجازية، فقسم الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أصناف هي:

- ***فعل الكلام(فعل القول***Acte locutoire***)***: هو الفعل الذي ننجزه بمجرد تلفظنا لبعض الكلمات التي لها نفس المعنى و المرجع.

-***الفعل الإنجازي(قوة فعل الكلام، الفعل المتضمن في القول***Acte Illocutoire***)***: وهو «فعل اتفاقي مبني على التواطؤ و المواضعة، إنه فعل مؤدى ومنجز طبقا للتواضع»[3] وهو الفعل الذي ننجزه بالقول (سؤال، أمر، تحذير، وعد...)

-***الفعل التأثيري(لازم فعل الكلام***Acte perlocutoire***):*** و هو الآثار المترتبة عن الفعل الإنجازي، وهو الدفع إلى العمل والوصول إلى الاقتناع بفعل شيء أو تركه، فـ «عندما نقول شيئا ما قد يترتب عليه حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره وتصرفاته»[4]. كأن أجعل مستمعي يقتنع بشيء ما، أو أجعله يخاف، أو يمتنع عن فعل شيء... وقد يكون ذلك عن قصد و نية أو عن غير قصد، كما أن الفعل الإنجازي و الفعل التأثيري يستلزمان معا الاتفاق.

---

[1] ينظر أوستين:نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات) ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق 1991 ص 100.

[2] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة ، الجزائر، ط 1، 2009 ص90.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد ، ص155.

[4] الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص156.

ويقترح **"أوستين"** Austin خمسة أقسام للأفعال الكلامية.

1 الحكميات Verdictifs: وتتمثل في الحكم نحو الت برئة، الإدانة، الفهم، إصدار أمر، الإحصاء، التوقع، التصنيف ، التشخيص، الوصف...

2- التنفيذيات *exercitifs*: وتقضي بمتابعة أعمال مثل الطرد، العزل، التسمية، الاتهام، الاستقالة، التوسل ...وتندرج التنفيذيات ضمن الصنف الأول فـهي أعمال تنفيذ أحكام ولكنها ليست في حد ذاتها حكميات.

3- الوعديات promissifs:وتسمى كذلك الإلزاميات أو أفعال التكليف لأنّها تلزم المتكلم بإنجاز فعل معين مثل" الوعد، الموافقة، التعاقد، العزم، النية...

4- السلوكياتcomportatifs*:* والهدف منها هو إبداء سلوك معين يتفاعل مع أفعال الغير ، مثل الشكر و الاعتذار وتقديم التهاني والتعازي والقسم و التحدي.

5-العرضيات :expositis : وتسمى كذلك "التفسيريات " الهدف منها الحجاج والنق اش والتبرير ، وتختـص بعرض مفاهيم منفصلة مثل التأكيد، النفي، الوصف، الإصلاح ...[1] سنحاول إدراج مثال من شعر **"المتنبي"** لهذه الأفعال الكلامية حيث يقول[2]:

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَـالنَّسِيبُ مُقَدَّمٌ أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْرًا مُتَيَّمُ.

يدخل هذا البيت في الأفعال الكلامية العرضية (التفسيرية)؛ فالشاعر يحاول أن يدحض الرأي القائل بوجوب بدءِ الشعر بمقدمة غزلية، وللتوضيح أكثر:

الفعل الكلامي في هذا البيت الاستفهام : أكل فصيح قال شعرا متيم؟ والفعل الإنجازي ه نا الإنكار، حيث ينكر الشاعر هذا الرأي.

والفعل التأثيري: دحض رأي الخصم وإقناع المتلقي بوجهة نظره، فإذا كان يقصد مدح الأمير فليس شرطا أن يبدأ القصيدة بمقدمة غزلية.

[1] ينظر فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص62.
[2] الديوان، ص،302.

ويمكن تلخيص تصنيف **أوستين"** Austin كما يلي «إنّ الفعل المتعلق بممارسة توكيد لنفوذ أو ممارسة سلطة معينة، والفعل الإزامي هو اتخاذ تعهد أو إعلان عن قصد ، والفعل السلوكي هو اتخاذ موقف، والفعل التفسيري هو توضيح مبررات وحجج ومعلومات»[1].

يبدو تصنيف **"أوستين"** Austin مفتوحا ومرنا ، لذلك حاول **"سيرل"** "Searle" اقتراح معايير أخرى لتصنيف الأفعال الكلامية.

2-3-2- *تصنيف" سيرل"* Searle" *للأفعال الكلامية*:

إن اختلاف الهدف من الفعل الكلامي هو ما جعل **"سيرل"** Searle" يعيد هذا التصنيف، فقد يكون الهدف منه هو القيام بفعل معين من جهة ، وجعل الأفعال مطابقة للعالم ، أو جعل العالم مطابقا للأفعال من جهة أخرى، كما قد يختلف الهدف من الأمر، على أنّه جعل المستمع يفعل شيئا ، والهدف من الوعد هو تعهد المتكلم بإلزام نفسه أن يفعل شيئا وهكذا، فالهدف الإنجازي من "الأمر" و"الطلب"هو ذاته، كلاهما يجعلان المستمع يقوم بفعل شيء ما، ولكن القوة الإنجازية تختلف عن ذلك.

وقد ميّز **"سيرل" "** Searle"بين أربعة أقسام من الأفعال الكلامية: فمن خلال الأمثلة الآتية:

1- "جون" يفرط في التدخين.

2- هل يفرط "جون" في التدخين؟

3- عليك أن تفرط في التدخين يا "جون".

4- الجو لا يطاق بتدخين "جون" المفرط.

فإننا نقوم بأربعة أمور:عند النطق بالعبارات الأربعة، نقوم **بفعل التلفظ(الصوتي، التركيبي)** acte d'énonciation، والملاحظ أنّ هذه العبارات تشترك في **المحتوى القضوي** acte propositionnel(التدخين المفرط لـ"جون") لكن لكل عبارة منها **فعل إنجازي** acte

[1] صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، لبنان تنوير لبنان الطبعة الأولى ، بيروت، لبنان ط1- 1993، ص224.

illocutionnaire(الإخبار، السؤال، الأمر، التمني ...) وكل عبارة تخلّف نتائجَ معينة (**الفعل التأثيري** acte perlocutionnaire) [1].

كما فرق "**سيرل** " Searle" بين "الأفعال الكلامية المباشرة " و"الأفعال الكلامية غير المباشرة"، وصنف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف وهي:

1-التأكيديات (التقريريات Assertifs***):*** هدفها «هو تعهد المرسل بدرجات متنوعة بأنّ شيئا ما هو واقعة حقيقية، وتعهده كذلك بصدق قضية ما »[2]. وتهدف إلى جعل الكلمات تطابق العالم، يقول "المتنبي":[3]

لاَ يُحْزِنُ اللهُ الأَمِيرَ فَإِنَّنِي لَآخِذٌ مِنْ حَالَتِهِ بِنَصِيب.

فللفعل الكلامي هنا تقريري عن طريق التعهد (إنني لآخذ) أداة التوكيد ولام الابتداء، والقوة الإنجازية:دعاء«أي لا أحزنه الله»[4] والفعل التأثيري: إبعاد الحزن عنه.

2- ***التوجيهيات*** Directifs**:** هدفها دفع المرسل إلى فعل شيءٍ ما، و يحاول تحقيق هذا الهدف بدرجات متفاوتة تتراوح بين اللين وذلك بالإغراء والاقتراح أو النصح، والعنف والشدة وذلك بالإصرار على فعل الشيء [5]، وتسمى كذلك (الأوامر)، وهدفها جعل العالم يطابق الكلمات، يقول **المتنبي**":[6]

أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَّدَا.

فالفعل الإنجازي هو طلب فيه لين، ويقصد بقوله أنّ خصومه يكنون له الحسد ؛ لأنّ سيف الدولة أذلهم، فيطلب منه معاملتهم بإحسان حتى يزول حسدهم.

---

[1] Voir J. R. Searle, les actes de langage (essai de philosophie du langage, collection savoir, lettre Herman, Paris, nouveau tirage, 1996, P.60-62

[2] ينظر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص123.

[3] الديوان، ص322.

[4] مصطفى سبيتي، شرح ديوان المتنبي،ج2، ص73.

[5] ينظر الشهري،استراتيجيات الخطاب، ص123.

[6] الديوان، ص372.

3- ***الالتزاميات*** Commissifs**:** هدفها التزا م المرسل بدرجات إنجاز فعل ما في المستقبل(التعهد) مبنية على شرط الإخلاص، وهنا يجب أن يطابق العالم الكلمات وهي توافق الوعديات عند **"أوستين"**Austin ، يقول **"المتنبي"**:[1]

ولَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَيَّ شَخْصًا لَخَضَّبَ شَعْرَ مِفْرَقِهِ حُسَامِي.

فالشاعر يلزم نفسه بقطع رأس الزمان (لو كان شخصا) بسيفه القاطع، والفعل الإنجازي هو الوعد.

4- ***التعبيريات*** Expressifs: والهدف منها هو «التعبيـر عـن حالـة سيكولوجية محـدّدة »[2] وشرط هذه الحالة النفسية هو عـقـد النيـّة والصدق في محتوى الخطاب، ومن أمثلتها: الاعتذار والشكر والتهنئة والنقد والقسم و« بأداء الفعل المعبر لا يحاول المتكلم أن يؤثر في العالم ليماثل الكلمات لتماثل العالم»[3]، يقول **المتنبي** مخاطبا سيف الدولة[4]:

تاللهِ مَـا عَـلِمَ امْـرُؤٌ لُؤَلاَكُمُ كَيْفَ السَّخَاءُ وكَيْفَ ضَرْبُ الهَامِ.

الفعل الإنجازي هو القسم بغاية التأكيد على أنّه ليس هناك أجود ولا أشجع من سيف الدولة، والملاحظ أنّ التعبيريات توافق إجمالا السلوكيات في تصنيف "أوستين"Austin .

5-التصريحيات Déclarations**:** وتسمى كذلك الإدلاءات هدفها جعل العالم يطابق الخطاب والخطاب يطابق العالم، مثل: أعلن، أصرح...

ويمكن تلخيص تصنيف **سيرل** Searle"كما يلي: «لو اتخذنا الهدف الغرضي بوصفه فكرة محورية نصنف بها استعمالات اللغة، لوجد إذن عدد محدود إلى حد ما لأ شياء أساسية نفعلها باللغة، نخبر الناس كيف توجد الأشياء، ونحاول التأثير عليهم ليفعلوا أشياءً، ونلزم أنفسنا بفعل أشياءٍ، ونعبر عن مشاعرنا ومواقفنا، ونحدث تغييرات بواسطة منطوقاتنا ، وفي أحوال كثيرة

---

[1] الديوان، ص51.
[2] صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد،ص234.
[3] نفسه،ص234.
[4] الديوان، ص428.

نفعل أكثر من واحد من هذه الاستعمالات بمنطوق بعينه في آن واحد »[1] ، وإنّ قدرة الشخص على فهم أفعال الكلام وإنجازها هي التي تجعله يعرف الطريقة التي تستخدم بها هذه الجمل لإطلاق الأحكام أو إلقاء الأوامر أو الوعود...أو غير ذلك.

3-3-2 **الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة**:

قد يكون الخطاب مباشرا أو تلميحيا لذلك ميّز **"سيرل** "Searle" بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، وقد وضع مقاييس لنجاح الفعل الإنجازي منها؛ غاية القول، توجيهه، وحالته السيكولوجية ...[2] وسماها شروط النجاح ، ويستند فيها إلى قوانين المحادثة لـ**"غرايس** "Grice، ثم يرى أنّ الأفعال المبا شرة ه ي:«التي يكون معناها مطابقا لما يريد المرسل أن ينجزه مطابقة تامة والدالة على قصده بنص الخطاب»[3] ومثال ذلك قول المتنبي:[4]

هَذَا عِتَابُكَ إِلاَّ أَنَّهُ مِقَّةٌ قَدْ ضُمِّنَ الدُّرَّ إِلاَّ أَنَّهُ كَلِمُ.

حيث يعبر عن حالته النفسية(تعبيريات) ويقول إنّه يعاتب سيف الدولة بمحبة، ويضمِّن في كلامه الدر، ومعناه صريح مباشر ومطابق لقصد المتكلم (العتاب).

أمّا بالنسبة للأفعال الكلامية غير المباشرة، فقد «يرمي المتكلم من خلال قوله إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي ؛ مثلما هو الشأن في التلميحيات والسخرية والاستعارة وحالات تعدد المعنى...»[5] ، ومثال ذلك قول المتنبي يهجو كافورا: [6]

أَوْلَى اللِّئَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ فِي كَلِّ لُؤْمٍ وَبَعْضُ الْعُذْرِ تَفْنِيدُ.

ومعنى هذا البيت أنّ كافور اللئيم أحق بالعذر على لؤمه، لأنّه عاجز عن المكارم، والمتكلم هنا لا يلتمس لكافور عذرا عن لؤمه ؛ «يقول أولى من عذر في لؤمه كافور لخبث أصله

---

[1] صالح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص237-238.
[2] ينظر فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ص63.
[3] الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص137.
[4] الديوان ،ص334.
[5] فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر حباشة، ص68
[6] الديوان، ص508.

وخسة قدره، ثم قال وبعض العذر تفنيد؛ أي عذري في لؤمه ه وهجاء على الحقيقة »[1]، ومن هنا يتضح الفعل الكلامي غير المباشر : أعذرك أيها اللئيم وهذا العذر في حد ذاته تقريع وسخرية منه.

يقول المتنبي:[2]

مَا لُكُلِّ مَا يَتَمَنَّاهُ الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لا تَشْتَهِي السُّفُنُ.

المعنى الحرفي أنّ الرياح تعترض سير السفن فلا تتركها تكمل مسيرها، والمعنى الضمني هو «أنّ أعدائي لا يدركون ما يتمنون؛ فإنّ الرياح لا تجري كلها على ما تريده السفن يعني أهلها»[3]، فالمعنى الضمني، أن الأعداء لا يدركون أمانيهم.

تمثل الاستعارة والأقوال المجازية فعلا كلاميا غير مباشر، ومن أجل تفسير الجملة الاستعارية ميّز **"سيرل"**Searle" بين معنى المتكلم الذي يقصده، ومعنى الجملة، وهذين المعنيين لا يتطابقان، فالمتكلم يقول شيئا ويقصد شيئا آ خرا، ولقد «حدّد "سيرل" مصطلحين أساسيين استخدمهما في معالجة هذا الجانب من مشكلة الاستعارة، وهما مصطلح (معنى منطوق المتكلم) و(معنى الجملة) ورأى أن المعنى الاستعاري هو معنى منطوق المتكلم »[4].

يقول المتنبي[5] :

وَمَنَازِلُ الحُمَّى الجُسُومِ فَقُلْ لَنَا مَا عُذْرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا أَعْيَيْتَهَا شَرَفًا فَطَالَ وُقُوفُهَا لِتَأْمَلَ الأَعْضَاءَ لا لأَذَاتِهَا

وهو يقصد كيف اجترأت الحمى على الممدوح مع هيبته، أو كيف جاز أن يقصد شيء إلى أذاه مع كرمه ونبله، وفي هذه الاستعارة المكنية فعل كلامي غير مباشر ، وذلك لأنّه يخاطب

---

[1] الواحدي: شرح ديوان المتنبي، مكتبة مشكاة الإسلامية، ص807.
[2] الديوان، ص472.
[3] الواحدي، شرح ديوان المتنبي، ص777.
[4] أحمد حسن صبره، سعد سليمان حمودة : التفكير الاستعاري والدراسات البلاغية، دار المعرفة الجامعية،ط 2، 2002، ص58.
[5] الديوان،ص187-188.

الحمى كأنّها إنسان يعقل، ويسألها عن جرأتها في إيذاء سيف الدولة ، والمعنى الحرفي :الحمى إنسان طال وقوفه ليتأمل الممدوح لا ليؤذيه ، والمعنى الاستعاري أنّ الممدوح لا يستحق هذه المعاناة من الألم والمرض؛ لأنه كريم نبيل.

ومن خلال ما سبق تتّضح لنا أهمية التداولية، فهي مشروع شاسع يهتّم بالخطاب والتواصل بشكل عام يضم: المحادثة والإنجاز والتضمين والحجاج ... ولضبط وجهة البحث بدّقة نعتمد في دراستنا للخطاب الشعري على التداولية اللسّانية «القائمة على مفاهيم المقا ربة و الإقناع فهي ؛ تداولية إبداعية تبحث في علاقة المعنى بشكل بنيته اعتمادا على شروط افتراضية للتواصّل»[1]. ونجد أن دراسة مفاهيم المقاربة للإقناع تظهر بشكل جلّي مع مفهوم من مفاهيم التداولية ألا وهو الحجاج .

ثانيا- في مفهوم الحجاج:

عرفت الدراسات المعاصرة تطورات مهمة، كان من نتائجها بروز نظرية جديدة تعرف بالنظرية الحجاجية، التي يعود الاهتمام بها إلى **"بيرلمان" و"تيتكا"** Perelman et Tyteca سنة 1958 من خلال ظهور أول "مصنف في الحجاج ،البلاغة الجديدة " وما يهمّ نا في هذه الدراسة هو الحجاج في اللغة، ولكن سنتحدّث بإيجاز عن جذور النظرية الحجاجية.

فموضوع الحجاج له جذور نعود به إلى البلاغة اليونانية؛ حيث كان **أرسطو** من «أوائل الذين أشاروا إلى ارتباط الحجاج بأطروحة معينة يدافع عنها صاحبها بأفكار قد تكون مقبولة لا أكثر، وحسب استدلال جدلي تكون نتيجة محتملة بشرط كاف »[2] . فالحجاج يكون فيما هو نسبي محتمل ولا يبحث في الأمور البديهية، يقول **"أرسطو"** «إنّ الريطورية(ويعني الخطابة) ترجع إلى الديالقطيقية(أي صناعة الجدل) وكلتاهما توجد من أجل شيء واحد (الإقناع)»[3]، وقد جعل الحجاج مشتركا بين الخطاب والجدل حيث «وذلك أن الخطابة بالمفهوم اليوناني أو Rhétorique كما ترجمها العرب القدامى هي فن الإقناع عن طريق الخطاب وأن الوظيفة

---

[1] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص234.

[2] أيوب المرين: موسوعة ويكيبيديا في قسمها العربي.?WWW.Okham.net/frum/archive/index.php

[3] أرسطو طاليس : الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت، لبنان،1979، ص3.

الإقناعية هي وظيفتها الأولى »[1]، فقد أولى أرسطو دورا هاما للبلاغة كونها وسيلة الإقناع ، وجعل الحجاج بؤرة الخطاب وربط ب ينه وبين الجد ل وأكد العلاقة بينهم ا، باعتبار أن الحجاج :«سلسلة من الأدلة تفـضي إلى نتيجة واحدة أو الطريقة التي تطرح بها الأدلة »[2]. فالحجاج الجدلي في هذا المنظور يرتكز على العقل ، ويكون بين شخصين ، يحاول كل منهما إقناع الآخر برأيه ومجموع الأدلة والحجج التي يقدمها المتكلم في حديثه للتأثير في أفكا ر السامع ومعتقداته.

ولقد اتخذ مفهوم الحجاج عند العرب معنى الجدل والخصام؛ ففي المعنى اللغوي للحجاج نجد في "لسان العرب" أنّ«الحجة: البرهان، وقيل الحجة ما دُوفع به الخصم، وقال الأزهري : الحجة وجه الظفر عند الخصومة، ورجل محجاج أي جدل والتحاج : التخاصم، وجمع الحجة : حجج وحجاج وحاجه محاجّةً وحجاجا: نازعه بالحجة، وحجّه يحجّه حجّاً :غلبه على حجّته ... والحجّة: الدليل والبرهان»[3] ، وفي معجم العين نجد المعنى نفسه فـ «الحجة: وجه الظفر عند الخصومة»[4].

كما ورد في القرآن الكريم الفعل:حاجّ و تحاجّون... مثل قوله تعالى :(...**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ**...)[5] لتدل على دخولهما- أي إبراهيم ونمرود- في جدال وخصام، وفي تفسير هذه الآية الكريمة«(**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ**)جادل(**إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**)[6] وفي تفسير "ابن كثير" «(**أَلَمْ تَرَ**) أي بقلبك يا محمد (**إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**) أي وجود الله، وذلك أنّه أنكر أن يكون ثمّ إله غيره ...وكان طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه...»[7].

---

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، أربد عمان الأردن، ط1، 1428-2008، ص17.

[2] نفسه، ص18.

[3] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى1410ه-1990م، مادة حجج، المجلد الثاني ص228.

[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، ترتيب وتحقيق : عبد الحميد هنداوي أ- خ، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأولى،2003-1424ه، باب الحاء، ، المجلد الأول، ص286.

[5] سورة البقرة، آية258.

[6] جلال الدين السيوطي وج لال الدين المحلي : تفسير الإمامين الجلالين للقرآن الكريم، حققه ونسقه الشيخ محمد الصادق القمحاوي، مكتبة: رحاب: رحاب الجزائر، ص37.

[7] ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، كتب هوامشه وضبطه حسين بن إبراهيم زهران، دار الفكر، بيروت، لبنان، الجزء الأول،1426ه-1427 ه-2006، ص.267.

فنجد مصطلح "الحجاج" في معناه اللغوي لم يخرج عن دائرة ا لخصام والإنكار وطلب الدليل والإدعاء.

وفي الدراسات اللسانية الحديثة تُ رجم مصطلح "Argumentation " بـ"الحجاج" الذي يقصد به«سلسلة من الحجج تتجه جميعها نحو نفس النتيجة »[1] ، وهذه الحجج يقصد بها تلك الحجج الموجهة لإثبات موقف أو دحضه والحجة Autorité هي الدليل لدعم الإثبات.

وفي هذا الصدد نجد في قاموس le grand Robert مصطلح Argumentation هو«فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة والفعل حاجج argumenter هو الدفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج»[2]؛ بمعنى اتباع طريقة معينة في تقديم الحجج لتحقيق الإقناع.

ومجال الحجاج هو المتنازع عليه والمختلف فيه فهو يبحث فيما هو نسبي محتمل، ويقوم على تبريرات عقلية فالحجاج «إجراء يسلكه فرد أو مجموعة لدفع المستمع إلى تبنّ ي موقف اعتمادا على إثباتات أو حجج »[3]. فالحجاج تقنية يقوم المتكلم بها ليوضح موقفه ويعلله أمام مخاطبه، ويكون بذلك «كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة ، يحق له الاعتراض عليها »[4] ، فالحجاج يتعدى المعرفة المبسوطة فيما نطق به المتكلم لتتعلق بما يقتضيه المنطوق أي ما هو متضمّن فيه.

ويرى **"ميشال مايير"**.Michel M أنّ الحجاج «يشتغل باعتباره ضرورة تؤد ي إلى نتيجة إلى موقف نحمل الغير على اتخاذه إزاء مطروح في سياق يوفر للمتخاطبين مواد إخبارية ضرورية للقيام بعملية الاستنتاج المتصل بالزوج سؤال/ جواب»[5].

ويسعى المتكلم من خلال الحجاج إلى تحقيق الإقناع والتأثير بوصفهما أهم غرضين للحجاج، وإن كان المتكلم يرتزع موافقة المتلقي أو يقنعه فإنّه يقوم بذلك، لكن بعيدا عن العنف

---

[1] محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى،1426-2005،ص8.

[2] Voir: le grand Robert: Dictionnaire de la langue française T.1, Paris, 1989, P.535.

[3] محمد طروس : النظرية الحجاجية، ص8

[4] طه عبد الرحمن :اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1998.

[5] الشهري: استراتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية، ص460.

والإكراه، ولا يعبر عن نتائجه بالصحة أو ال خطأ؛ بل بالقوة والضعف في التأثير ، فمعيار الصحة هو قوة الإقناع، كما تتعدد مظاهر الحجاج فقد يقدم المتكلم حججه بشكل مباشر وصريح في كلامه بعرض مقدمة والنتائج التي تؤدي إليها، كما قد يضمر الحجج ويقود متلقيه إلى النتائج بالتلميح دون التصريح.

1- الحجاج والبلاغة الجديدة:

انبثق موضوع الحجاج من حقول بلاغية ومنطقية ولسانية ، والدراسة البلاغية التي تناولته هي البلاغة الجديدة La nouvelle rhétorique ويمكن تعريفها بأنّها «نظرية عامة للمحاججة بكل أشكالها (الشرعية والسياسية والأخلاقية والجمالية والفلسفية)»[1] إذا كانت وظيفة الإقناع عند البلاغيين هي وظيفة مضافة إلى وظائف اللغة الإ بلاغية فإنّها تعتبر عند **"ديكرو**Ducrot الوظيفة الأولى والأساسية.

إنّ موضوع الحجاج حقل تتجاذبه حقول مختلفة كالبلاغة واللسانيات والمنطق ، فللبلاغة تتناول كيفية الإقناع في اللغة لهذا ظهرت "البلاغة الجديدة" مع **"بيرلمان"** و**تيتكا**(Perelman et Tyteca) اللذين يركزان على«غاية الحجاج الأساسية وهي الإقناع، أي جعل العقول تذعن وتسلم بما يطرح عليها من الأ قوال »[2]. والحجاج الناجح هو الذي يجعل المتكلم سامعه يقوم بالعمل المطلوب منه أو يذعن لرأيه.

إنّ هدف الحجاج حسب **"بيرلمان"** Perelman هو «دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته»[3]

يقول «موضوع نظرية الحجاج هو دراسة التقنيات الهادفة إلى حث النفوس على التسليم بالأطروحات المعروضة عليها، أو تقوية ذلك التسليم، كما تفحص أيضا الشروط التي تسمح

---

[1] أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر: القاوس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية2007، ص163.

[2] عز الدين الناجح : العبقرية الحجاجية في اللغة العربية من خلال دراسة تداولية لسورة الإخلاص ، مجلة المجمع الجزائري في اللغة العربية العدد السادس ، السنة الثالثة، ذو الحجة 1428-ديسمبر 2007،ص166.

[3] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،164، صفر1413ه أغسطس/آب1992م، ص74.

بانطلاق الحجاج ونموه، وكذا الآثار المترتبة عنه»[1]. ومن هنا نجد ثلاث وظائف للحجاج: هي الإقناع الفكري الخالص والإعداد لقبول أطروحة ما والدفع إلى العمل[2].

ويركز **"بيرلمان وتيتكا"** (Perelman et Tyteca) على التقنيات الخطابية التي تؤدي إلى الإقناع حيث يعرّف "بيرلمان" الحجاج بأنّه:«دراسة وسائل الحجاج ما عدا تلك التي تنتمي للمنطق الصوري التي يسمح بالحصول أو بزيادة انضمام الآخرين إلى الأطروحات المقترحة لموافقته»[3] وهذا يعني أنّ **"بيرلمان** Perelman قد أولى الإقناع عناية هامة ، فدور الحجاج يقف عند هدف الإقناع؛ حيث أنّ«أنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه أو ما وفق في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة»[4] فقد يكون الإقناع إما بالقول أو بالدفع إلى العمل، سواء بالإقدام أو بالإحجام عنه.

ومفهوم الحجاج عند **"بيرلمان "**Perelman وثيق الصلة بـ "الفعل التأثيري" أو نفاذ الخطاب والاقتناع الفعلي ، فالحجاج « بحث من أجل ترجيح خيار من بين خيارات قائمة وممكنة، بهدف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأ عمال إزّاء الوضع الذي كان سائدا »[5]، وتتأكد نفاذية الخطاب بحصول الفعل التأثيري ونجاحه وهو الفعل الناتج (المنجز أو لازم فعل الكلام) الذي جاء به "أوستين"Austin ويقصد بنفاذية الخطاب :«التقنيات المعرفية والفكرية وكذا الاجتماعية التي يسعى من خلالها إلى تمرير الخطاب واجتياز الأطر القولية والسمعية إلى الفعل والحدث والتغيير »[6]، ولإحداث هذا التغيير ينبغي على المتكلم أن يكون مقتنعا بفرضياته المقدمة حتى يحدث التغيير في متلقيه، ويقنعه بأطروحته.

---

[1] محمد العمري : بلاغة الحوار المجال والحدود، مجلة فكر ونقد، ص8. http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net(n61-04 alumari.htm.

[2] ينظر: محمد سالم ولد محمد الأمين : مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة فكر ونقد، الكويت، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثالث يناير، مارس2000، ص57.

[3] الحواس مسعودي :النصوص الحجاجية، مجلة اللغة والأدب ،دار الحكمة،جامعة الجزائر العدد، شعبان 1420 ديسمبر 1999، ص275.

[4] محمد ولد الأمين: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، طرابلس، المركز العالمي لدراسات أبحاث الكتاب الأخضرط 1- www.HADAAT.COM،2004 ص15.

[5] محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة فكر ونقد : الكويت، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثالث، يناير، مارس2000، ص57.

[6] محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة،، ص63.

ويستمد الخطاب نفاذيته من تقنيات تجعل الخطاب منسجما مع المخاطبين والشرط الأساسي فيها هو معرفه مستويات المخاطبين، وعلى المحاجج «أن يضع في الحسبان مستوى العقول التي يهدف إلى إقناعها وكذلك عليه الوع ي بنوعيتها فالاهتمام هنا إذن مركز على الجوانب الاستدلالية التي تستعمل على تعاضد العقول المخاطبة وانسجامها مع الطرح المقدم»[1].

أخذ **"بيرلمان"** Perelman من بلاغة **أرسطو** «مفهومي الجدل والخطابة ما يناسب البلاغة الجديدة فالحجاج «يأخذ من الجدل التمشي الفكري الذي يقود إلى ا لتأثير الذهني في المتلقي وإذعانه إذعاناً نظريا مجردا لفحوى الخطاب ، وما جاء فيه من آراء ومواقف وهو يأخذ من الخطابة الجدل من جهة كسره لثنائية تقليدية وجمعه بين التأثير النظري والتأثير السلوكي العملي»[2] والخطاب الحجاجي لا يكون إلا في الأمور التي تثير الشك وتتطلب جهدا فكريا لتدقيقها ، وكشف غموضها هذا الأمر أسهم في إضفاء الطابع العقلي على الحجاج . فالبلاغة الجديدة «ليست معنية بشكل الخطاب من أجل الزخرف أو القيم الجمالية؛ بل من جهة كون ذلك وسيلة للإقناع وخاصة وسيلة للإبداع أي الحضور »[3] ، حيث يقنع المتك لم مخاطبه برأيه ويجعل حججه حاضرة بين يديه، ومن هنا تخرج البلاغة الجديدة من دائرة الإبهام والتلاعب بالجمهور.

ويطابق **"بيرلمان"** Perelman بين البلاغة والحجاج، ويمكن تمثيل م لامح الحجاج عنده بالمخطط التالي:

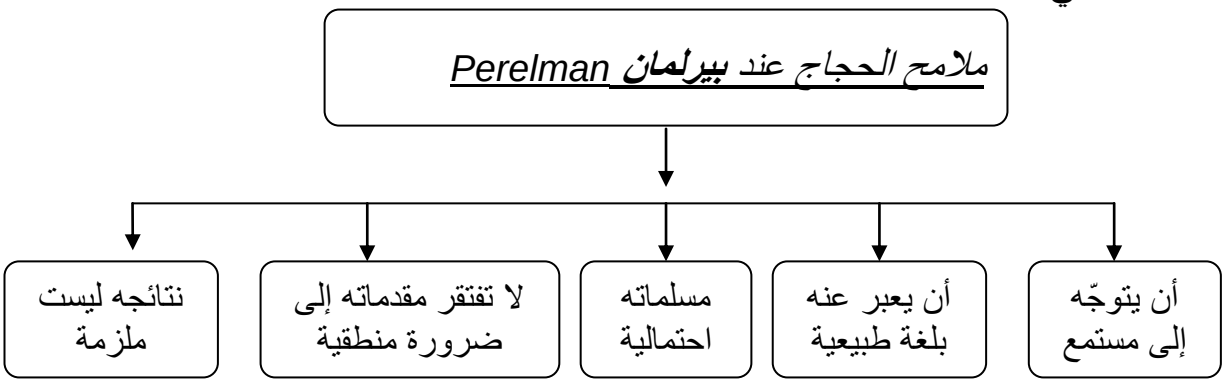

[1] محمد ولد الأمين: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، ص18.
[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص.22
[3] صابر حباشة: التدولية والحجاج، مداخل ونصوص صفحات للدراسات والنشر دمشق، الإصدار الأول، 2008، ص16.

مخطط توضيحي لهلامح الحجاج عند ***"بيرلمان" Perelman***:[1]

فـ"بيرلمان" Perelman يركز على بنية الحجاج بدراسة كل الحجج التي يمكن إقامتها للإقناع ويهتم بالطريقة التي يتم بها التواصل مع المجتمع، حيث «يركز الحجاج على الأمور الداخلة في بنيته الموصلة إلى الإقناع كالأمثلة الجاهزة والجمل الوعظية أو الإشارية التي تؤدي هدفا في اللحظة الحجاجية في البنى القولية الخطابية »[2] وتكون بذلك الدر اسة الحجاجية التي تهتم بهدف الخطاب والتقنيات الموظفة لتحقيق هذا الهدف والمتمثل في الإقناع والتأثير.

2- **الحجاج التداولي**:

إذا كان **"بيرلمان"** "Perlman" قد جعل الحجاج منتميا إلى البلاغة الجديدة ، فإنّ **"ديكرو"**Ducrot قد أسس نظرية تدرس الوسائل اللغوية التي يمتلكها المتكلم ليقنع مخاطبه ، حيث «يكون الحجاج بتقديم المتكلم قولا (ق1)أو(مجموعة أقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر(ق2) أو (مجموعة أقوال)»[3]، فيكون القول الأول حجة للقول الثاني ، وقد تكون الحجة مصرحا بها أو مفهومة من القول الأول.

ويذكر **ديكرو وأنسكومبر** Ducrot et Anscomper أنّ الحجاج أساس كل دلالة ؛ فهو في نظرهما«لم يعد نشاطا لسانيا من بين أنشطة أخرى ، ولكنه أساس المعنى نفسه ، وأساس تأويله في الخطاب »[4]، ولهذا السبب كانت الوظيفة ا لإخبارية للغة درجة ثانية بالمقارنة مع الحجاجية «فالزعم بوصف الحقيقة قد لا يكون إذن إلا قناعا لزعم أكثر جوهرية بممارسة ضغط على آراء الآخر»[5] فقيمة الإخبار ثانوية بالنظر إلى قيمة الحجاج ليس فقط وسيلة ، بل هو غاية من أجل التأثير على الغير وهذه العملية التأثيرية هي التي تدعى "الحجاج".

ولا يكون الإقناع بالضغط على المخاطب لهضم ان التأثير عليه ، بل لابد من البرهنة والاستدلال على ما نقول حتى يصبح الحجاج وسيلة لتقاسم الرأي مع الآخر بعيدا عن ممارسة

---

[1] يُنظر: محمد سالم ولد محمد الأمين:مفهوم الحجاج عند بيرلمان، ص61.

[2] نفسه، ص65.

[3] J.C.Anscombre et Ducrot: l'argumentation dans la langue, philosophie et langage, troisième édition, MARDAGA, P.08.

[4] صابر حباشة: التداولية والحجاج، ص18.

[5] نفسه، ص18.

العنف والتضليل [1]، فالإقناع يعتبر الوظيفة الأولى والأساسية للغة و يكون عن طريق كسب المتكلم رضا مخاطبه ليقتنع برأيه وبحججه.

يفرض فعل الحجاج على المخاطب نتائج معينة فهي تلزمه سلوك طريقة وحيدة في الخطاب ؛ لأنّ الحجاج هو تقديم الحجج المؤدية إلى نتيجة معينة، إنّه «يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب ، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها، إنّ كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أنّ التسلسلات الخطابية محددة لا بواسطة الوقائع (les faits) المعبر عنها داخل الأقوال فقط ، ولكنها محددة أيضا بواسطة بني ة الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها»[2].

يمكن دراسة الحجاج اللغوي من بنية اللغة والوسائل الحجاجية المستعملة فيها من خلا ل فعل الاستنتاج ، فللحجاج «إنجاز لعملين هما عمل التصريح با لحجة من ناحية ، وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء كانت النتيجة مصرحا بها، أو مفهومة من (ق1)»[3]. فنتيجة القول قد تكون صريحة أو ضمنية مفهومة من سياق الخطاب.

ربط **"ديكرو"** (Ducrot) الحجاج بفعل الاستنتاج Acte d'inférer ويقصد به :«ليس الفعل النفسي الذي يكمن في تأسيس اعتقاد حول بعض الإشارات، ولكنه فعل كلامي يستلزم فعل كلامي استنتاجي في تحقيق إنتاج الكلام . فللمتكلم(ل) حين يتلفظ بقول (ق) يقوم بفعل استنتاجي إذا قام في الوقت نفسه بالرجوع إلى معطى معين يقدمه كنقطة انطلاق لاستدلال سيؤدي إلى إصدار القول (ق)»[4]. فللحجاج يهتم بدراسة الوسائل اللغوية وبالتركيز على العمليات الذهنية الاستنتاجية التي يقوم بها المتخاطبون، فالاستنتاج عبارة عن استدلال ذهني من خلال افتراض مسبق أو ما هو متواضع عليه بين المتخاطبين.

---

[1] Voir, Philipe Bretou: L'argumentations dans la communication .Alger, casbah, 1998,P.04.

[2] أبو بكر العزاوي : الحجاج في اللغة، مجلة المنارة، الصفحة الثقافية، الثلاثاء 5 ديسمبر http://www.almanarah.com ص2

[3] عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج، دار الفرابي، بيروت لبنان، منشورات كلية الآداب بمنوبة تونس،ط1،2001،ط2 ،2007 ، ص33.

[4] J.C.Anscombre et Ducrot: l'argumentation dans la langue P.10

مقدمة ـــــــــــــــإستنتاج ذهني ـــــــــــــــنتيجة (كلامية)

يبدو الأمر بهذه الطريقة سهلا يسيرا لكنه ليس بهذه البساطة، ففعل الاستنتاج هو فعل ذهني خاضع للمقدمة ولكن للروابط الحجاجية (Connecteurs Argumentatifs) دور في تغيير تلك المقدمة، وبالتالي تغيير النتيجة«فقد يكون بين الاستنتاج والنتيجة عارض يمكن أن يغير من صيغة الحجاج ، وبهذا فقد تتعدد الأشكال بتعدد الطرق المختلفة للحجاج باستعمال مقدمات قد تتخللها اعتراضات، أو الانطلاق من خلفيات سابقة غير مصرح بها؛ للوصول إلى نتائج تتوقف على إدراك السامع لتلك الخلفيات ، أو الانطلاق من مقدمات لا تشكل معطيات ندعمها بأدلة للوصول إلى نتائج تتوقف على مدى صحة المقدمات أو عدم صحتها »[1]. ويمكننا التمثيل على ذلك بقول المتنبي في رثائه لوالدة سيف الدولة[2]:

وَمَنْ لمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لاَ سَبِيلَ إِلَى الوِصَالِ.

فكل «الناس يحبون الدنيا، ولكنهم لم يتمكنوا من وصالها الدائم»[3]

في هذا المثال(كل الناس يحبون الدنيا) ..... إذن كلهم يتمنون دوام العيش فيها

مقدمــة .....لكن..... نتيجــة

العارض هو الرابط الحجاجي" لكن" فهم لم يتمكنوا من وصالها الدائم.

وقد أشار ديكرو (Ducrot) إلى«وجود مؤشر حجاجي في كل معنى حرفي جملي يستدعي مضمر السياق للإيحاء بنتيجة ما مقنعة أو غير مقنعة»[4].

إنّ دراسة البنية الحجاجية عند "ديكروDucrot ترتكز على المؤشرات اللغوية في حد ذاتها من خلال «دراسة نظامية للروابط الحجاجية وعوامل أخرى للتسلسل اللغوي(إذن، في النهاية،

[1] عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي،ص.124-125.
[2] الديوان،ص265.
[3] ينظر هامش كتاب شرح ديوان المتنبي : مصطفى سبيتي ج2، ص.12.
[4] الخطاب الإشهاري والقيمة الحجاجية،ص4-5 :www.google.com/search?hi

في العمق، ومع ذلك ...إلخ) مما يسمح بإنشاء تحليل مصغر بالنظر إلى غايتها أي مقصدها الحجاجي»[1] ويمكن الاعتماد على قوانين الخطاب التي جاء بها غرايسGrice.

يرتبط الحجاج بالخطاب الطبيعي، وهو «ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي، فلفظة الحجاج لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما أو إظهار الطابع الصحيح Valide لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية»[2]. فالقول يُنجز في ظروف معينة قصد إقناع المتلقي باستعمال عناصر لغوية معينة، لكن هذا القول لا يأتي بأمور يقينية قطعية، إنما يتعلق بما هو محتمل.

أشار ديكرو Ducrot إلى مفهوم أساسي في نظريته وهو التوجيهL'orientation [3]؛ حيث اعتبره غاية الخطاب الحجاجي وهي «تفرض على المخاطب نمطا من النتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة التي يمكن للمخاطب أن يسير فيها »[4] ، حيث يحرص المتكلم على توجيه المتلقي إلى وجهة واحدة دون سواها.

يصعب علينا في الحقيقة الإلمام بنظرية **"ديكرو** Ducrot" فهي لا تنحصر في بعد من الأبعاد؛ لأنها ما زالت في إطار التطوير والتعديل بحكم حداثتها وثراء المعارف وتطورها.

وعلى العموم يمكننا أن نستنتج من خلال ما سبق ، مبدأين أساسين م ن نظرية **"ديكرو "**:

1-تأكيده على الوظيفة الحجاجية للبنية اللغوية ذاتها.

2-إبراز سمة الخطاب التوجيهية.

3-<u>مفهوم الرابط الحجاجي:</u> Connecteur Argumentatif

[1] صابر حباشة: التداولية والحجاج، ص19.
[2] أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، ص1.
[3] **التوجيه الحجاجي**L'orientation: ينبغي التمييز بين التوجيه الحجاجي ونتيجة الحجاج، فالتوجيه الحجاجي نتيجة لفعل يوجه العبارة حجاجيا؛ ويفرض على المتلقي إجراءً تأويليا دقيقا؛ والنتيجة، أحد العناصر المحددة لفعل الحجاج، الذي يوجه العبارة لخدمة نتيجة معينة. ينظر:محمد طروس : النظرية الحجاجية، ص113، وقد عرفه طه عبد الرحمن بأنه" فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره"، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص227.
[4] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص23.

يرى "ديكرو "Ducrot"أنّ الخطاب في أساسه «بنية نصية وهنا يكون التركيز على الجوانب اللغوية فقط، وذلك بالحديث عن الأدوات اللغوية التي تلعب في النص دورا حجاجيا؛ وهي المفردات ، الأفعال، الظروف، الأسماء ...الخ »[1] ، ويكون ذلك بالتركيز على الروابط الحجاجية مثل(لكن إذا، بسبب، الفاء) من هنا يمكننا دراسة أي نص دراسة حجاجية.

والرابط Connecteur هو :«كل لفظ يمكّن من ربط قضيتين أو جملتين أو أكثر لتكوين قضايا وجمل مركبة »[2]، وللروابط وظائف متعددة منها الوصل أو الفصل، التتابع، الشرح والتفسير، ولكل رابط وظيفة أساسية في الخطاب.

ويتم الربط بين الحجة والنتيجة (أو المقدمات والنتائج) بروابط حجاجية ، وهي تمثل شرطا أساسيا لتحقيق الحجاج؛ فهي«تربط الصيغ الوصلية المقدمة بالنتيجة، وتبني عناصر الحجاج، ويتمثل الرسم القا عدي للحجاج في ربط معطيات بنتيجة ، قد يكون هذا الربط ظاهرا أ و ضمنيا(بما أنّ ونظرا لـ) أو معكوسا، رد الحجة أو الاستثناء»[3]، فمثلما يمكن للحجة أن تكون ظاهرة أو مضمرة حسب السياق، قد يكون الأمر نفسه بالنسبة إلى النتيجة والرابط الحجاجي.

فللعناصر اللغوية تتدخل في توجيه دلالات الحجاج في الكلام، فهي تمثل العلاقة الحجاجية بين المقدمات والنتائج، هذه العلاقة حتى وإن كانت ضمنية ؛ إلا أنّه يجب أن تكون مع ذلك سهلة البلوغ؛ حتى توجه المتلقي إلى النتيجة التي يقصدها المتكلم . وتحمل الروابط الحجاجية المتلقي على الاستنتاج «وبالتالي تكسب طابع الموصولية وبواسطة هذا الترتيب تتدعم الحجة / النتيجة بواسطة الدليل بذلك توجيها حجاج يا Orientation argumentative أو تتحدد إذن القيمة الحجاجية valeur argumentative لملفوظ (بمعنى أنه يحلل كحجة لنتيجة) بواسطة توجيهها الحجاجي»[4].

---

[1] يمينة ثابتي: الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، دار الأمل، العدد الثاني، ماي2007، ص.286

[2] آن ربول، جاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد للتواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت ط1-2003، ص265.

[3] وتيكي كميلة: كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة (مقاربة تداولية) دار قرطبة ، الطبعة الأولى 1425ه-2004م، ص295.

[4] نفسه، ص296-297.

ويشترط لسلامة العملية الحجاجية الربط ب ين الحجة والنتيجة بمؤشرات ؛ تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية بالربط بين قولين أ و حجتين أو أكثر ، ويمكننا أن نفيد من معاني الحروف في الدراسة الحجاجية.

وللكلام قوة حجاجية مضاعفة من خلال طرق الاستعمال وأدوات الربط وآليات الاستقصاء[1] و«يكمن دور الروابط الحجاجية واستثمار دلالاتها في ترتيب الحجج ونسجها في خطاب واحد متكامل ، إذ تفصل مواضع الحجاج ؛ بل وتقوي كل حجة منها الحجة الأخرى انطلاقا من أنّه عندما يكون تحت تصرفنا عددا من المعطيات ؛ فإننا نمتلك إمكانات هائلة ، لنتمكن من الربط بينها ...ويعد من بين هذه الروابط الخطاب ية مهم بقدر أهميته في التصنيفات»[2]، ولكي يتوصل المتكلم إلى هدفه الإقناعي من خلال خطابه؛ فإنّه يستعين بروابط حجاجية في ترتيب حججه، ولكن ينبغي عليه وضع كل رابط في مكانه المناسب؛ من أجل بناء خطابه بناءً حجاجيا.

وعند استعمال الروابط ينبغي أن يكون الاستعمال ملائما لدلالة القول وقصد المتكلم، حتى تكون صياغة الكلام سليمة في مجملها لذلك «فإنّ الربط بين القضايا إنّما يتحدد بنوع من تجانس تعلق الأحداث مما تشير إليه تلك القضايا »[3] ، ويتم هذا التجانس عن طريق ترتيب الجمل الفرعية والجمل الأصلية بحيث تترابط وتتعالق، فتؤدي بذلك وظيفتها المنوطة بها.

[1] **الإستقراء**Induction : استنتاج حكم علمي انطلاقا من جزئيات، وهو ضرب من الاستدلال لا يعتد به المناطقة ؛ لأنه لا يفضي عندهم إلى اليقين، ينظر آن ربول وجاك موشلار، التداولية اليوم، ص263.

[2] الشهري: إستراتيجية الخطاب، ص472-473.

[3] فان دايك : النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، ص76.

الفصل الأول: بنية الحجاج وتقنياته في شعر المتنبي.

أولا:الحجاج في الشعر:

1- خصائص الخطاب الحجاجي.

2- الحجاج والجدل.

3 - الشعر والخطابة.

4- الشعر بين التخييل والإقناع.

ثانيا: أساليب الإقناع في شعر المتنبي:

1- الحجاج والمقام.

2- الأساليب البلاغية.

3- الأساليب المغالطية.

4- الأساليب الإنشائية.

ثالثا: تقنيات الحجاج في شعر المتنبي:

1- الحجج شبه المنطقية.

2- الحجج المستندة إلى بنية الواقع.

3- الحجج المؤسسة للواقع.

أولاً:-الحجاج في الشعر:

إنّ أول سؤال يستوقفنا في هذا البحث هو : هل يجوز لنا أن نتحدث عن حجاج في الشعر ؟ و من هنا ينبغي علينا قبل أن نلج غمار التطبيق أن نث بت إمكانية حضور الحجاج في الشعر ؛ حتى نحقق مشروعية هذا البحث ، ولقد قام العلماء بطرح هذه الإشكالية من أجل ضبط وتحديد خصائص الشعر الحجاجي.[1]

وأول ما نبدأ به هو خصائص الخطاب الحجاجي حتى يتضح لنا إن كانت هذه الخصائص تتلاءم وتتوافق مع خصائص الشعر.

1- خصائص الخطاب الحجاجي:

وللحديث عن خصائص الخطاب الحجاجي يجب علينا أن نتحدث عن أنواع الخطاب عامة حيث هناك ستة أنواع[2]:

*-**الخطاب الإخباري** informatif:هو خطاب هدفه الرئيسي هو الإعلام والإخبار والتنبيه.

*ـ**الخطاب التحليلي** Analytique:وهدفه الأساسي هو الفهم فيقوم تبعاً لذلك على عملي تي الشّرح والتأويل وما يقتضيانه من ترتيب وتبديل.

*-**الخطاب التوجيهي** Editorial:إن تأويل قضيّة ما فإنّه يعتمد إلى بيان مالها وما عليها مؤكداً محاسن موقف ما ومساوئه مثيراً للمبادئ والقيم مذكراً بالتاريخ.

*-**الدراسة** Essai:في هذا الخطاب يكون الدارس مفكر اً فهو يبح ث في حل قضايا مختلفة بطريقة جادة ومنهج صارم وتفكير بناء.

*-**خطاب الرأي** d'opinion: جوهره تقويم لفكرة ما.

1 ومن بين الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، "الحجاج في الشعر العربي القديم" لسامية الدريدي، وكذلك دراسة"أبو بكر العزاوي:"الحجاج في الشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر "، وكتاب "بلاغة الحجاج في الشعر العربي ، شعر ابن الرومي نموذجا".لـ"إبراهيم عبد المنعم إبراهيم".

2 ينظر سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 25 .

*-**الخطاب الحجاجي**Argumenté: هدفه الإقناع بوجهة نظر أو في طريقة تناول الأشياء، بل قد يحاول حمله على الإذعان دون اقتناع حقيقي وهو خطاب يلزم صاحبه على نحو صارم بما جاء فيه.

إنّ الخطاب الحجاجي خطاب وضع على شكل مخصوص مترابط الأفكار و متناغما بقصد معلن مع وعي المتكلم بما يقوله ، وفق تقنيات خاصة مضبوطة ، ويتدخل في مو ضع محتمل نسبي لأنه «لا يتدخل إلا في الحالات التي يكون فيها اليقين موضع طعن»[1].

والغاية من الحجاج هي استمالة المستمع نحو الأطروحة المراد تثبيتها ، وهذا الإذعان والإقناع يقتضيان تماسا فكريا بين المتكلم والمتلقي.

ومن أهم سمات الخطاب عموما هو أنه يقتضي باثا ومتقبلا، حيث يعرض الباث فكرته وهي تشكل محتوى الخطاب وغايته ، ويحاول توضيح فكرته بهدف إقناع المتلقي ، ويمكننا تمثيل هذه الفكرة بالمخطط الآتي:

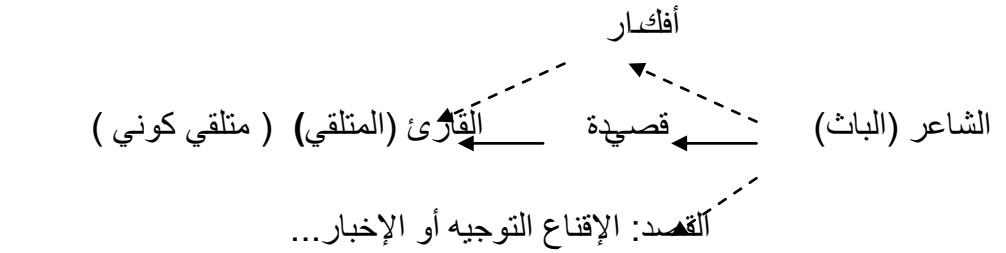

تتعدى وظيفة الشعر إلى جانب الوظيفة الشعرية إلى وظائف أخرى ؛ مثل الوظيفة الانفعالية والوظيفة التوجيهية والإقناعية مثل «حث المتلقي على القيم الفاضلة ومكارم ا لأخلاق وردعه عن المعايب والنقائص وعموم الفواحش، فيؤدي الشعر على هذا النح و إلى تركيز منظومة القيم وتثبيت نظام الأخلاق »[2]، فالوظيفة الحجاجية الإقناعية في الشعر أشمل وأعم ؛ ذلك لأنّ هدف الخطاب الحجاجي هو الإقناع ، ويهدف «إلى تعديل فكرة أو نقد أطروحة أو جلب اعتقاد أو دفع انتقاد»[3].

---

[1] محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، دار الأمان، الرباط، ط1- 1426 هـ2005م، ص 356 .
[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص68-69.
[3] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص226.

ومن خصائص الخطاب الحجاجي:

*-**القصد المعلن:** يحاول المتكلم من خلال خطابه تحقيق هدفه الإقناعي ،«وهو ما يعبر عنه اللسانيّون بالوظيفة الإيحائية Conative للكلام»[1].

وفي الشعر يقصد الشاعر مثلا في المدح إقناع الممدوح بأنه جدير بالعطا ء فيلوِّن له أشكال الكرم والجود حتى يستميله ويقنعه بأحقيته في التقريب.

***-التراغم:** إن التأثير في المتلقي وإقناعه بفكرة معينة تقوم على التلاؤم من خلال الانطلاق من أطروحة مقبولة لدى المتلقي و «تفاديا للفشل في أراء القصد فإن الخطيب لا ينبغي له التسليم إلا بالمسلمات التي تتمتع بقبول كافي ، أي التي تكون مقبولة أيضا عند المستمع »[2]، فالمتكلم يوظف استدلالاته بدقة وتسلسل حتى يتحكم في قوة التأثير ، والشاعر حين يقوم بمدح الملك مثلا فإنه يتجنب ذكر الموت لأنها تنغص عليه عيشه، فالشاعر يقصد ما يحبه المتلقي ويتفقد ما يكرهه فيتجنب ذكره.

ولكي يحقق المتكلم هدفه الإقناعي فقد «يعلن أمرا ويذكر آخر ، يختزل فكرة ويسهب في تحليل أخرى، يسأل ويجيب ، بل قد يأتي بالفكرة الواحدة على أنحاء مخ تلفة فيتجلى في نصه سحر البيان وتتأكد فتنة الكلام»[3]، ولذلك فإن نجاح الحجاج مقرون بطبيعة المتلقي ؛ حيث يقوم المتكلم «باستثمار الناحية النفسية من أجل تحقيق التأثير المطلوب منه»[4].

*- **الاستدلال:** الحجاج هو مجموع الاستدلالات من أجل عرض أو تأكيد أو نفي فكرة ما إنه «علاقة استدلال إرضاءً لقواعد العقل لنهج خطوات المنطق وعلاقته، إرضاءً وإمتاعا وجذبا واستمالة لشعور وقيم المخاطبين»[5]. يخضع الحجاج لترتيب عقلي للعناصر اللغوية حتى يحقق المحاجج غايته في الإقناع.

---

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص26.
[2] محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، ص371.
[3] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم ص26-27.
[4] صابر حباشة: التداولية والحجاج، ص21.
[5] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص126.

***-البرهنة**: وتتمثل في «كل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال، وصولا إلى ألطف فكرة وأنفذها»[1].

***-الحوارية**:أو "التحاورية" وتشكل هذه الخاصية سمة أساسية من سمات الخطاب الحجاجي وتعني «انفتاحه على القراءة والتأويل والنقاش ، وذلك ما يؤكد مظاهر الحركية الثقافية »[2]. فالخطاب الحجاجي في أصله حوار مع المتلقي يقوم على علاقة تربطه بالباث.

ويعد الحوار أنجع سبيل ينتهجها المتكلم لدراسة حجج مخاطبيه ، ومواقفهم بطريقة مقبولة ، ومن شروط الحوار:

- إشراك المخاطب في الحجاج و أن يكون المتكلم مقتنعا بحججه متفـقا مع ذاته.
- وضوح الأدلة والبعد عن التناقض واحترام مسلمات المتلقي.
- عدم التركيز على أمور حدسية خاصة يصعب توضيح مضمونها الحجاجي إلى المتلقي[3].

* **التخطيط:** Schématisation: إنّ «احتجاجنا لموضوع ما أو لأطروحة معينة يعني أننا نرسم طريق الخطاب كونا مصغرا يمثل النموذج الأمثل لوضعية ما دو ن أن يعكس مقتضيات البناء العلمي»[4]، وتعتمد هذه الخاصية أساسا على البعد الحواري.

* **الانتقائية:** وتعني«انتقاء العناصر المكونة لهذا العالم بشكل دقيق وموجه ؛ أي بشكل يساير فيه تلك العناصر المنتقاة غاية الخطاب »[5] ، حيث ينبغي على الباث أن يحسن انتقاء حججه لتكون ملائمة لو ضعية المتلقي فتتحقق غاية الخطاب، فقد تتعدد طرق بناء الحجاج لت حقيق غاية واحدة أو غايات مختلفة.

وحتى يحقق الخطاب الحجاجي هدفه المنوط به ؛ على الباث أن ينطلق من مقدمات تكون عادة محل اتفاق، وأن يحسن انتقاء واختيار العناصر المكونة للخطاب، كما أن خطابه يكون

---

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص27.
[2] محمد ولد الأمين : حجاجية التأويل في البلاغة العربية، ص 17 .
[3] ينظر نفسه ص 19-20.
[4] سامية الدريدي :الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 30.
[5] نفسه والصفحة نفسها.

متناغما ومنسجما مع ميول المتلقي ، وقد يعتمد الباث على الاستدلال والبرهنة، وقد يلجأ إلى إثارة مشاعر المتلقي حسب المقام ومقتضى الحال.

2- **الحجاج والجدل:**

يعتبر الجدل عند القدامى «القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات ، والغرض منه إلزام الخصم، وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان »[1]. فللجدل هو الخصومة، ومن يعتمده يحاول إقناع خصمه انطلاقا من مقدمات مقبولة، إنّه عبارة عن مناظرة مع الخصم تبدأ بسؤال اتهامي.

يقول "ابن خلدون"(ت808ه) في تعريفه للجدل بأنه:«معرفة آداب المناظرة التي تجري بين المذاهب الفقهية وغيرهم؛ فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقول متسعا، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج. ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأً، فاحتاج الأئمة أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها»[2].

ومن معاني "الجدل" المكابرة والخصومة، وقد يجادل المتكلم بما هو صواب، أو ما هو خطأ، خدمة لأغراضه الشخصية، وقد يكون للجدل ضوابط وأحكام وآداب يقف المجادل عند حدودها في قبول الاستدلال أو رده، ولا بد أن يستمد من الأدلة الشرعية، ويكون الغرض منه الوصول إلى الحق طلبا في الفهم بعيدا عن الأغراض الذاتية [3].

والجدل عبارة عن «مسلمات صورية محدودة العدد، قابلة لكي تحتوي مضامين إنسانية؛ بمعنى أنّ الجدل قابل لاستثمار خطابي ، وهذا يكسب الخطابة مظهرا علميا أو مظهرا خطابيا قابلا لكي يستقطب قبولا ما »[4]، وهذا ما يجعل الحجاج القاسم المشترك بين الجدل والخطابة ؛ فالمسلمات الجدلية والقياس والبراهين تعد بالنسبة للحجاج حججا وأدلة، يمكن للمتكلم أن يستعملها، فـ«الحجاج أوسع من الجدل فكل جدل حجاج وليس كل حجاج جدلاً »[5]. ومن هنا يكون الحجاج أشمل وأوسع من الجدل.

---

[1] الشريف الجرجاني : التعريفات، مكتبة مشكاة الإسلامية، ص55 .
[2] مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1- 1413ه-1993م، ص362.
[3] ينظر فتيحة بوسنة : انسجام الخطاب في مقامات جلال الدين السيوطي مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، دار الأمل، ع2 ، ماي 2007، ص322-323 .
[4] محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية ، ص 356.
[5] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص17.

وقد ميّز القدامى بين الجدل والخطابة والشعر «فجعلوا الجدل ركيزة الرياضة ومناظرة الجمهور والعلوم النظرية ... والخطابة تنطلق كنص إقناعي من مقدمات تقضي إلى نتائج وتبُنى أحيانا كثيرة على القياس لإبطال وضع أو حفظه، أما الشعر فينبني على التخييل الذي لا يستدعي الفكر والرؤية... بل يعول على الإثارة دون تفكير للحث أو الردع»[1].

والشعر عند القدامى«عملية إيقاع المعاني في نفوس المتلقين، الأمر الذي يكون التخييل في الشعرية من خلاله نظيرا للتصديق ، والجدل في الخطابة ، على أنّ التصديق أمر راجع إلى مطابقة الكلام للواقع ، بينما التخييل في الشعرية راجع إلى ما في الكلام نفسه من تشكيل أو هيئة تحدث الانفعال»[2].

فكان الفرق بين الشعر والجدل ، أنّ الأول أساسه العاطفة ، والثاني أساسه المنطق والتجريد، فكان نتاج ذلك أن ربط الجدل با لخطاب، والشعر بالخيال وكان الشعر «إنْ أثّر في النفوس فبمخاطبته للعاط فة وحدها؛ ليذعن المتلقي دون روية أو فكر ، ولا مجال فيه للجدل العقلي المحض»[3].

وإن كان للشاعر هذه السلطة على النفوس والقدرة على التأثير والفعل ؛ فهذا الأمر في حد ذاته حجاج؛ لأنّ الحجاج أشمل من الجدل «فإذا كان الجدل يمثل قسم الإقناع من الخطاب، فإنّ الحجاج هو جوهر الخطابة باعتبارها فن الإقناع بالخطابة ، فالقدامى رفضوا الحجاج في الشعر؛ لأنّهم ماهوا بينه وبين الجدل والحال أنه أشمل منه وأوسع مجالا»[4].

ومن القدامى من قال بإمكانية دخول الجدل في الشعر وفي النثر، فـ «أما الجدل والمجادلة؛ فهما قول يقصد به إقامة ال حجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات والتنصل والتبرؤ في الاعتذارات ويدخل في الشعر وفي النثر»[5].

---

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 54 .
[2] رحمان خرّكان : مقومات عمود الشعر الأسلوبية ، إتحاد كتاب العرب، دمشق 2004، البريد الإلكتروني email uncriy @net / sy @net –s/aru موقع على شبكة الانترنيت .http://www.awu.dam.org
[3] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 81 .
[4] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 54 .
[5] قدامة بن جعفر : نقد النثر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان 1422هـ -1982م، ص 117.

ودخول الجدل في الشعر يشترط فيه مخاطبة من يفهمه «فقد أتى في شعر من لابس الكلام والجدل وعاشر أهلهما من ألفاظ المتكلمين؛ لأنه خوطب به من يعلمه وكلم به من يفهمه»[1].

ولقد أقام **"أرسطو"** مقارنة بين الحجاج الجدلي والحجاج الخط ابي «فاعتبر مجال الأول فكري خالص، وعادة ما يكون بين شخصين ، يحاول كل من هما إقناع صاحبه بوجهة نظر معينة، ومجال الثاني توجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد أو صنعه؛ فهو حجاج موجه للجماهير»[2].

ومن هنا يمكن للحجاج في الشعر أن يكون منتميا للحجاج الخط ابي الذي يوجه الجمهور ويقوده؛ لأنّ الشاعر يحرك النفوس ويستمليها ويشحذ الهمم لتتصف بالمعاني النبيلة السامية، فهو يحاول إقناع الممدوح بفكرته سواء أكان شعره مدحا أو رثاءً أو غزلا أو فخرا، ففي المدح مثلا يحاول "المتنبي" إقناع الممدوح بأنه جدير بهداياه بتوظيفه للفخر، وبأنه الأحق بالتقريب، كما ينوع لمتلقيه درجات الكرم والجود ويعدد له المعاني السامية حتى ينال رضاه ونواله.

كذلك في الغزل يحاول إقناع محبوبته بأنه الأحق بعطفها حين يعدد لها حججه المتمثلة في ألوان عذابه وشجون معاناته ، أما في الرثاء ففيه مزج بين المدح والحكمة ؛ حيث يمدح الشاعر الفقيد بالخصال الحميدة كما يمدح أهله ، ثم يخلص إلى حكمة تتمثل في أنه ما من أحد باق في هذه الدنيا ، ويهدف بهذا إلى التسليم بالأمر الواقع، ففي هذه الأغراض نلاحظ توظيف الحجاج في ثناياها بغرض الإقناع، فللحجاج أشمل وأوسع من الجدل ، لذلك يمكن للشعر في مختلف أغراضه أن يشتمل على الحجاج.

3- الشعر والخطابة:

قام القدامى بالتمييز بين الشعر والخطابة، فكثيرًا ما ربط الحجاج بالخطابة وربط الشعر بالعاطفة، لكن الحجاج قد يحضر في الشعر مثل حضوره في الخطابة دون أن يفقد شعريته، ذلك أن الشاعر قد يحاجج من أجل الدفاع عن فكرته ليقنع قارئه مثله مثل الخطيب.

يقول **" القاضي الجرجاني"**إنّ الشعر: «علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء»[1]، إذ يعتبر الشعر عنده علما قائما بذاته فهو الراوي لأخبارهم، والمخلد لمآثرهم ، إنه العلم الذي يحفظ أنسابهم ومكارمهم، فكان أعظم من أن يحصر في تعريف ضيق.

---

[1] نفسه، ص 135 .

[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 55.

ولقد جعل العرب من الشعر «ديوانَ علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم، وأصلا يرجعون إليه في الكثي ر من علومهم وحكمهم . وكانت ملكته مستحكمة فيهم ش أن ملكاتهم كلها»[2].

حاول النقاد أن يلتمسوا للشعر بعض المفاهيم التي رأوا أنها تضبطه وتحدده ، فإذا كان الشعر ذلك الكلام الموزون والمقفى، فإنّ معيار "الوزن" و"القافية" غير كاف لضبط المفهوم، فهو يجمع بين النظم وا لشعر، ولذلك رُبط الشعر بالخيال والغموض ، يقول **"ابن الأثير"** (ت 639 هـ) «وأفخر الشعر ما غمض، فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة منه»[3].

فلكي يعبر الشاعر عن غرضه التواصلي؛ كان لابد عليه أن يخرج عن المألوف ويعتمد على الغموض، ويؤسس شعره على المبالغة؛ ليكون فيه طاقة لا تتوافر في الكلام العادي، ومن هنا كان تحديد الفرق بين جنسين أدبيين هما: الشعر والخطابة، وكان الشعر مجردا من المعاني الاستدلالية والعقلية معتمدا على الغموض ومخاطبة العاطفة والتخييل ، وكان المراد من الشعر«إنما هو إيداع المعنى الشريف في اللفظ اللطيف »[4]، أما الخطابة فتنبني على البرهان والاستدلال ومخاطبة العقل للإقناع.

والشاعر ببلاغته وحجاجه، وحسن بيانه، يكون قادرا على الإقناع والتأثير «وقدرة الشعر على النهوض بوظيفة الحجاج التي قد يعتقد أنه ا حكر على الخطب ومقالات الفلاسفة وعلماء الكلام، ولتبيين قدرته ا لعجيبة على تغيير الواقع، وتوجيه المتلقي نحو غايته رسمها له الشاعر بالصورة واللغة والإيقاع»[5].

---

[1] الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 14 .
[2] عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، ص489.
[3] ضياء الدين بن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القسم الأول، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة، الطبعة الأولى، 1379-1959، ص 414.
[4] ضياء الدين بن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة،ج2 ص 368 .
[5] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 74.

وأفضل مثال على قدرة إقناع **"المتنبي"** في شعره حينما أكثر"أبو فراس الحمداني" مناقشته في قصيدته الميمية واتهمه بالسرقة، فضجر "سيف الدولة" وضربه بالدواة التي بين يديه، فقال "المتنبي"[1]:

إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ.

وهنا تغير الأمر ومالت كفة الحجاج لصالح المتنبي «فلم يلتفت سيف الدولة إلى ما قاله أبو فراس، وأعجبه بيت المتنبي، ورضي عنه في الحال، وأدناه إليه وقبّل رأسه، وأجازه بألف دينار ثم أردفها بألف أخرى»[2]، ومن هنا تظهر لنا قدرة الشاعر على الإقناع.

يمكن للشاعر أن يعتمد على الحجاج من أجل الإقناع في شعره دون إسراف في ذلك، كما يمكن للخطيب أن يعتمد على التخييل «فالشعر رسائل معقودة ، والرسائل شعر محلول، وإذا فتشت أشعار الشعراء كلها وجدتها متناسبةً، إما تناسبا قريبا أو بعيدا، وتجدها مناسبة لكلام الخطباء وخطب البلغاء، وفِقَر الحكماء»[3]. فقد يتنزل الشاعر منزلة الواعض المرشد، أو الناقد المغيّ؛ فيحاول ذلك عن طريق الاحتجاج والتأثير والإقناع.

وغالبا ما يقترن الإبداع في الشعر بالغموض والغرابة «إذ ليس في الأرض بيت من أبيات المعاني لقديم أو محدث إلا ومعناه غامض مستتر»[4].

فالشاعر يخرج عن المألوف موظفا الغموض ؛ فمن خصائص الشعرية «الخروج عن السمت العادي في تأليف العبارة والعدول بالكلام على نحو يخالف المألوف »[5]، لكن مخالفة المألوف تستدعي كذلك الوضوح؛ حتى ينال القبول عند المتلقي فيستميله ويقنعه.

كما نجد **"ابن الأثير"** في مناقشته للرأي الذي يفرق فيه بين النثر والشعر ، يرى أنّ «طريق الإحسان في منثور الكلام يخالف طريق الإحسان في منظومه ؛ لأنّ الترسل هو ما

---

[1] الديوان، ص 333 .
[2] ناصيف اليازجي:العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، الجزء الثاني ، ص347.
[3] محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي : عيار الشعر، دراسة وتحقيق وتعليق محمد زغلول سلام، توزيع منشأة المعارف بالاسكندرية شركة جلال للطباعة،الطبعة الثالثة، ص114.
[4] الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص431.
[5] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 60

وضح معناه وأعطاك سماعه في أول وهلة ما تتضمنه ألفاظه »[1] ، فإنما الأحسن في الكلام هو الوضوح و البيان سواء كان الكلام شعرا أو نثرا ، وذكر ثلاثة أمور للتفريق بين الشاعر والكاتب:

- أولها نظم الشاعر ونثر الكاتب.
- ثانيها أنّ من الألفاظ ما يعاب استعماله نثرا ولا يعاب نظما.
- وثلثها أنّ في إطالة الشاعر في شعره قد لا يجيد في جميع الأبيات أو في كثيرها ، أما الكاتب فقد يطيل في كتابه وهو مجيد في جميعه[2].

يعتمد الشاعر على المحاكاة والتخييل، وهذا لا يمنعه من الاحتجاج والإقناع؛ دون أن يبالغ في ذلك؛ فيحرص على الترابط وا لانسجام في الأفكار، حيث يوجد «خصائص في الكلام إذا بلغت حدا معينا كان شعرا ، وإذا خالفت ذلك الحد فوقعت تحديدا دونه كف الشعر عن كونه شعرا ليدخل مجال النثر بما فيه الخطبة»[3]، لذلك يتوجب على الشاعر أن لا يبالغ في الاحتجاج كما ينبغي على الخطيب أن لا يبالغ في التخييل.

4- الشعر بين التخييل والإقناع :

يُعرّف الشعر بالكلام المخيل ، ومفهوم التخييل يونا ني الأصل اعتمده **"الفرابي"**(ت339ه) بدلا من كلمة المحاكاة [4].

يستطيع الشاعر أن يحدث انفعالا وجدانيا للمتلقي ؛ وهذا ما يسمى بخلق الأريحية . والباعث لهذه القوة الشعرية هو ا لتخييل، وهو «الكلام الذي تذ عن له النفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار ، وبالجملة تنفعل له انفعالا نفسانيا غير فكري، سواء

[1] ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 2 ، ص 414 .
[2] ينظر: نفسه،ج2 ص 418- 419 .
[3] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم، ص61 .
[4] ينظر أرسطو طاليس: كتاب الشعر، نقل أبي بشر متى بن يوسف القبائي من السرياني إلى العربي، تحقيق : شكري محمد عياد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ،1386هـ-1967م ص 194-195 .

كان القول مصدقا به»[1]. والمتلقي يميل إلى التعبير التخييلي، وترتاح إليه نفسه دون أن يصدقه العقل. وقوة الشعر تكمن فـي الربط بين المتضادات فتتناسب في الدلالة عند الإشارة إلى الأشياء.

وعالم الشعر هو عالم الخيال لا العقل ، و«مسلك الشعر غير مسلك العقل لا يخاطب في المتلقي فيه غير عاطفته ولا يحرك فيه إلا أحاسيسه ؛ بل لا يصور من الع الم إلا ما يطرب فيحصل الإمتاع ويتأكد الإلذا ذ دون أن يكون للعقل دور في الإمتاع والإلذاذ »[2]، ومن هنا كان تحديد الفرق بين جنسين أدبيين هما الشعر والخطابة ، وكان الشعر مجردا من المعاني الاستدلالية العقلية، معتمدا على الغموض ومخاطبة العاطفة والخيال . أما الخطابة فتنبني على البرهان والاستدلال ومخاطبة العقل للإقناع.

رفض القدامى اعتماد الشاعر على الحجاج في شعره واعتبروه خطيبا، يقول "القاضي الجرجاني":«والشعر لا يحبب في النفوس بالنظر والمحاجة ولا يحلى في الصدور بالجدال والمقايسة»[3] فمجال الشعر هو الخيال سواء كان صدقا أو كذبا، حتى إنّ أحكام النقاد كانت انطباعية في تبرير جودة البيت، وكانوا يقولون إنّ:«خير الشعر أكذبه »[4] ، ومن هنا كان التمييز بين التخييل في الشعر والإقناع في الخطابة ؛ فالشاعر يخاطب العاطفة ، والخطيب يخاطب العقل فكان «مصطلح العقلي هو ضد التخييلي ؛ حيث جعل المعنى العقلي في مقابل التخييلي فالعقلي هو المنطقي المجرد، ولا يعقد فيه بالأخذ لأنه مشترك أي غير شعري»[5].

ولكن قد يجتمع التخييل مع التصديق والإقناع، فللنفس تتحرك للتخييل الشعري وهو صادق فـ«الشعر قد يقال للتعجيب وحده، وقد يقال للأغراض المدنية وهي المشورية والمشاجرية والمنافرية شأنه في ذلك شأن الخطابة»[6].

---

[1] أرسطو طاليس ، كتاب الشعر ص 197.
[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص49.
[3] الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص100.
[4] عبد القاهر الجرجاني :أسرار البلاغة ، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1424-2003م، ص202.
[5] محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق1999،ص96.
[6] أرسطو طاليس: كتاب الشعر، ص198.

وإذا كان التخييل قوام المعاني الشعرية ، فهذا لا يمنع من أن يأخذ الشعر من المعاني العقلية والاستدلالية، فالتخييل «يأتي على درجات شبها من الحق، وغُشيَ رونقا من الصدق، باحتجاج يخيَّل، وقياس يُصنع فيه ويُعمل »[1]، فالتخييل في حد ذاته يقتضي الإقناع حتى يت م التصديق «فينشأ الخطاب مراوحا بين الصدق والكذب، وهذا يعني بوضوح أنّ الصدق لا ينفي التخييل والتخييل وحده لا يولد الإذعان للقول الشعري »[2]، فالنفس لا تقتنع ولا تميل إلا بشيء تصدقه، ولذلك يجوز للشاعر أن يأخذ من المعاني العقلية والحجاجية حتى يؤثر في مخاطبه ويستميله ويقنعه ولا يكتفي بمخاطبة العاطفة والخيال.

وقد قال **"عبد القاهر الجرجاني"** في حديثه عن القسم العقلي أنّ «مجراه الشعر والكتابة، والبيان والخطابة، مجرى الأدلة التي تستنبطها العقلاء، والفوائد التي تثيرها الحكماء »[3]، وهذا ما يدل على احتواء الشعر على المعان ي العقلية، كما استشهد الجرجاني بأشعار تحوي حكما مأثورة منها قول **"المتنبي":**[4]

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا. وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلَى مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى.

أمّا القول بأن الشعر يخاطب العاطفة فهو «تصور نظري اختزالي إلى أقصى الحدود »[5]، فكثيرا ما يتخذ الشاعر موقفا واقعيا حقيقيا ثم يقوم بشرحه وتوضيحه ويذكر حججا قصد إقناع مخاطبه برؤيته وتصديقه، يقول **"المتنبي"** في مدح "سيف الدولة"، وكانت مناسبة ذلك أنّ **"البطريق"** حلف ليلقينه كفاحا فلما التقيا لم يطق ذلك وولى هاربا ، فبدأ "المتنبي" في شعره بفحوى الأمر، حيث يقول[6]:

عُقْبَى اليَمِينِ عَلَى عُقْبَى الوَغَى نَدَمُ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ القَسَمُ وَفِي اليَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي الإِيعَادِ مُتَّهَمُ.

---

[1] الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق محمد الفاضلي، ص199.
[2] سامية الدريدي:الحجاج في الشعر العربي القديم، ص66.
[3] أسرار البلاغة،ص196.
[4] الديوان، ص372.
[5] محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، ص440.
[6] الديوان، ص419.

فالشاعر يكذب "البطريق" الذي حلف أن يلقى "سيف الدولة" ثم ولى هاربا ، فعاقبة القسم الندم، لأنّ القسم لا يزيد في الشجاعة، ويقول له «إذا حلفت على ما تعده من نفسك دلّت اليمين على أنّك غير صادق فيما تعده ؛ لأنّ الصادق لا يحتاج إلى اليمين »[1] ؛ فالشاعر يستعين بالمعاني العقلية من شرح وتوضيح واستدلال.

كما أنّ الشاعر دائما يحاول إفحام خصومه بالدليل والحجة؛ حيث يقول[2]:

ولاَ تَحْسَبَنْ الفصَحَاء تُشْدِهُ هُنَا بَيْتًا ولكِنِّي الهِزَبْرُ الْبلَسِلُ مَا
نَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَةِ كُلُّهُم شِعْري ولاَ سَمِعَتْ بِسِحْرِي بلَبِلُ وإِذَا أَتَتْكَ
مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

حيث يقصد الشاعر في هذه الأبيات أنّ الشعراء لا يتجرّؤون على الإنشاد بين يدي ممدوحه لهيبته، أما هو فقد أقدم على ذلك بجرأة وشجاعة تنمّ عن اقتداره ، ثم يقدم له الحجة حتى لا يستمع إلى حساده الذين يحاولون ذمه (فهي الشهادة لي بأني كامل) فالشاعر في هذه الأبيات يقارن ويفتخر ويحتج في آن واحد. ويقول في موضع آخر[3]:

أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غَرُّوا بِذَمِّي وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْعُضَالاَ وَمَنْ يَكُ
ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلالا

فخصومه الذين يدّعون معرفة الشعر أولعوا بذمه ، وهاهو ذا يقدم الحجة بأنّه أفضل منهم بفعل لغوي غير مباشر ، فجعله بذلك بارزا مؤثرا عن طريق التمثيل «ولو سلك بالمعنى الظاهر من العبارة كقولك: إن الجاهل الفاسد الطبع يتصور المعنى بغير صورته ، ويخيّل إليه في الصواب أنّه خطأ، هل كنت تجد هذه الروعة ؟ و هل كان يبلغ من وقم الجاهل وقذه (أي ضرب القاتل) وقمعه وردعه، والتهجين له والكشف عن نقصه ما بلغ التمثيل في البيت وينتهي

[1] علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: شرح ديوان المتنبي، مكتبة مشكاة الإسلامية، 1426/06/24، ص702.
[2] الديوان، ص180.
[3] الديوان، ص142.

إلى حيث انتهى»[1] ، فقد عقد مقارنة بين خصومه و بين الإنسان المريض الذي يجد حتى الماء العذب مراً، و ماثل بينهما.

كما كان الشاعر في وصفه للحروب يوظف التخييل من جهة، كما يوظف الإقناع من جهة أخرى، «حيث يحكى عنه أنّه كان لا يريد أن يصف الوقائع التي لم يشهدها مع سيف الدولة»[2] فكان ينقل لنا الحرب بمرأى قتلاها و صليل سيوفها و صهيل خيولها ، ليؤكد لنا ولممدوحه شجاعته بقوة وصدق فيحقق الإقناع.

يمكن للقول الشعري التخييلي أن يكون قولا حجاجيا بالغ التأثير، و كان رأي **"حازم القرطاجني"** (ت 684ه) أكثر اعتدالا حيث رأى أنّ الشعر والخطابة يشتركان في غرض واحد و هو «إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر بمقتض اه... فلذلك سراغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقل من كلامه وللخطيب أن يشعر، لكن في أقل من كلامه»[3] ، فهو يرى أنّ المراوحة بين التخييل و الإقناع أبلغ وأقدر على تحصيل الغرض المقصود في الإذعان والتصديق سواء كان ذلك في الشعر أو في الخطابة، لكن لا ينبغي استكثار التخييل في الخطابة، كما لا ينبغي استكثار الاستدلال في الشعر.

ليس التخييل والإقناع معيارين للفصل بين الشعر و الخطابة في كل الأحوال «فكل من الخطابة و الشعر يستعين الواحد منهما بأدوات الآخر دون أن يتخلى عن هويته ، ما دامت الاستفادة تتم في حدود ضيقة »[4] ، فيجوز للشاعر أن يوظف الإقناع، كما يجوز للكاتب أن يوظف التخييل لكن دون إفراط.

لاحظ **"حازم القرطاجني"** أن شعر **"أبي الطيب"** كان مراوحا بين الإقناع و التخييل؛ حيث يقول «وكان أبو الطيب المتنبي يعتمد المراوحة بين معانيه ويضع مقنعاتها من مخيلاتها

[1] الجرجاني، أسرار البلاغة. تحقيق محمد الفاضلي، ص 91.
[2] نفسه، ص 91.
[3] منهاج البلغاء و سراج الأدباء تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية تونس 1966، ص 34.
[4] محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية عربية و غربية ص 488.

أحسن وضع فيتمم الفصول بها أحسن تتمة، ويقسم الكلام في ذلك أحسن قسمة، ويجب أن يؤتم به في ذلك، فإنّ مسلكه فيها أوضح المسالك»[1].

وفي اعتماد **"المتنبي"** على الحجاج فـإنّ شعره لم يفـقد شعريته ؛ بل أكسبه قوة و طاقة إضافية تسهم في إقناع المتلقي بأفكاره «ومن شأن الخصومات الأدبية أن يحاول كل الخصمين معرفة حجج خصمه مثل الخصومات الشعرية التي حدثت بين "المتنبي" وخصومه»[2].

يقول في مدح "سيف الدولة":[3]

ومَا حَمدْتُكَ فِي هَوْلٍ ثَبَتَّ لَهُ حَتَّى بَلَوْتُكَ والأَبْطَالُ تُمْتَصَعُ

فَقَدْ يُظَنُّ شُجَاعًا منْ بِهِ حَرَقُ وقدْ يُظَنُّ جَبَانًا مَنْ بِهِ زَمَعُ

إِنَّ السِّلاَحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ ولَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ.

فالمتنبي يحتج لدعواه بشجاعة ممدوحه وكفاءته في خوض المعارك و حمل السلاح، و إذا كان كل الناس يحملون سلاحا لكن ليس كل من يحمله شجاعا، والدليل الذي يقيسه هنا أن الكثير من الحيوانات ذوات مخالب، ولكن ما ينطبق عليه وصف السبع قليل نادر ، كذلك سيف الدولة.

والحجاج تقنية قد يستعملها الطفل الصغير مع والديه ليقنعهما بال خروج للعب، مثلما يستعملها المحامي في دفاعه عن موكله ... بقصد الإقناع، فما بالك الشّاعر الذي يعد أمير الكلام، حتى إنه سمي شاعرا؛ لأنه يشعر بما لا نشعر ، ويحس بما لا نحس «وإنما سمي شاعرا لأنه يشعر من معاني القول و إصابة الوصف بما لا يشعر به غيره»[4] ، فحجاج الشاعر يكون أبلغ وأنفذ وأقدر على تحقيق الإقناع، فالشاعر يحرّك النفوس ويحقق الانفعال من خلال شعره، وكثيرا ما يهدف إلى تغيير أفكار المتلقي وسلوكه ومواقفه فيستعمل الحث والتحريض.

---

[1] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 363.
[2] ابن رشد تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر، عن أرسطو طاليس، كتاب الشعر، ص 217.
[3] الديوان ص 315.
[4] قدامة بن جعفر: نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1402ه 1982 م، ص 77.

وكثيرا ما تبوأ **"المتنبي"** موقف الإصلاح والإرشاد، ومن ذلك سعيه إلى الإصلاح بين **كافور الإخشيدي** ملك مصر و بين مولاه، ويدعوه إلى الألفة؛ حيث يقول :[1]

حَسَدَ الصَّلْحُ مَا اشْتَهَتْهُ الأَعَادِي وَأَذَاعَتْهُ أَلسُنُ الْحُسَّادِ.

ويقصد في هذا البيت أنه إذا كان الأعداء و الحساد يشتهون الفرقة و العداوة؛ فإنّ الصلح والألفة بينهما ستفحم أمانيهم، وهو بذلك يحاول تغيير رأي كافور وموقفه من مولاه ، ويسعى إلى إقناعه بأنّ الصلح يخيب ظن الأعداء الذين يمكرون بهم ، ويحاولون إيذاءه بما تذيعه ألسنتهم مستعملا في ذلك حجاجا، مصرحا بفحوى الموضوع بوضوح و بيان.

وهناك رأي يقول إنّ الحجاج و الشعر متعارضان بحجة أنّ «الحجاج يتأسس و يقوم على الابتذال La Banalité فليس هناك حجاج فردي ، وبعبارة أخرى فإن الشعر يقوم على الرؤية الفردية، أما الحجاج فهو يقوم على المعرفة المبتذلة و الشائعة »[2]. غير أنّ هذه الرؤية الفردية قد نجدها في الشعر ، كما قد نجدها في الحجاج ، فالنص الشعري ليس فقط نقل لتجربة فردية ذاتية، وليس لعبا بالألفاظ فحسب؛ بل يهدف إلى إقناع المتلقي.

وفي الصدد نفسه يرى **جورج فينو**G. Vigneaux أنّ «الخطاب الحجاجي خطاب غائي وينفي أن يكون كل خطاب غائي حجاجيا بالضرورة؛ لأنّ هناك خطابات ذات غاية شخصية لا تهدف إلى إقناع الآخر، فالخطاب الشعري و بعض أنواع السير الذاتية و المذكرات الحميمية أمثلة لخطابات غائية ليست حجاجية »[3]، وهو بذلك يخرج الشعر من إطار الحجاج معتبرا إياه نقلا لتجربة فردية غايته شخصية.

لكن الملاحظ أن هذه الرؤية تستند إلى المنطق، و«الحجاج لا يقتصر على الاستدلال العقلي المنطقي؛ بل يتجاوز ذلك ليشمل الحجاج اللغوي الخالص الذي ينبع من اللغة ذاتها »[4]، فنظرية الحجاج في اللغة عند **"ديكرو"** Ducrot ترتكز على الحجاج الذي ينبع من اللغة ذاتها،

---

[1] الديوان، ص 463.
[2] أبو بكر العزاوي: الحجاج في الشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية العدد 7، 1992، كلية الآداب بني هلال، ص 99.
[3] محمد طروس: النظرية الحجاجية ، ص 40.
[4] سامية الدريدي الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 55.

فإنما نحن نتكلم بقصد الإقناع، وكل لغة حجاج، فإن انطلقنا من هذه المسلمة «الحجاج ظاهرة لغوية نجدها في كل قول وفي كل خطاب»[1].

وما هو بديهي أن الشعر لغة يمكننا القياس على ذلك إذن :

كل لغة حجاج

الشعر لغة

إذن الشعر حجاج.

حيث يمكن للوسائل اللغوية في حد ذاتها أن تكون حجاجية؛ لأنها تستعمل في الشعر كما تستعمل في النثر و «أي نص شعري أو أدبي تكون له إلى جانب الوظيفة الشعرية وظائف أخرى مثل الوظيفة الانفعالية و الوظيفة التوجيهية والإقناعية التي يعبر عنها بالتعجب والندبة والاستغاثة و الأمر و النداء أو بأسماء الأفعال و الروابط التداولية الحجاجية»[2]، والوظيفة الإقناعية لا تلغي الشعرية، فحين تجتمع أساليب الإقناع مع الإمتاع تزيدها قوة وتأثيرا.

وفي شعر **"أبي الطيب المتنبي "** مزج بين الإمتاع والإقناع، وفي هذا الصدد يقول **"طه عبد الرحمن"**: «وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع ؛ فتكون إذ ذاك أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب و توجيه سلوكه؛ لما يهبه هذا الإمتاع من قوة واستحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب كأنه يراها رأي العين»[3].

وإذا كانت البلاغة هي العلم الكلي الذي يبحث في أساليب الإقناع والإثارة، فإنها علم يشمل الشعر كما يشمل النثر، ويبحث في الحجج «فجماع البلاغة البصر بالحجة و المعرفة بمواضع الفرصة»[4] فالبلاغة تبحث في كيفية الإقناع وتحقيق القصد و الغرض، إنها «القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام و حسن النظام و فصاحة اللسان »[5]، إنّها تبحث في جودة الكلام، كما تبحث في الإ قناع؛ لأنّها «فن استخلاص من كل موضوع درجة الإقناع التي

[1] أبو بكر العزاوي: الحجاج في الشعر، ص 100.
[2] نفسه، ص 99-100.
[3] في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، 2007 ،ص 38.
[4] الجاحظ، البيان والتبيين تحقيق حسن السندوبي، دار المعارف تونس، جانفي 1990ص 87.
[5] قدامة بن جعفر: نقد النثر ، ص 76.

يحتويها أ و القدرة على كشف نظري لما يكون في كل حالة خالصا للإقناع »[1]. والبلاغة هي«فن ابتكار الاختيار والتعبير المزين بشكل ملائم والذي يمكن استخدامه في الإقناع»[2].

تبحث البلاغة في الشعر كما في النثر ، وتستخلص درجة الإقناع ، فيمكن لهذا العلم أن يستخلص الإقناع من الشعر ، ويدرس درجة قو ته الحجاجية التي تختلف من شاعر إلى آخر وقد تختلف من قصيدة إلى أخرى للشاعر نفسه و«كلما كان الشاعر صادقا في معاناته، ساعيا إلى تبليغ خطاب ما، راميا إلى التخاطب وا لتواصل مع الآخر ين له غاية واضحة ، وهدف محدد يرمي إليه كلما كان شعره أكثر حجاجية»[3].

وهذا يعني أن القوة الحجاجية نسبية فقد تضعف وتقوى، تشتد وتنقص حسب قدرة الشاعر وصدقه؛ ولذلك نستطيع أن نصنف هذا الشعر بأنه حجاجي وذلك شعر غير حجاجي، وهذا الأخير«عبارة عن تلاعب بالألفاظ تكون الغاية منه إظهار البراعة في استعماله اللغة والتمكن من قوانين الصناعة الشرعية»[4].

ثانيا:-أساليب الإقناع في شعر المتنبي:

يعتمد المحاجج في خطابه إستراتيجية معينة؛ حيث يخطط ويختار الحجج المناسبة التي تراعي غاية الخطاب الحجاجي الأساسية وهي الإقناع، وهذه الإستراتيجية هي «عملية تنظيم عملي يخضع لها المتكلم خطابه راصدا بواسطتها وسائل مختلفة لخدمة غايات معينة ، فتكون تبعا لذلك عملية واعية خطط لها المتكلم بشكل دقيق ، وباختيار موجه تحكمه نتائج الخطاب وغاياته الحجاجية»[5].

والشاعر بدوره لا يقوم بمجرد حشد الحجج؛ بل يعتمد على إستراتيجية معينة في الربط بين حججه، ويستطيع بذلك تحريك مشاعر المتلقي ، ويحدث انفعاله وبالتالي إقناعه. فالشعر«كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه بما يتضمن من حسن تخييل له ومحاكاة مستقلة بنفسها أو

[1] رولان بارت: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة، عمر أوكان، إفريقيا الشرق،ص120.
[2] أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر: القاوس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي ص161.
[3] أبو بكر العزاوي: الحجاج في الشعر، ص100-101.
[4] أبو بكر العزاوي: الحجاج في الشعر، ص 100.
[5] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 87.

متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام ، أو قوة صدقه، أو قوة شهرته أو بمجموع ذلك ، وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب ، فإنّ الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قَوِي انفعالها وتأثرها»[1].

والشاعر يخاطب عاطفة المتلقي، ويحاول حمله على الإذعان مستعملا في ذلك أساليب الإغراء المتنوعة ليحقق الإثارة والتأثير ، فهو يحرص على أن يظهر بمظهر يعينه على بلوغ قصده.

لقد تحدث القدامى عن قدرة الشعر على التأثير في النفوس ، حتى وسموا الشعر بالسحر، وببحثنا عن الأساليب البلا غية والإنشائية والمغالطية ، فإننا نبحث فيها من زاوية حجاجية إقناعية، فنحن نبدأ بما هو متفق عليه ولا نقصد التكرار ؛ بل نحاول تبيين إمكانية دعم هذه الأساليب لطاقة القول الحجاجية ، وقدرة الشاعر على التأثير والإقناع، ودرجة القوة والضعف في الحجاج.

1-الحجاج والمقام:

ليس الحجاج «عملية حشد الحجج وربط مفاصل الكلام ، وتعليق بعضه ببعض فحسب ؛ بل يعني كذلك جملة من الاختيارات الأخرى على مستوى المعجم والتركيب وأزمنة الأفعال وصيغ الكلمات وأنواع الصور ومصادر التصوير... اختيارات تراعي غاية الخطاب وتستجيب لعلاقة الشاعر بالمتلقي وتلائم وضع المتلقي ومقتضيات المقام»[2].

لذلك يتعين على الشاعر أن يختار الأوقات المناسبة ، ويتفقد أحوال المتلقي فيقصد ما يحبه ويجتنب ما يكرهه، فلكل مقام مقال.

ومراعاة المقام تساعد على تحقيق القدرة الإقناعية للخطاب الحجاجي وهي «أمر لا غنى عنه متى رام الفعل في الآخر وأراد إقناعه ... بل عن حاجة المتكلم إلى مراعاة المتلقي أو الاستحواذ على انتباهه في مرحلة أولى ثم الفعل فيه في مرحلة ثانية ، أمر قد أجمع عليه كل الدارسين المهتمين بالحجاج وأفانينه»[3]، ومن أمثلة مراعاة الشاعر لما يفرضه عليه المقام، أنّه في مقام المدح مثلا يلح على فضيلة الكرم وينوّ ع صوره ليدفع المتلقي إلى العطاء، كما قد

[1] حازم القرطاجني:منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص71.
[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص88.
[3] نفسه، ص90.

يفتخر بنفسه حتى يبيّن لممدوحه أنه يستحق منه التقريب والإحسان، فيكون بذلك قادرا على التأثير فيه ويحمله على الاقتناع بما جاء في القصيدة.

1-1 **في مقام المدح:** يقول "المتنبي" في مدح سيف الدولة الحمداني[1]:

وَمَدْحُ النَّاسِ حَقٌ وَبلَطِلُ وَمَـدْحُك حَقٌ لَـيْسَ فِيهِ كِذَابُ.

يحاول الشاعر إقناع ممدوحه بصدق حبه له ، بما هو فيه من مزايا حقيقية ليست كاذبة ، فإذا كان الناس يُمدحون بما ليس فيهم، ف إنّ سيف الدولة يستحق المدح دون تلفيق أو خداع، فالشاعر بذلك يبيّن له مدى صدقه. ويقول فيه كذلك:[2]

فَإِنْ تَفقُ الأَيَّامُ وأَنْتَ مِنْهُم فلِنَّ الـمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَال.

فالممدوح يفوق كل الناس حتى وإن كان منهم، فأحسن الشاعر التمثيل والاحتجاج «فقد احتج لدعواه، وأبان أنّ لما ادعاه أصلا في الوجود، وبرأ نفسه من الكذب وباعدها من سفه المقدم على غير بصيرة، والمتوسع في الدعوى من غير بينة، وذلك أن المسك قد خرج عن صفة الدم وحقيقته حتى لا يعد في جنسه ، إذ لا يوجد في الدم شيء من أوصافه الشريفة الخاصة بوجه من الوجوه، لا ما قل و لا ما كثر، ولا في المسك شيء من الأوصاف التي كان لها الدم دما البتة»[3].

وفي مدحه له أثناء انتصاره في معركة "الحدث الحمراء" يقول:[4]

بَنَاهَا فَأَعْلَى والقَنَا يَقرَعُ القَنَا ومَوْجُ المَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلاَطِمُ.

فهو يصور مواجهة ممدو حه لأعدائه وقوة انتصاره بتعبير حجاجي يوازي قوة الانتصار، وعبارة **"**وموج المنايا**"** تبين شدة التصارع، ثم يقول: [5]

وَقَفْتَ ومَا فِي المَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وهُوَ نَائِمُ

تَمُرُّ بِكَ الأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ والنُّهَى إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ إِنَّكَ بِالغَيْبِ عَالِمُ

فمدحه بالشجاعة والإقدام، وقارن بين هزيمة ا لأعداء وفرحة الانتصار، واستعمل التمثيل ليبرز المعاني ويصورها **"**كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وهُوَ نَائِمُ".

---

[1] الديوان، ص481.
[2] نفسه، ص268.
[3] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة،ص93.
[4] الديوان، ص386.
[5] نفسه ، ص 387.

وحين يستعمل الشاعر التمثيل يكون المدح «أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم وأهز للعطف (أدعى للزهو)، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح وأ وجب شفاعة للمادح، وأقضى له بغر المواهب والمنائح وأسير على الألسن وأذكر وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر»[1] فيضمن تأثيره على الممدوح ويقنعه بحججه التمثيلية. ثم يقول:[2]

ضَمَمْتَ جَرَاحَيْهِم عَلَى القَلْبِ ضَمَّةً ... تَمُوتُ الخَوَافِي خَلْفَهَا وَالقَوَادِمُ

حَقَرْتَ الدَّنِيْئَةَ حَتَّى طَرَحْتَهَا ... وَحَتَّى لَكَانَّ السَّيْفَ لِلرُّمْحِ شَاتِمُ

نَثَرْتَهُمْ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ كُلِّهِ ... كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ

تَدُوسُ بِكَ الخَيْلُ القُلُوبَ عَلَى الثَّرَى ... وَقَدْ كُنْتَ تَدُوسُ القُلُوبَ المَكَارِمُ

لَكَ الحَمْدُ فِي الدُّرِ الذِي لِي لَفْظُه ... فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وإِنِّي نَاظِمُ

وإِنِّي لَتَعْرُو بِي عَطَايَاكَ فِي الوَغَى ... فَلاَ أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمُ

فبعد أن صوّر الشاعر الحرب بمرأى قتلاها وصليل سيوفها، وتحولها إلى فرحة الانتصار، ها هو الشاعر يقدم حججا لممدوحه بأنّه يستحق عطاياه في قوله "لَكَ الحَمْدُ في الدُّرِ الذِي لِي لَفْظُه فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وإِنِّي نَاظِمُ" فالعلاقة التي تربط بينهما علاقة الند للند ، ذلك لأنّ سيف الدولة في حاجة إليه كما أنه في حاجة إلى سيف الدولة، فهو إن كان يستميل ممدوحه بمز اياه المتمثلة في " الشجاعة والإقدام والتحدي .." ليمتعه ويستميله، فهو كذلك يقدم حججه ليقنعه ، كما يرى أن ممدوحه يستحق المدح والافتخار به؛ بل هو فخر لكل المسلمين يقول الشاعر:[3]

وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ ... وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمُ

فأخرج بذلك معركة سيف الدولة مع الروم من مجال ضيق إلى مجال أوسع ؛ ليضفي عليها طابعا إنسانيا.

وما يلاحظ على شعر المتنبي أنه يستعلي بنفسه ، ويفتخر بذاته ليكشف عن جدارته واستحقاقه في نيل رضا ممدوحه؛ حيث يقول:[4]

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى أَدَبِي ... وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ

أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا ... وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ

[1] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة،ص88.
[2] الديوان، ص388-389.
[3] الديوان، ص 389 .
[4] نفسه، ص 332 .

الخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالقِرْطَاسُ وَالقَلَمُ

فهو يحاول أن يثبت لسيف الدولة أحقيته بالرغم من محاولة خصومه أن يتصيدوا له خطأ لغوي لكنهم لم يستطيعوا ذلك ، فقد قال عنه "القاضي الجرجاني" «ونحن لا نجد لأ بي الطيب قصيدة تخلو من معاني تستفاد وألفاظ تروق وتعذب وإبداع يدل على الفطنة والذكاء وتصر ف لا يصدر إلا عن غزارة واقتدار»[1].

ويقول الشاعر في موضع آخر:[2]

وَمَا الدَّهْرُ إِلا مِنْ رُوَاةِ قَصَائِدِي إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

فَسَارَ بِهِ مَنْ لاَ يَسِيرُ مُشَمِّرًا وَغَنَّى بِهِ مَنْ لاَ يُغَنِّي مُغَرِّدَا

وهذان البيتان من قصيدته التي مطلعها " لكل امرئٍ في دهره ما تعودا " فكان متفلسفا في «استعماله القياس المنطقي، وربط الأفكار بعضها ببعض، وإقامة الحجج العقلية، واستعمال الألفاظ والتعبيرات التي استعملها الفلاسفة ... وأراد تعجيز الحكماء ومدعي الحكمة في بلاط الأمير، فكان كلامه مقدمة كبرى لقياس منطقي على سنة رجال المنطق، وجعل قول الفلاسفة بأنّ"العادة طبيعة ثانية" مبدأً أساسيا ترتكز عليه آراؤه التي سيُدلي بها ، والعادة كالطبيعة مبدأ عمل، ومصدر أفعال، فهكذا فكل إنسان وما تعود، والحال أن سيف الدولة دائم الطعن في الأعداء، ومن ثمة فقد هان عليه كل شيء »[3] ويتقدم المتنبي واثقا بنفسه محاولا إقناع سيف الدولة حتى يدفعه إلى العطاء ويستجديه ويطلب الجزاء، فيقول:[4]

أَجِزْنِي إِذَا أَنْشَدْتُ شِعْرًا فَإِنَّمَا بِشِعْرِي أَتَاكَ المَادِحُونَ مُرَدِّدَا

تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسْجَدَا

فنجد في أفكاره المتماسكة حججا متراصة في إيجاز ودقة وعمق، وباستعماله للمعاني التمثيلية التي كان أثرها أوقع في النفوس، والتمثيل «إن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر وإن كان افتخارا كان شأوه أبعد وشرفه أجد ولسانه ألد »[5]، ولهذا يعتبر التمثيل حجة تضفي على الخطاب قوة، ليكون أكثر إقناعا.

---

[1] القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 54 .
[2] الديوان، ص 373 .
[3] حنا الفاخوري : الموجز في الأدب العربي وتاريخه الأدب المولد، دار الجيل بيروت، المجلد الثانية الطبعة الثانية1411ه1991م، ص419.
[4] الديوان، ص373.
[5] الجرجاني: أسرار البلاغة ص 88 .

ويحاول أن يبرر طلبه للعظمة والمجد؛ لأنه رأى أن المال سبيله لبلوغ مأربه؛ فقال:[1]

فَلاَ مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلاَ مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

2-1 مقام الغزل : وإذا كان المقام مقام غزل ، فإنّ "المتنبي" يحتاج إلى إقناع المرأة عن طريق تصوير معاناته؛ فيجعلها سبب عذابه وآلامه حتى يستميلها ويؤثر عليها، حيث يقول:[2]

بِحِرْمِي مَنْ بِهَتْهُ فَلَوْ أَصَارَتْ وِشَاحِي ثَقْبَ لُؤْلُؤَةٍ لَجَالاَ

فحبه سبّب له نحول الجسم إلى درجة إمكانية ولوجه ثقب لؤلؤة، وه و بذلك يفرط في الوجد واللوعة وعذاب الفراق من أجل الإقناع. كما يقول عن أرقه وألمه من حرقة الحب والشوق:[3]

أَرَقٌ عَلَى أَرَقٍ وَمِثْلِي يُؤْرَقُ وَجَوًى يَزِيدُ وَدَمْعَةٌ تَتَرَقْرَقُ

وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لاَ يَعْشَقُ

وَعَذَرْتُهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنَّنِي عَيَّرْتُهُمْ فَلَقِيتُ مِنْهُ مَا لَقُوا

فالشاعر يحمل محبوبته سبب عذابه وألمه ؛ حتى يغير موقفها ويحول سلوكها ؛ فيحدث انفعالها، ويحرك وجدانها، وهذه كلها حجج للإقناع وكسب الرضى. كما أنه يبرر سبب عشقه واضطراره إلى ذلك؛ فيقول:[4]

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقَ قَلْبَهُ وَلَكِنْ مَنْ يُبْصِرْ جُفُونَكِ يَعْشَقِ

ولكي يؤثر الشاعر على المتلقي ينبغي عليه أن تكون اختياراته ملائمة ومنسجمة مع القول والمقام؛ حيث يبحث في وسائل الاستمالة والتأثير الحجاجية التي تضمن له تحقيق هدفه الإقناعي، «والنسيب الذي يحقق الغزل هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة، وما كان فيه من التصابي والرقة أ كثر مما يكون فيه من الخشن والجلادة ، ومن الخشوع والذلة أكثر مما يكون فيه من الإباء والعز وأن يكون جماع الأمر ما ضاد التحفظ و العزيمة ووافق الانحلال والرخاوة »[5]. فإن أفرط الشاعر في إظهار الوجد واللوعة أصاب الهدف، وبذلك يؤثر على مخاطبه، ويحول رأيه فيقنعه .

---

[1] الديوان، ص 454 .
[2] الديوان، ص 139 .
[3] نفسه، ص 28 .
[4] نفسه، ص 345 .
[5] قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ص 134 .

ويعد الوصف أهم رافد من روافد الإقناع، ففي وصف "المتنبي" لجمال محبوبته ينتقي صورا سامية تعبر عن انفعاله العميق، يقول:[1]

سَقَتْ وَبِيَّقُهَا الفُوَاقُ بِصِرْفَةٍ سَبَتْ مَحَاجِرَهَا وَلَمْ تُكُ بِيَّقُهَا

فَكَأَنَّهَا وَالدَّمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ذَهَبٌ بِسِرْطِي لُؤْلُؤٌ قَدْ رُصِّعَا

تَثْرَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَلَوَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعَا

وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءَ بِوَجْهِهَا فَلَوَتْنِي القَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا

فقد عبر عن الجمال بـ" الذهب، اللؤلؤ، ترصع، القمرين"، وأحسن الشعراء في الوصف «من أتى في شعره بأكثر المعاني التي للموصوف مركب منها ، ثم بأظهرها وأولاها حتى يحكيه بشعره»[2]، ففي وصف الجمال أخذ الشاعر من معين دلالي واحد ، فكان الوصف أقوى حجة لوقوعه في أسر الحب.

ويقول أيضا:[3]

كَأَنَّ رِقَابَهَا غَيْمٌ رَقِيقٌ يُضِيءُ بِمَنْعِهِ البَدْرَ الطُّلُوعَا

فقد اعتمد على المقارنة والقياس بين جمال المحبوبة وطلوع البدر ، وتعد حجة المقارنة حجة مركزية في الخطاب .

ويقول في وصف ريق المحبوبة[4]:

قَدْ ذُقْتُ مَاءَ حَيَاةٍ مِنْ مُقَبِّلِهَا لَوْ أَصَابَ ثُوبَكَ لَأَحْيَا سَالِفَ الأُمَمِ

فهو يحاول التأثير عليها بأنّها سبب حياته، ولا يستطيع الاستغناء عنها؛ فهو بذلك يحملها مسؤولية الأمر إن فكرت في الفراق.

ويقول كذلك:[5]

وَيَبْسِمْنَ عَنْ بَرَدٍ خَشَرَيْتُ أَذِيبُهُ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي فَكُفْتُ الذَّائِبِ

فقد استعار البرد صفة للأسنان وأخذ خاصية من خصائصه وهي الذوبان ؛ مما يدل على حسن السبك والرقة في التشبيه، فهذه المقارنة أبلغ والمقايسة أقدر على الإقناع والتأثير.

---

[1] الديوان، ص 117.
[2] قدامة بن جعفر : نقد الشعر ص 130 .
[3] الديوان، ص 89 .
[4] نفسه، ص 32 .
[5] نفسه، ص 109 .

3-1- في مقام الحكمة : يحرص الشاعر على «ارتداء ثوب الحكمة والظهور بمظهر الناصح المخلص الذي خبر الحياة وأحداثها وتمرس بالدهر وناسه »[1] ، فلقد كان المتنبي يذكر تجاربه التي بقيت خالدة في شعره، يقول مثلا:[2]

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ

ويقول كذلك: [3]

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

حيث يقارن بين وفاء الكريم وتمرد اللئيم ؛ فيلزم المخاطب على اختيار ما يريده الشاعر، وأسلوب الشرط هنا يساعد على تقييد المعنى؛ بفضل طبيعة العلاقة التلازمية بين جزأين.

ويقول كذلك:[4]

وَمَا الخَوْفُ إِلاَّ مَا تَخَوَّفُهُ الفَتَى وَمَا الأَمْنُ إِلاَّ مَا رَآهُ الفَتَى آمِنَا

يستعمل الشاعر في الحكمة التركيب الاسمي الذي يساعد على «إخراج المعاني الحكمية في قالب تقريري؛ فتأتي على شكل قاعدة عامة أو قانون عام، ومن ثمة تخرج من مجال التجربة الفردية الضيقة إلى مجال أرحب هو المجال الإنساني»[5] ، فالترتيب الاسمي يجعل الأمر يبدو كقاعدة عامة، يقول مثلا:[6]

فَلِلْمَوْتُ آتٍ وَالنُّفُوسُ نَفَائِسٌ وَالمُسْتَعِزُّ بِمَا لَدَيْهِ الأَحْمَقُ.

وفي المعنى نفسه يقول:[7]

وَلَوْ أَنَّ الحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ لَعَدَّيْنَا أَضْلَعَ الشُّجْعَانَا

والضمير الذي يستعمله الشاعر في أمثاله وحكمه ضمير حيادي جمعي، يمكن إدراجها في أي سياق مماثل؛ لأنها تتحدث عن تجارب إنسانية وحقائق بديهية، يقتنع بها عقل المتلقي«والمثل يرد في مظهر القدوة أو العبرة، بعد أن تم إبرازه في شكل تجارب فردية في الحياة سرعان ما تنزع من سياقها الخاص؛ فتتحول إلى تجربة عامة بعيدا عن أي تجربة ذاتية منفردة ؛ وهذا يعني أنه قابل للاندراج في أي سياق بعد أن تعاد صياغته في جمل قائمة

---

[1] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 93 .
[2] الديوان، ص 21 .
[3] نفسه، ص 372 .
[4] نفسه، ص 317 .
[5] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 115 .
[6] الديوان، ص 28 .
[7] نفسه، ص 474 .

برؤوسها تتضمن الحكم والعبر استنادا إلى تجارب السابقين »[1] ومن هنا يتفاعل المتلقي مع حكم المتنبي ويقتنع بها؛ لكونه يعثر على ذاته فيها فيتأثر بها.

وقال يرد على خصومه الذين يرون وجوب ابتداء الشاعر بمقدمة غزلية والتزامه بها:[2]

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ مُقَدَّمٌ أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْرًا مُتَيَّمُ ؟

لِحُبِّ ابْنِ عَبْدِ اللهِ أَوْلَى فَإِنَّهُ بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الجَمِيلُ وَيُخْتَمُ

فهو يعطي الأولوية الأولى لحب "سيف الدولة" وأنكر أن يكون كلُ شاعرٍ متيماً، ليبدأ قصيدته بمقدمة غزلية، ومن ثم فهو يقدم حجة لممدوحه ليبرهن له مقدار حبه وإخلاصه وقدم معنيين متكافئين متقابلين حيث قابل بين "يبدأ ... ويختم" والتكافؤ هو:«أن يصف الشاعر شيئا أو يذمه ويتكلم في أي معنى كان فيأتي بمعنيين متكافئين »[3] ، ويظهر التكافؤ في"يبدأ الذكر الجميل ويختم". ويقول كذلك:[4]

أَرَى المُتَشَاعِرِينَ غَرُّوا بِذَمِّي وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ العُضَالاَ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرًا بِهِ المَاءَ الزُّلاَلاَ

جاءت الحكمة في شعر المتنبي منثورة في قصائده ، مبنية على قياس فكري حجاجي، مستمدة من تجاربه الحياتية؛ فكانت كل مقدمة تقود المتلقي إلى نتيجة حتمية مقنعة «فالحكمة عند الشاعر شديدة الفاعلية، بعيدة الأثر وهي في تراص ألفاظها وانضباط تعابيرها، وروعة بيانها، من أشد عوامل التأثير»[5] ، وهي بذلك من أقوى الحجج الإقناعية.

4-1 **<u>في مقام الرثاء:</u>** نجد أنّ الشاعر يمزج بين المدح والتأبين، فينطبق على الرثاء ما ذكر في المدح؛ حيث يمدح الشاعر الميت وأهله بالخصال الحميدة؛ فيحاول إقناع المتلقي بضرورة التسليم بقضاء الله وقدره، ويظهر الشاعر بمظهر الناصح المخلص الذي خبر الحياة، مرت ديا ثوب الحكمة، يقول "المتنبي" في رثاء والدة "سيف الدولة":[6]

وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُراً لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا الجَلاَلِ

---

[1] حميد سمير : شعرية المثل عند المتنبي (البنية والوظيفة)، مجلة فكر ونقد العدد 35، البريد الإلكتروني : http://aljabriabed.com

[2] الديوان، ص 302 .

[3] قدامة بن جعفر : نقد الشعر، ص 147 .

[4] الديوان، ص 141 .

[5] حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ص419.

[6] الديوان: ص265.

ثم يقول:[1]

وَمَا التَأْنِيث لاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ وَلاَ التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلهِ لاَلِ

والشاعر يحاول إقناع المتلقي بحجة متوازية (الشمس والهلال)، (الذكر والأنثى) فقد صاغه صياغة دورية متوازية وتضمنت قياسا إضماريا ، كما أصبح مقنع ا لمجرد صياغته النغمية العروضية.

5-1 في مقام الهجاء : قام المتنبي في هجائه لكافور يذكر الأسباب والت بريرات التي جعلته يقدم على مدحه، فكانت حججا موظفة لإقناع المتلقي، حيث يقول:[2]

لَوْلا العُلَى لَمْ تَجُب بي ما أَجُوبُ بِهَا وَجْنَاءُ حَرْفٍ ولا جَرْدَاءُ قَيْدُودُ

ولكَانَ أَطْيَبُ مِنْ سَيْفِي مُعَانَقَةً أَشْبَاهَ رَوْنَقِهِ الغِيدُ الأَمَالِيدُ

لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلا كَبِدِي شَيْئاً تُتَيِّمُهُ عَيْنٌ وَلا جِيدُ

فطلب العلى هو الذي جعله يقطع الأميال (من دمشق إلى مصر)، فهو لم يعانق السيف، وأعدل عن النساء الحسان اللواتي يشبهن رونقه في بياض البشرة "لولا العلى" كانت الحجة التي دفعته إلى الإخفاق والإحباط ؛ وهي وحدها كافية للوصول به إلى ما وصل إليه ، فهو يحاسب نفسه ويكشف عن ألمه وتأسفه الخانق على حياته التي قضاها بين الحل والترحال ، فقد استعرض شريط حياته وشبابه الذي أنفقه في سبيل المجد والعلى؛ ومعناه «ولولا طلب المعالي لم تقطع بي الفلاة ناقة ولا فرس، وجعلها تجوب به لأنها تسير به وهو أيضا يجوب الفلا ة»[3]، فلم يذله حب ولم يشغله غزل «فلولا طلب العلى كنت أضاجع الجواري هذه صفتهن أطيب من مضاجعتي لسيفي »[4]، فأفضى به الأمر إلى الجد ، وقدم له الدهر نوائبه التي تسلي قلبه عن هوى العيون.

وها هو يصف حالته عند نزوله عند كافور:[5]

إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ، ضَيْفُهُمُ عَنِ القِرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ

---

[1] نفسه، ص267.

[2] نفسه، ص 506 .

[3] أبو البقاء العكبري : شرح ديوان أبي الطيب ا لمتنبي تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده ، الجزء الثاني ، ط2 ، 1376هـ_1956م ، ص 39 .

[4] أبو البقاء العكبري : شرح ديوان أبي الطيب المتنبي تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي، ص 40 .

[5] الديوان، ص 507 .

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الأَيْدِي وَجُودُهُمُ مِنَ اللِّسَانِ، فَلاَ كَانُوا وَلاَ الجُودُ

فهجاه بالكذب بوزن فعّال «كذابين» ليشدد على فعل الكذب؛ فقد كان "كافور" يعده بالمال والضيعة ولم يف بوعوده ، والشاعر في الوقت نفسه يؤكد على حضور ذاته المتميزة (إني نزلت) فهو مخلص وفيٌّ أمين، والذات الأخرى تتصف بالكذب والخداع ؛ لأنَّ "كافور: كان يكذب ولا يحسن إلى ضيفه ولا يمكّنه من الرحيل عنه وهو يجود بالمواعيد دون المال ؛ فدعا عليه وقال : (فلا كانوا ولا كان جودهم).

ويقول في هجاء كافور:[1]

مَا يَقْبِضُ المَوْتُ نَفْسًا مِنْ نُفُوسِهِمُ إِلا وفي يَدِهِ مِن نَتْنِهَا عُودُ.

فحتى الموت تعاف أن تقبض روحه مباشرة ، بل تتناولها بعود ؛ لما يمتازه من مكر وكذب وخداع، وههنا يتأثر القارئ فيشعر بالاشمئزاز من المهجو ويقول كذلك:[2]

العَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍ صَالِحٍ بِأَخٍ وَلَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الحُرِ مَوْلُودُ

لا تَشْتَرِ العَبْدَ إِلاَ والعَصَا مَعَهُ إِنَّ العَبِيدَ لأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ

مَا لَقِيْتُ أَحْسَنَنِي أَفْعَى إِلَى زَمَنٍ يُسِيءُ فيهِ لَكَلْبٌ وَهُوَ مَحْمُودُ

ولاَ تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فُقِدُوا وأَنَّ مِثْلَ أَبِي البَيْضَاءِ مَوْجُودُ

فلا ينبغي للحر أن يؤاخي العبد ، ولا أن يتعامل معه بالإحسان لسوء أخلاق العبد، فهو حتى وإن أظهر الود ليس مخلصا، ثم يتحسر على نفسه وما آلت إليه، فيقول «ما كنت أظن أن يؤخرني الأجل إلى زمان يسيء إلي فيه شر الخليقة وأن أحتاج أن أحمده وأمدحه »[3]، ثم يهزأ به ويكنيه بأبي البيضاء.

كما يقول:[4]

أَوْلَى اللِّئَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ فِي كُلِّ لُؤْمٍ وَبَعْضُ العُذْرِ تَفْنِيدُ

فهو يستعمل اسم التصغير " كويفير" فهو أحق بالعذر على لؤمه لعجزه عن المكارم ، وهذا العذر في حد ذاته تقريع وذم له، إنه يستصغر المهجو بسخط واشمئزاز واستنكار ،«وإن انتقاله المتواتر من المهجو إلى ذاته ومن ذاته إلى المهجو هو مقارنة ضمنية حافلة بالاشمئزاز

---

[1] نفسه، ص 507 .
[2] نفسه، ص507 .
[3] العكبري : شرح ديوان المتنبي، ج2 ، ص 43 .
[4] الديوان، ص 508 .

والاستنكار، وتمتد الذكرى بالشاعر إلى الفحول البيض من مثل "سيف الدولة" وغيره، ويقارن ما فعلوا به وما فعل كافور فيعذر العبد »[1]. وبهجاء "المتنبي" لـ"كافور" يحاول أن يوصل المتلقي إلى الأسبا ب والحجج التي جعلته يمدح شخصا مثله، ثم يقوم بهجائه وتقريعه ؛ حتى يبيّن للمتلقي شدة مقته له، فهو السبب في عدم تحقيق أمانيه المتمثلة في المجد والعلى.

2- <u>الأساليب البلاغية</u> :

هل يمكن ل لأساليب البلاغية أن تقوي حجاجية القول الشعري حتى يكون قادرا على الإقناع؟

تكمن أهمية الوسائل البلاغية في «تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه ، فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة ، وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام ، وتصل بين أقسامه ، أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب ؛ أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو رأي معين ومن ثم توجيه سلوكه الوجهة التي تريدها له ؛ أي أن الحجاج لا غنى له عن الجمال ، فالجمال يرفد العملية الإقناعية وييسر على المتكلم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعورية والفعل فيها »[2]، فاعتماد الشاعر على المجاز والجناس والطباق والتورية ، وما إلى ذلك من وجوه البلاغة تضفي على كلامه جمالا ورونقا وهذا الجمال يساعد على الإقناع.

وقد قرن القدامى الإقناع بالجمال فرأوا أن الشعر لا يحبب بالجدال «وإنما يعطفها عليه القبول والطلاوة ويقربه منها الرونق والحلاوة ، وقد يكون الشيء متقنا محكما ولا يكون حلوا مقبولا ويكون جيدا وثيقا وإن لم يكن لطيفا رشيقا»[3].

ومن هنا لا يستطيع الحجاج أن يستغني عن البلاغة ؛ فالوسائل البلاغية تنمي قدرة الشاعر على الإقناع، وهذا ما سيتبين لنا في الحديث عن تقنيات الحجاج "الحجج المؤسسة لبنية الواقع" تكون فيها الاستعارة و التشبيه.

تساعد الأساليب البلاغية على توجيه سلوك المتلقي عن طريق استمالته؛ فهي تعين المتكلم على ولوج عالم المتلقي الشعوري والفكري، فعندما يستعمل الشاعر الاستعارة مثلا فإنّه يؤثر على المتلقي ويقنعه بحججه ، فالاستعارة الشعرية تتميز بالقدرة على الفعل في المتلقي ؛ لأنّها تزيد الكلام رونقا وجمالا وسحرا ، و مما يؤكد «اقتران الجمال بالإقناع ، واستحالة الفصل

[1] حنا الفاخوري: الموجز في الأدب العربي وتاريخه الأدب المولد، ص426.
[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 120.
[3] الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 100 .

بينهما فالمعنى يكون مقنعا ، ولكنه يحتاج إلى جمال يوشيه ويحفظ له رونقه ويدعم فعله ، والمعنى يكون جميلا فتزداد قدرته على الفعل في المتلقي متى كان مقنعا »[1]. **1-2 الاستعارة**: كثيرا ما أتحف "المتنبي" أبياته الشعرية باستعارة أضفت عليها جمالا، وزادتها إقناعا، يقول "المتنبي":[2]

لَوْ مَرَّ يَرْكُضُ فِي سُطُورِ كُتِبَةٍ أَحْصَى بِجَافِرِهِ مِيمَاتِهَا

فالشاعر يصف ممدوحه بالفروسية «فرسه يطاوعه على ما كلفه، وخص الميم لأنّه أشبه بالحافر من جميع حروف المعجم »[3]. وهذه استعارة حيث جعل فرسه يركض في سطور ، فشبهه بالقلم الذي يطاوع صاحبه.

ويقول[4]:

نَثَرْتَهُمْ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ نَثْرَةً كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ

فهذه استعارة ووجه الشبه بين تساقط المنهزمين في الحرب كتناثر الدراهم، فهي إلى جانب إضفائها لونا جماليا تعتبر حجة عقلية ؛ لأنّ« تساقط المنهزمين على غير ترتيب ونظام كما يكون في الشيء المنثور عبر عنه بالنثر ، ونسب ذلك إلى الممدوح ، إذ كان هو سبب ذلك الانتثار؛ فالتفرق الذي هو حقيقة النثر من حيث حسن المعنى وع مومه موجود في المستعار له بلا شبهة»[5].

يقول المتنبي:[6]

إِذَا كَانَ أَغْرَاهُ السُّؤَالُ فَإِنَّنِي أَمْسَيْتُ مِنْ كَفِّي وَمِنْهُ مُعْدَمَا

وهذه الاستعارة قريبة من الحقيقة فـ « حقيقة الإثراء من الشيء كثرته عندك ، ووصف الرجل بأنه كثير المجد أو قليل المروءة، كوصفه بأنّه كثير العلم أو قليل ا لمعرفة في كونه حقيقة، وكذلك إذا قلت أثرى من الشوق أو الوجد أو الحزن»[7].

وإلى جانب الاستعارة نجد الشرط والتوكيد في "إذا"و "فإنني" أعطت القول طاقة إقناعية، تفيد شدة الوجد والشوق وإظهار ظلم الحبيبة.

---

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر، ص 122 .
[2] الديوان، ص 187 .
[3] شرح الواحدي : شرح ديوان المتنبي، مكتبة مشكاة الإسلامية، ص 344 .
[4] الديوان، ص 388 .
[5] الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 46.
[6] الديوان ،ص15
[7] الجرجاني، أسرار البلاغة ص 48 .

ويقول الشاعر في وصف ممدوحه[1] :

أَعْلِي زَوَالَكَ عَنْ مَحَلٍ رِفْعَةٌ لا تَخْرُجُ الأَقْمَارُ عَنْ هَالاتِهَا

ومعناه« قد بلغت مكانا من الشرق لا تفارقه ، فأنت فيه كالقمر في علو منزلته ، وهو لك كالهالة والقمر لا يخرج عن هالته »[2]، وتظهر الاستعارة في تشبيه الممدوح في علو محله بالقمر، والقمر لا يخرج من دائرته، كذلك الممدوح لا يزول عن شرفه.

كثيرا ما استند الشاعر باستعارة تطابق الحقيقة، فلا توهم المتلقي بل تقنعه للارتباط الشديد بين المتشابهين والمطابقة بينهما، فيقول[3]:

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضَارِعًا مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الجَوَازِمُ

ومعناه إذا نوى المتلقي أمرا فإنّه يقوم به، «فإذا كان فعلا مضارعا غير ماض، والنحويون يسمون الفعل المستقبل مضارعا، معنى ذلك الذي نويته مضى قبل أن يجزم ذلك الفعل، وأراد بالجوازم لم ولا ولام الأمر، إذا نوى أمرا يفعله مضى قبل أن يقال له لا تفعل ، لأنه يسبق ما يهم به نهي الناهين وعذل العاذلين وقبل أن يؤمر به فيقال: ليفعل كذا وليعط فلانا»[4].

2-2 التشبيه: التشبيه هو أن يماثل بين المشبه والمشبه به ، فيجعل المتلقي يعقد مقارنة بينهما ويحاول معرفة وجه الشبه بينهما، فإن أحسن الشاعر في ذلك أسهم في إقناع المتلقي بما يقول، ذلك أن التشبيه «يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما، فأحسن التشبيه ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من إنفرادهما فيه، حتى يدني بهما إلى حال الإتحاد»[5].

والشاعر يوظف التشبيه حتى يقرب الصورة إلى المتلقي، فيجعله يراها رأي العين، يقول مثلا[6]:

كَأَنَّ الجَوَّ قَاسَى مَا أُقَاسِي فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبَ

كَأَنَّ دُجَاهُ يَجْذِبُهَا سُهَادِي فَلَيْسَ تَغِيبُ إِلاَّ أَنْ تَغِيبَ

أُقَلِّبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أُعِدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَ

---

[1] الديوان، ص 187.
[2] القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 167.
[3] الديوان، ص 386.
[4] الواحدي: شرح ديوان المتنبي،ص646 .
[5] قدامة بن جعفر: نقد الشعر،ص124.
[6] الديوان، ص194.

يبين الشاعر تغيير لونه وشحوبه، فكأن الجو قد كابد ما يكابده من طول الوجد ، فتغير لونه وأسود، وكأن السهر والسهاد هو الذي يجلب الدجى، فهو يقلب أجفانه كثيرا ، كأنه يعد ذنوب الدهر الكثيرة فلا يستطيع النوم ، فهو بذلك يجعل المتلقي يتصور حالته ، ويشعر بما يعانيه ، وبالتالي فهو يقنعه بما يرمي إليه.

يقول في موضع آخر:[1]

رَقَّتْ مَضَارِبٌ فِضَّتَيْ كَأَنَّمَا يُذْبِينَ مِنْ عِشْقِ الرِّقَابِ نُحُولاَ

فشبه ملازمة السيوف للرقاب بالعشق ويبرر "الواحدي" (ت468) هذا للتشبيه ؛ لأنّ «العشق أدعى الأشياء إلى اللزوم والرقة»[2].

يقول "المتنبي":[3]

أَيُّ أَسَدٍ فِي جِسْمِهِ رُوحُ ضَيْغَمٍ وَكَمْ أُسْدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلاَبُ

لقد وظف الشاعر التشبيه البليغ ليبين شجاعة ممدوحه الذي يتمتع بقوة الجسم، وعلو الهمة، وطيب النفس، فممدوحه ينفرد بهذه الأوصاف ، لأنَّ ليس كل من تمتع بقوة الجسم تتوافر فيه هذه الأوصاف.

3-2 الكناية: وهي أسلوب بلاغي يسهم في تعميق الفكرة، ويضفي على المعنى جمالا ورونقا يؤثر على النفس، إنها «واد من أودية المبدعين وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، وطريق جميل من طرق التعبير الفني يلجأ إليها الأدباء، للإفصاح عما يدور بخلدهم من المعاني ...الكناية - إذن-اسم جامع أطلق، وأريد معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى، وهي وسيلة قوية من وسائل التأثير، والإقناع »[4]. ولقد وظف المتنبي هذا الرافد الإقناعي الهام في شعره، فقال:[5]

طَوِيلُ النِّجَادِ طَوِيلُ العِمَادِ طَوِيلُ القَنَاةِ طَوِيلُ السِّنَانِ

ويقول "الواحدي" في شرح هذا البيت «النجاد حمالة السيف، وطولها دليل على طول قامته، والعماد عماد الخيمة الذي تقوم به وذلك مما يمدح به ؛ لأنه يدل على كثرة حاشيته وزواره ،

---

[1] نفسه، ص 145.
[2] شرح ديوان المتنبي، ص 145.
[3] الديوان، ص 480
[4] رابح بوحوش: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم، عنابة، الجزائر1427-2006،ص184.
[5] الديوان، ص33.

وطول القناة يدل على قوة حاملها ؛ لأنه لا يقدر على استعمال القناة الطويلة إلا القوي »[1]. ومن هنا نجد أن هذا البيت يزخر بالكناية ؛ فحين يقول الشاعر "طويل النجاد" هي كناية عن صفة، إذ يريد أن يثبت بأنه طويل القامة، فجعل قوله"طويل النجاد" دليلا على طول قامته، والأمر نفسه ينطبق على قوله"طويل العماد" التي هي كناية تدل على السؤدد و"طويل القناة" هي كناية تدل على القوة...

فدور الكناية يكمن في إضافة معنى آخر؛ حيث تجعل المعنوي في شكل محسوس واضح، فتعطي المتلقي الحقيقة مصحوب ة بالدليل والحجة؛ لأنها تجعل الم تلقي يبحث عن معناها الضمني ويكتشفه بنفسه.

4-2 الالتفـات: يعد الالتفات أسلوبا بلاغيا هاما ورافدا من روافد الحجاج التي تساعد على الإقناع، استعمله الشاعر في شعره، ومثال ذلك قوله[2]:

وَإِفْشَاءُ مَا أَنَا مُسْتَوْدَعُ مِنَ الغَدْرِ وَالحُرُّ لاَ يَغْدِرُ

ففي قوله "والحر لا يغدر " وظف الشاعر الالتفات كحجة لإقناع المتلقي وأسلوب الالتفات هو«أن يكون الشاعر آخذا من معنى ، فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن مرادا يرد عليه قوله أو سائلا يسأله عن سببه، فيعود راجعا إلى ما قدمه أن يذكر السبب أو يحل الشك فيه»[3].

5-2 المقابلة والطباق: تعتبر المقابلة والطباق من المحسنات البديعية التي تضفي على الكلام جمالا ورونقا، وتعد كذلك حجة متوازية بين المتضادات فهي تقنية إقناعية، ومثال ذلك يقول المتنبي:[4]

فَلَنَّ قَلِيلَ الحُبِّ بِالعَقْلِ صَالِحُ وَإِنَّ كَثِيرَ الحُبِّ بِالجَهْلِ فَاسِدُ

وتعد المتضادات مثل (قليل/كثير)،(العقل/الجهل)، (صالح/فاسد) تقنية حجاجية، فهي مقابلة بين حالتين بحجج متوازية، ولقد ذكر "قدامة بن جعفر " أنّ صحة المقابلة «هي أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض المخالفة فيأتي في المواقف بما يوافق ، وفي

[1] شرح ديوان المتنبي، ص53.
[2] الديوان، ص 353 .
[3] قدامة بن جعفر : نقد الشعر، ص 150.
[4] الديوان، ص 321.

المخالف بما يخالف على الصحة ، أو يشرط شروطا ويعدد أحوالا في أحد المعنيين فيجب أن يأتي في ما يوافقه بمثل الذي شرطه، وعدده وفي ما يخالف بضده»[1].

6-2 الجناس: استعمل الشاعر الجناس والطباق في قوله:[2]

لِكُلِّ يَمَنَازِلُ فِي القُلُوبِ مَنَازِلُ أَقفَرْتِ أَنْتِ وَهُنَّ مِنكِ أَوَاهِلُ

يظهر الجناس التام في كلمتي(منازل، منازل) والطباق (أقفرت، أواهل)، فمنازل الأحبة خلت من أهلها والقلوب آهلة بها ، فأضفت المحسنات البديعية على المعنى قوة وأكسبته جرسا موسيقيا يستميل الأذن فتستلذ بسماعها، وكان لها أثر حجاجي بالغ الأهمية.

3- الإيقاع: تعد موسيقى الشعر رافدا هاما من روافد الحجاج فالوزن والقافية يستميلان المتلقي ويؤثران عليه، ويكمن دور الموسيقى الشعرية في «توفير التكافؤ في مستوى البنية الخارجية إذ تعلق الأمر بموسيقى الإطار أي بالوزن والقافية باعتبار التفعيلات، والقافية ليست سوى وحدات تتشابه وتتعاقب وفي مستوى البنية الداخلية ؛ حيث يعمد الشاعر إلى ترصيع أو جناس أو موازنة أو رد صدور الأعجاز وما إلى ذلك من مظاهر موسيقية توقع البيت وتوحد بين أجزائه، فإذا بالموسيقى عنصر هام في تحقيق اللذة التي يحدثها النزوع»[3]. وفي شعر المتنبي موسيقى تنسجم مع نفسيته ؛ فهو تقطيعا موسيقيا في داخل البيت وخارجه، يحقق الانسجام والتكافؤ، مثل قوله:[4]

أَنَا ابْنُ اللَّقَاءْ أَنَا ابْنُ السَّخَاءِ أَنَا ابْنُ الضِّرَابِ أَنَا ابْنُ الطِّعَانِ[5]

أَنَا ابْنُ الفَيَافِي أَنَا ابْنُ القَوَافِي أَنَا ابْنُ السُّرُوجِ أَنَا ابْنُ الرِّعَانِ[6]

طَوِيلُ النِّجَادِ طَوِيلُ العِمَادِ طَوِيلُ القَنَاةِ طَوِيلُ السِّنَانِ

حَدِيدُ اللِّحَاظِ حَدِيدُ الحِفَاظِ حَدِيدُ الحُسَامِ حَدِيدُ الجِنَانِ

---

[1] قدامة بن جعفر : نقد الشعر، ص 141 .
[2] الديوان، ص 177
[3] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 126 .
[4] الديوان، ص 33 .
[5] يقصد باللقاء: ملاقاة الأقران في الحرب، والضراب من ضرب السيف، والطعان من الطعن بالرمح، أي أنه صاحب هذه الأشياء لايفارقها، ينظر، عبد الرحمن البرقوقي شرح ديوان المتنبي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط 1428،2ه-2007م المجلد الثاني، ج4، ص237.
[6] الرعان: هو أنف الجبل الشاخص منه، أي أن الشاعر صاحب الجبال لكثرة سلوكه طرقها. ينظر نفسه والصفحة نفسها.

حيث تمتلك الأنغام الأسماع ، فتستولي على النفس بإبداع ، وتؤثر عليها لتحدث الإمتاع ، فالطابع الإيقاعي إلى جانب التكرار يحدث الانفعال في ذهن المتلقي ، فيكسب الخطاب نفسية حجاجية قوية .

لقد أشار "أرسطو" إلى التناسب بين الأ وزان والأنواع ا لشعرية كما رأى "حازم القرطاجني" أنّ تنوع الأ غراض الشعرية ينبغي محاكاتها «بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس، فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة ، وإن قصد في موضع آخر قصدا هزليا أو استخفافيا وقصد تحقير شيء أو العبث به ، حاكى ذلك بما يناسب من الأوزان الطائشة القليلة»[1].

وإن أهمية موسيقى الشعر تكمن في أنها تجذب أذن المتلقي ، خاصة إذا كانت ملائمة في بنيتها الداخلية والخارجية للشعر "من ترصيع وتصريع وجناس ..." فتعطي للخطاب قوة إضافية فتستميل المتلقي وتجذبه برونق الإيقاع ، فيعمل ذه نه على المقارنة والقياس ، ومن هنا فإنها تعتبر فنا من فنون الإقناع، لأنها تزيد قوة الحجاج.

ومن البنى الصرفية التي تسهم في إحداث نغمة موسيقية على المستوى الداخلي للبيت الشعري:

1-3 اسم التفضيل: ومن أمثلة توظيف الشاعر لاسم التفضيل قوله:[2]

وَأَتْعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لاَ يُجِيبُهُ وَأَغْيَظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لاَ يُشَاكِلُ

ففي توظيفه لاسم التفضيل نغمة مو سيقية خاصة تبين شدة مقته للهجر ، وتكرار استعمال اسم التفضيل في البيت نفسه أعطاه تقطيعا خاصا متوازيا في الشطرين.

2-3 اسم الفاعل: ويقول:[3]

لِسَانِي بِنُطْقِي صَامِتٌ عَنْهُ عَادِلُ وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلُ

ففي هذا البيت توزيع موسيقي محكم (لساني بنطقي/قلبي بصمتي) (صامت عنه عادل.. ضاحك منه هازل). وتوظيف لأسماء الأفعال؛ أضفت على البنية الداخلية للوزن مسحة جمالية

[1] منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ص 266 .
[2] الديوان، ص 377 .
[3] نفسه، ص 377.

تشد الأذان وتسرتميلها، ويقصد في هذا البيت أنه «يعدل عنه أي عن المهجو لساني فلا أكلمه ولا أهاجيه؛ لأنّي لا أراه أهلا لذلك وقلبي يضحك منه ويهزل وإن كان صامتا»[1].

ويقول المتنبي:[2]

مُعْطِي اللَّوَاعِبِ وَالجُرْدِ السَّلاَهِبِ وَالـ بِيضِ القَوَاضِبِ والعَسَّالَةِ الذُّبُلِ

فَنَحْنُ فِي جَذَلٍ والرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالبَرُّ فِي شُغْلٍ وَالبَحْرُ فِي خَجَلٍ

فالممدوح يعطيه الجواري والخيل الطويلة والرماح فهو أجود من البحر ، ثم يصف حالته بعد الحرب، والمسلمون في فرح والروم في خوف من غ زواته، مشتغل بجيشه والبحر في خجل، لأنه أجود منه، وقد أسهم التوزيع الموسيقي في البيتين في الانتباه واستمالة المتلقي لسماعه .

ويقول في موضع آخر:[3]

الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ والسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ وَأَرْضُهُمْ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعُ

وفي شرح هذا البيت يقول الواحدي :«الدهر معتذر إليك مما فعل، يعني من ظفر الروم بأصحابه، والسيف ينتظر كرتك عليهم فيشفيك منهم وأرضهم لك منزل صيفا وربيعا...»[4].

وما زاد جمال المعنى رونقا ؛ الإيقاع الذي تلذ لسماعه الآذان (معتذر، منتظر، مرتبع) ففي توظيف الشاعر لاسم الفاعل نغمة موسيقية خاصة، فهي تزيد المعنى قوة وجمالا، وفي قوله:[5]

الفَاعِلُ الفِعْلَ لَمْ يَفْعَلْ لِشِدَّتِهِ والقَائِلُ القَوْلَ لَمْ يَتْرُكْ وَلَمْ يَقُلِ

وَالبَاعِثُ الجَيْشَ قَدْ غَالَتْ عَجَاجَتُهُ ضَوْءَ النَّهَارِ فَصَارَ الظُّهْرُ كَالطِّفْلِ

ويقول في موضع آخر:[6]

وصَاحِبَ الجُودِ مَا يُفْلُوقُهُ لَقُ كَانَ لِلجُودِ مَنْطِقٌ عَذْلُهْ

وَرَاكِبَ الهَوْلِ لا يُفْتُوهُ لَقُ كَانَ لِلهَوْلِ مَحْزَمٌ هَزَلُهْ

وقوله:[7]

---

[1] الواحدي، شرح ديوان المتنبي ص 634
[2] الديوان، ص 337 .
[3] الديوان، ص 315 .
[4] الواحدي : شرح ديوان المتنبي ، ص 542 .
[5] الديوان، ص 275 .
[6] نفسه، ص 250 .
[7] نفسه، ص250.

القَاطِعُ الوَاصِلُ الكَمِيلُ فَلاَ بَعْضُ الجَمِيلِ عَنْ بَعْضِهِ شَغَلَهْ فَوَاهِبُ

والرِّمَاحُ تَشْجُرُهُ وطَــاعِنٌ الهِبَـاتُ مُتَّصِلَهْ

3-3 اسم المفعول: ومن جمالية التوزيع الموسيقي، قول الشاعر في مدح "سيف الدولة":[1]

فَيَا أَيُّهَا المَطْلُوبُ جَاوِرْهُ تَمْتَنِعْ وَيَا أَيُّهَا المَحْرُومُ يَمّمْهُ تُرْزَقِ

وَيا أَجْبَنَ الفُرْسَانِ صَاحِبْهُ تَجْتَرِئْ وَيا أَشْجَعَ الشُّجْعَانِ فَارِقْهُ تَفْرَقِ

فنلاحظ توازنا موسيقيا مقسما على شطري البيت بين اسم المفعول وفعل الأمر والنداء واسم التفضيل وجواب الشرط (جواره تمتنع، يمّمه ترزق) و(صاحبه تجترئ ، فارقه تفرق) وهذا ما يجذب اللآذان للاستماع، والنفس للإقناع.

3-4- بنية التكرار :

يشكل التكرار عنصرا بالغ الأهمية في الحجاج ، فهو يعرض الخطاب عرضا ح جاجيا لإبراز شدة حضور الفك رة المقصود إيصالها والتأثير بها ، ومن طرائف العرض ذاك الأثر الحجاجي، كما يقول "بيرلمان وتيتكا"(Perelman et Tyteca) كثرة إيراد الحكايات الدائرة حول موضوع واحد ، وإن تعارضت هذه الحكايات وتضاربت ، فهذا من شأنه أن يلفت الانتباه إلى أهميةِ الموضوع ، كما تتمثل قوة التراكم الحجاجية في كثرة الإشارات إلى الدقائق والرقائق المتعلقة بذلك الموضوع تكثيف لحالة الحضور التي نريد أن ي تسم بها موضوعنا في ذهن السامعين، ولإحداث الانفعال أيضا، فكلما كان الموضوع مخصوصا كان أبعث على الانفعال[2].

وها نحن نجد في شعر "المتنبي" توظيفا للتكرار في ثنايا قصائده، حيث يوفر التكرار طاقة مضافة إلى الحجج فتؤثر على المتلقي ، وتساعد على إقناعه أو حمله على الإذعان. كما أن التكرار يفيد التأكيد وترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي بعد تبليغه وإفهامه ، فتكرار اللفظة ذاتها أكثر من مرة يعد أسلوبا من أساليب الإقناع، كقول المتنبي:[3]

هَنِيئًا لَكَ العِيدُ الذِي أَنْتَ عِيدُهُ وُعِيدٌ لِمَنْ سَمَّى وَضَحَّى وعَيَّدَا

فهو يهنئ "سيف الدولة" بالعيد ويكرر لفظ (العيد) فيصفه بها إشادة بذك ره وتفخيم ا له في القلوب والأسماع.

---

[1] نفسه، ص 348 .

[2] ينظر إبراهيم عبد المنعم إبراهيم ، بلاغة الحجاج في الشعر العربي ، شعر ابن الرومي نموذجا ، مكتبة الآداب القاهرة الطبعة الأولى، 2007م، ص 102-103 .

[3] الديوان، ص 372 .

ويقول:[1]

تَفْضَحُ الشَّمْسَ كُلَّمَا ذَرَتِ الشَّمْـ سَ بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاء

إِنَّ ثَوْبَكَ الذِي المَجْدُ فِيهِ لَضِيَاءٌ يَزْرِي بِكُلِ ضِيَاء

إِنَّمَا الجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيِضَاضُ الـ ـنَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ ابْيِضَاضِ القُبَاء

فالشاعر يمدح كافور الإ خشيدي، ويوظف التكرار الذي يلح فيه على أن الجما ل جمال الروح والنفس؛ ويركز على "الضياء، الشمس، ابيضاض، لتضفي على المعنى قوة حجاجية.

وفي الاعتذار يؤكد الشاعر للمتلقي توبته بطريقة تقنع المتلقي وتستميله يقول : [2]

وَإِنْ كَانَ ذِنْبِي كُلَّ الذَّنْبِ فَإِنَّهُ مَحَا الذَّنْبَ كُلَّ المَحْوِ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ

وقال الشاعر يعزي سيف الدولة بعبده " يماك"[3]:

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى بَكَى بِعُيُونٍ سَرَّهَا وَقُلُوبِ

وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ الدَّفِينُ حَبِيبَهُ حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبُ حَبِيبِي

فكرر لفظه " بكى" من أجل تدعيم النفس التفجُّعي، وتأكيد للحرقة والألم ثم عاود ذكر كلمة حبيب ليؤكد محبته للمرثي وصدق شعوره نحوه، فزاد في الحجاج قوة وإقناعا.

ويقول في موضع آخر:[4]

فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوَقِي وَكَثِيرٌ مِنْ البَلِيغِ السَّلَامِ

وفي شرح هذا البيت يقول الواحدي «توقاه الشجاع وحفظ نفسه منه فذلك منه كثير، والبليغ إن أمكنه أن يسلم عليه فذلك غاية بلاغيته»[5] فكرر لفظة " كثير" ليلح على الكثرة.

يقول المتنبي:[6]

وَيَسْتَشْعِرُونَ الدَّهْرَ وَالدَّهْرُ دُونَهُ وَيَسْتَعْظِمُونَ المَوْتَ وَالمَوْتُ خَادِمَهُ

فتكرار لفظتي "الدهر والموت" تفيد التعظيم، فهو يمدح المتلقي لأنّ أعظم ا لأمور رهن إشارة الممدوح وطوع له، يقول "الواحدي" في شرح هذا البيت «هم يعدون الده ر كبير الأمر عظيم الشأن لإتيانه بحوادث الخير والشر والدهر دونه، لأنّه طوع له ويستعظمون الموت لأنه

---

[1] نفسه، ص 447 .
[2] الديوان، ص 335 .
[3] نفسه، ص 322 .
[4] نفسه، ص262 .
[5] شرح الديوان المتنبي ص 461 .
[6] الديوان، ص 260 .

أعظم حادث والموت خادمه لأنّه يطيعه في أعدائه »[1]، وهذا ما يكشف عن قيمة التكرار الإقناعية.

كما يقول في الهجاء:[2]

إِنْ مَاتَ مَاتَ بِلاَ فُقْدٍ وَلاَ أَسَفٍ أَوْ عَاشَ عَاشَ بِلاَ خَلْقٍ وَلاَ خُلُقٍ

فتكرار لفظتي "مات، عاش" تفيد عدم أهمية وفاة المهجو أو حياته فزادت في قوة هجائه.

ويقول في هجاء "اسحق بن كَيْغَلغ:[3]

وليْسَ جَمِيلاً عِرْضُهُ فيَصُونُهُ وليْسَ جَمِيلاً أَنْ يَكُونَ جَمِيلاَ

فعِرضه ليس جميلا حتى يستحق الصيانة ، وكذلك لا يحسن أن يكون عرضه مثله جميلا فأسلوب التكرار في هذا البيت يجعله يضطلع بدور حجاجي هام.

كما يقول "المتنبي" مادحا "علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي"[4]:

وَكَمْ مِنْ جَبَلٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّنِي الـ جِبَالُ وَبَحْرٌ شَاهِدٌ أَنَّنِي البَحْرُ

....

وَيَوْمٍ وَصَلْتَاهُ بِلَيْلٍ كَأَنَّمَا عَلَى أُفُقِهِ مِنْ بَيْنِ حُلْكٍ حُمْرُ

وَلَيْلٍ وَصَلْتَاهُ بِيَوْمٍ كَأَنَّمَا عَلَى مَتْنِهِ مِنْ دُجْنِهِ حُلَلٌ خُضْرُ

وَإِنْ سَحَابٌ جُودُهُ مِثْلَ جُودِهِ سَحَابٌ عَلَى لُؤْمِ السَّحَابِ فَخُورُ

....

فَتًى يَضْرَمُ القَلْبَ هِ مَاتُ قَلْبِهِ وَلَهُ ضَرَمَاهُ قَلْبٌ لَمَا ضَرَمَتْهُ صَدْرُ

....

فَحَيْثُكَ دُونَ الشَّمْسِ والبَدْرِ فِي الرُّبَى وَدُونَكَ فِي أَحْوَالِكَ الشَّمْسُ وَالبَدْرُ

كَأَنَّكَ يَدُ المَاءِ لاَ عَيْشَ دُونَهُ وَلَوْ كُنْتَ يَدَ المَاءِ لَمْ يَكُنِ العَشْرُ

ففي هذه القصيدة وظف الشاعر التكرار في أكثر من بيت فأضفى عليها انسجاما في السبك، وترابطا بين أجزاء النص ، وقوة حجاجية تتمثل في الإلحاح على المعنى وتأكيده ، ذلك أنّ التكرار يحدث نوعا «من السبك اللفظي والحبك المعنوي في القصيدة بأسرها وتوفير أقصى

[1] شرح ديوان المتنبي، ص 458
[2] الديوان، ص 234 .
[3] نفسه، ص 233 .
[4] نفسه، ص 190-191 .

درجات المعايير النصية فيها – كما تذهب النظرية النقدية المعاصرة حول علم لغة النص – بتوفير أقصى درجات التواصل والتتابع والترابط بين الأجزاء المكونة للنص»[1].

فترديد الشاعر للفظتي الجبال والبحر ترسخ فكرة افتخاره بنفسه في العلو والجود فتترسخ في ذهن المتلقي الذي يدرك معانيها ويفهم مقاصدها ، كما نلاحظ تكرار ا لروابط الحجاجية (الواو، كأنما، أنني ، على...) وهذا ما يجعل الخطاب متناغما بين أجزائه وأكد الوحدة بين الأقسام، كما قد كرر الشاعر شطرا بكامله ليوهم المتلقي بأنه غيّ ر المعنى لكنه يؤكد على المعنى (ويوم وصلناه بليل كأنما)،(وليل وصلناه بيوم كأنما...).

ولقد كرر ألفاظ ا أخرى في القصيدة نفسها (سحابا، القلب ، ضم ،الشمس و البدر، برد الماء..) لتدل على الجود، وعلو مكانة الممدوح، وحب الشاعر له...

4- الأساليب الإنشائية :

تضطلع الأساليب الإنشا ئية بدور بالغ الأهمية في الحجاج ؛ إذ تنبني الحجة على أسلوب إنشائي حيث تثير العواطف والأحاسيس ، فالأسلوب الإنشائي فعل كلامي لا ينقل واقعا ولا يحتمل الصدق أو الكذب ، بل تسبب فعلا تأثيريا هاما في الحجاج، قد يكون هذا الفعل "تهديدا أو خوفا، ألما، فرحا " خاصة إن تضمنت فعلا كلاميا غير مباشرا ، فتجعل المتلقي يتمعن في القول ويحلله في ذهنه ليكشف عن قصد المحتج فيقتنع بأطروحته ومن الأساليب الإنشائية:

1-4 السؤال: وعندما يطرح الشاعر سؤالا ، فإنّه يجعل المتلقي يتخذ قرارً ا عند الإجابة، ومن هنا تظهر قيمة السؤال الحجاجية : «لما كان الكلام إثارة أو استدعاء له ، فإنه يولد بالضرورة نقاشا ومن ثمة حجاجا فإذا بالكلام والحجاج متصلان على نحو عميق وإذا بالحجاج ماثل في كل نوع من أنواع الخطاب»[2]. فالسؤال وسيلة لإثارة المتلقي ودفعه إلى إعلان رأيه نحو قضية معينة ، فتجعل المتكلم قائدا للخطاب يوجه خطابه كيفما شاء ليستنتج المتلقي ما يريده هو. يقول المتنبي مادحا سيف الدولة:[3]

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتُقُ مُقْدِمٌ وَقَفْلَهُ عَلَى الإِقْدَامِ لِلْفَرْجِ لاَئِمُ

أَيُنْكِرُ رِيحَ اللَّيْثِ حَتَّى يُذُوقَهُ وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللُّيُوثِ البَهَائِمُ

[1] إبراهيم عبد المنعم إبراهيم ، بلاغة الحجاج في الشعر العربي ، شعر ابن الرومي نموذجا، ص 105 .
[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 141 .
[3] الديوان، ص 388 .

ففي هذا السؤال قوة حجاجية تتمثل في تسليم المتلقي بافت راضات المتكلم وتجعله يقر بصحتها، فالسؤال في البيتين يجعل المتلقي يقر بشجاعة الممدوح وإقدامه وجبن أعدائه ؛ فكل الناس عرفوا شجاعته إلا "الدمستق" الذي لم يعرفها حتى جرّ أذيال الهزيمة وأعباء الخيبة.

ويقول الشاعر:[1]

إلامَ طَمَاعِيَةَ العَاذِلِ ولا رَأْيَ فيِ الحُبِّ لِلعَاقِلِ

أَيُنْكِرُ خَدِّي دُمُوعي وَقَد جَرَتْ مِنْهُ في مَسْلَكِ سَابِلِ

أأَوَّلُ دمْعٍ جَرى فَوْقَهُ وأَوَّلُ حُزْنٍ عَلَى راحِلِ

يتساءل الشاعر إلى متى يطمع العاذل أن أسمع نصحه، والعاقل إذا وقع في الحب لم يبق له رأي فـي أمر نفسه، ثم يقدم حججا على شدة حزنه ، فيجعل المتلقي يقر بصحة افتراض الشاعر.

ويقول في اعتذاره لسيف الدولة:[2]

أَلا مَا لِسَيْفِ الدَوْلَةِ اليَوْمَ عَاتِبَا فَدَاه الوَرى أَمْضى السُيُوفَ مَضَارِبَا

ومَالِي إِذَا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَه تَنَائِفَ لا أَشْتَاقُها وَسَبَاسِبَا

ويعني بالسباسب الفلوات، كما تظهر النزعة الفلسفية التساؤلية في شعر المتنبي، وخاصة في الرثاء، يقول مثلا في رثاءه لـ"أبي شجاع فاتك":[3]

حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ في الظُّلُم ومَا سُراهُ على خُفٍّ ولاَ قَدَمُ

فيتساءل الشاعر إلى متى وهو في حل وترحال يسري في الليل، والليل لا يسري على خفٍّ كالإبل، ولا على قدم كالناس ولا يتعبهم.

وقد يكون الفعل الكلامي غير المباشر للاستفهام السخرية خاصة في الهجاء، مثل قول المتنبي:[4]

مِنْ أَيَّةِ الطُّرُقِ يأْتِي مِثْلَكَ أَيْنَ المَحَاجِمُ يَا كَافور والجَلَمُ

2-4 الأمر والنهي: ويعد أسلوبا **الأمر والنهي** فرّين من فنون الإقناع، فكل قول له فعل إنجازي كما يسميه "أوستين Acte illocutionnaire وفعل تأثيري Acte perlocutionnaire

[1] الديوان، ص269.
[2] نفسه، ص335.
[3] نفسه، ص495.
[4] نفسه، ص 502.

فيكتسب القول بذلك قوة حجاجية ؛ لأنه يوجه الخطاب إلى هدف واحد هو الإقناع ، ومن أمثلة ذلك يقول "المتنبي" مادحا "سيف الدولة":[1]

رُوَيْدَكَ أَيُّهاَ المَلِكُ الجَلِيلِ تَأَنَّ وَعُدَّهُ مِمَّا تُنِيلُ.

فالفعل الكلامي هنا هو الأمر، لكن الفعل الإنجازي المقصود هو الطلب والدعاء فلا يعقل أن يأمر الشاعر الملك ؛ لأنه أقل منزلة بالنسبة له فهو يدعوه للبقاء والمكوث، ويجعل بقاءه كرما منه وعطاءً.

ويقول في موضع آخر:[2]

خُذُوا مَا أَتاَكُمُ بِهِ واعْذِرُوا فَإنَّ الغَنِيمَةَ في العَاجِلِ

وَإنْ كَانَ أَعْجَبَكُمْ عاَمُكُم فَعُودُوا إلى حِمْصَ في القَابِلِ

فالشاعر يشيد بشجاعة الممدوح الذي أنقذ "أبا وائل" من قبضة الأعداء، فاستجاب له سيف الدولة، ولصيغة الأمر في البيتين فعلٌ إنجازي متمثلا في الدعوة، والفعل التأثيري هو الاستهزاء والسخرية، ومن ثمة تبدو صلتها بالحجاج وثيقة ، ففي شرح ال بيتين يقول "الواحدي": «يستهزئ بهم يقول اعذروه فيما أتاكم به من ضمان أبي وائل ، وخذوه فإنّ الغنم فيما عجل لكم وما تأجل وتأخر لعله لا يصل إليكم»[3].

وفي الهجاء، يقول المتنبي:[4]

لاَ تَشْتَرِ العَبْدَ إلاَ والعَصا مَعَهُ إنَّ العَبيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكيدُ

فالفعل الإنجازي هو النهي، يريد سوء أخلاق العبد وأنه لا يصلح إلا على الضرب والإهانة؛ لذلك فإنّ الفعل التأثيري هو السخرية والاستهزاء. ويقول في موضع آخر:[5]

سِرْ! حلّ حَيْثُ تَحلُهُ النُّوارُ وَأَرَادَ فيكَ مُرادَكَ المِقْدار

فهو يطلب من ممدوحه السير لنصرة أخيه، ويدعو له أن يسقي الله الموضع الذي يحله حتى ينبت الزهر ، وأن توافقه الأقدار على ما يريده، فالفعل الكلامي هو الأمر، والفعل الإنجازي هو الدعاء، والفعل التأثيري هو الاحتجاج بأنّ الممدوح له من الشجاعة والإقدام ما يخول له الانتصار عند تلبية دعوة أخيه.

---

[1] الديوان، ص263.
[2] نفسه، ص271.
[3] الواحدي ، شرح ديوان المتنبي، ص477.
[4] الديوان، ص507.
[5] نفسه، ص277.

والملاحظ أن للروابط الحجاجية أثراً بالغ الأهمية في تحديد المعنى وتوجيه القصد مثلما هو الشأن في أدوات النهي والأمر والاستفهام وسائر الأساليب الإنشائية، وهذا ما سنتناوله في الفصل الموالي.

5-الأساليب المغالطية:

أشار "حازم القرط اجني" إلى حاجة الخطيب والشاعر كليهما إلى بعض الوسائل الحجاجية الإقناعية، ووسمها بالتمويهات والا ستدراجات فـ«إنّما يصير القول الكاذب مقنعا وموهما أنّه حق بتمويه ات واستدراجات ترجع إلى القول أو المقول له، والاستدراجات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يحتاج فيها إلى تقوية الظنون في شيء ما»[1].

وقد ميز بين التمويهات والاستدراجات ، فالأولى تكون في ما يرجع إلى الأقوال والثانية «تكون بتهيؤ المتكلم لهيئة من يقبل قواه أو باستمالة المخاطب واستلطافه له بتزكيته وتقريضه أو بإطبائه إياه لنفسه وإحراجه على خصمه؛ حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم، وكلام خصمه غير مقبول »[2]، فالتمويهات تبنى على مقدمات توهم الس امع بأنها صادقة وتلهيه عند تفقده لموضع الكذب فتنشغل نفسه بالإبداعات البلاغية.

فالشاعر قد يستعمل أساليب لمخادعة المتلقي وإيهامه بصدق ما يقوله وصحة ما يصوره، بطريقة يجعل الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق.

والمغالطة «أسلوب شائع عند الشعراء وسبيلا يطرقونها في شتى المواضيع والمناسبات ومردّ ذلك في رأينا إلى كون الشعر عدولا عن المألوف وخروجا عن المعتاد من الكلام بما يعنيه ذلك من تب ديل للنظرة إلى الكون »[3]، فيعتمد الشاعر على الأساليب المغالطية كتقنية حجاجية تساعده على بلوغ مقصده و التأثير على مخاطبه وحمله على الإذعان.

وتعتبر الأساليب المغالطية أعلى رتب البلاغة، والشاعر باعتماده على المغالطة ؛ فإنه يتجنب الإيغال في التعقيد، فهو يوه م المتلقي بأمور كثيرة لكن بلطف حرصا منه على جمال القول وحسنه، فيكون مبدعا في قوله مقنعا برأيه، وهذه المغالطات المستعملة ما هي في الحقيقة إلا حجج ترمي إلى الإيقاع بالمتلقي واستدراجه، وبالتالي حمله على الإذعان.

---

[1] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص63.
[2] حازم القرطاجني:منهاج البلغاء وسراج الأدباء،ص64.
[3] سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص129.

يقول المتنبي:[1]

وماَ مُقَـامي بِأَرْضِ نَخْلةٍ إلا كَمُقَـامِ المَسِيحِ بَيْنَ اليَهودِ

لَأمَـةٌ فاضَـةٌ أَضـاةُ دِلاصٌ أَحْكَمَتْ نَسْجَها يَدَا دَاوود

فيصور الشاعر غربته في قرية بعلبك(نخلة) ، ويشبه نفسه بالنبي عيسى "عليه السلام"، ثم ينتقل إلى وصف الدرع الواسعة، ويشبهها بدرع النبي داود" عليه السلام".

كما يقول كذلك:[2]

قَواضٍ مَواضٍ نَسْجَ دَاوود عِنْدَها إِذَا وَقَعَتْ كَنَسْجِ الخَرَنْدَقِ.

فالشاعر يصف تلك القواتل النوافذ بأنّها إذا وقعت في درع الأبطال خرقتها ، كما تخرق نسج العنكبوت. وما يلاحظ على شعر "المتنبي" يشبه نفسه بالأنبياء حتى قيل بأنّه سمي بهذا اللقب لهذا السبب[3].

كما يستعير الشاعر من قوة القصص القرآني، وهذا ما يسمى "بالاقتباس" يقول:[4]

أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ في ثَمُودْ.

فهو يشبه نفسه بالنبي"صالح" "عليه السلام" ليضفي على خطابه قوة وتأثيرا، حيث تتمثل وظيفة الاقتباس الحجاجية في أنّ الشاعر «يلون ذلك التركيب ما حوله، ويشيع فيه من القوة ما يرفد طاقة ويوجه المتلقي إلى غايته... ليجعل المقتبس منصهرا تمام الانصهار في نسيج الشعر وملائما تمام الملاءمة لبنيته الصوتية حتى يكون الفعل تاما، والتأثير المرجو حاصلا»[5].

يقول "المتنبي" في رثاء "محمد بن إسحاق التنوخي":[6]

ماَ كُنْتُ أَحْسَبُ قَبلَ دَفْنَكَ في الثّرى أنّ الكَوَاكِبَ في التُرابِ تَغُور

ماَ كُنْتُ آمُلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أرَى رَضْوَى على أَيْدي الرِّجالِ تَسيرُ

خَرَجُوا بِه ولِكُلِّ بَـاكٍ خَلْفَـهُ صَعَقَاتُ مُوسى يَوْمَ دُكَّ الطُّورُ

فجعل المرثي كوكبا وجبلا مبالغةً في الوصف، محاولا تصوير مقدار الألم والحزن الذي أصاب أهله، الذين أصابتهم الصعقة وهي ذهاب العقل والغشية، فيصور لنا مرأى ذهابهم لد فن

---

[1] الديوان، ص20.
[2] نفسه، ص346.
[3] ينظر مصطفى سبيتي: شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، ص4.
[4] نفسه، ص22.
[5] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص118.
[6] الديوان: ص،71.

فقيدهم، بتفجع وتألم، فيشبه الحادثة بما جرى للنبي "موسى"عليه السلام يوم هدّ الجبل، وهذا التمثيل والاقتباس أسهم في تقوية الحجاج فكان أبلغ وأوقع في النفوس.

وفي القصيدة نفسها يقول الشاعر:[1]

كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بِرَدِّ حَيَاتِهِ لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّه مَنْشُورُ

وكَأَنَّمَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ذَكَّرَهُ وكَأَنَّ عَازَرَ شَخْصُهُ المقْبُورُ

و"عازر" هو رجل من بني إسرائيل، وهو الذي أحياه الله لعيسى ابن مريم "عليه السلام"، فصور الشاعر صفات الميت والثناء عليه بما فيه من مزايا وخصال حميدة، فكأنّه حي بينهم لم يمت؛ لأنّ الناس مازالوا يذكرون خصاله ، فأضفى عليها طابعا حجاجيا خاصا ، حين قرن الخصال بإحياء الميت وبتشبيهه لعازر.

وقال "المتنبي" يمدح "محمد بن زريق الطرطوسي"[2]:

لَوْ كَانَ ذُو القَرنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ لَمَا أَتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسَا

أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأْسَ عَازَرَ سَيْفَهُ في يَوْمَ مَـعْرَكَةٍ لَأَعْيا عيسى

أَوْ كَانَ لُجُّ البَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ ماَ انْشَرَقَّ حتَّى جازَ فيهِ موسى

أَوْ كَانَ للنِّيرانِ ضَوْءَ جَبِينِهِ عُـبِّدْتَ فَكَانَ العَالَمُونَ مَجُوسَا

ففي الأبيات الثلاثة الأولى وظف الشاعر ثلاث قصص مقتبسة من القرآن الكريم (ذو القرنين، قصة "عيسى" عليه السلام، قصة "موسى" عليه السلام يوم انشق البحر) وجعل الممدوح في البيت الرابع أعلى درجة من المشبه به (النار) على سبيل المبالغة فجعل الممدوح أفضل الناس جميعا، وهذا ما يساعده على بلوغ غايته وهي إقناع المتلقي بأنه أحسن الشعراء في المدح فينال رضا الممدوح وهداياه ، وقال يمدح عضد الدولة:[3]

مَلاَعِبُ جِنَّةٍ لوْ سَارَ فيها سُلَيْمَانُ لَسار بتُرجُمَانِ

فقد جعل الشاعر الناس كالجنة لشجاعتهم في الحرب ، ولا يعرف الفتى العربي لغة تلك البلاد. وتشكل هذه التعابير الجاهزة التي اعتمدها الشاعر «جزءا من الذاكرة الجماعية والثقافية

[1] نفسه، ص72.
[2] نفسه، ص59.
[3] الديوان، ص541.

المشتركة على أنّ الفرق بين هذه التعابير الجاهزة والأمثال أنها لا تعود إلى مصدر المحبب أو حادثة معينة؛ بل إنها تعابير تواتر استعمالها فغدت معروفة مفهومة»[1].

ومن أمثلة هذه التعابير الجاهزة حرق الناب دلالة على الغض ب، وعض الأصابع تعبيرا عن الندم، وهي ما يسم يها "سيرل" Searle معنى كلاميا غير مباشر وما تسميها البلاغة بالكناية، يقول "المتنبي":[2]

وَلاَ تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فَقَدُوا وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي البَيْضَاءِ مَوْجُودُ.

فكنى "كافور" بأبي البيضاء سخرية منه لأنه أسود ، ولقد كان في مد حه يكنيه بأبي المسك لسواده يقول:[3]

أَبَا المِسْكِ ذَا الوَجْهُ الذِي لَكُنْتَ سَلِيقًا إِلَيْهِ وَذَا اليَوْمُ الذِي لَكُنْتَ رَاجِيًا

ويقول الشاعر:[4]

فَلاَ تَسْمَعَنَّ مِنَ الكَاشِحِينَ وَلاَ تَعْبَأَنَّ بِعِجْلِ اليَهُودِ.

ويقصد بالكاشح الذي يضمر العداوة وأراد بعجل اليهود الخرافات تشبيها بالعجل الذي يسكنه النار في أيام هارون ؛ فيدعو المتلقي إلى عدم المبالاة بالخرافات التي يضمرها الأعداء فأكسب المعنى قيمة حجاجية بالغة الأثر.

ثالثا: تقنيات الحجاج في شعر المتنبي :

إن مجال الحجاج هو النسبي المحتمل فلا يكون النقاش إلا في موضع الشك ، وقد يبدأ المحتج بمقدمات متفق عليها ولكنها ليست بالضرورة صادقة لتقضي إلى نتائج ملزمة ؛ بل هي ممكنة الوقوع لذلك يمكن للشاعر أن ينطلق من وقائع مواضع تشكل محل اتفاق مبدئي.

ومن المعاني المتفق عليها التي يعتمد ع ليها الشعراء في مقام المدح أربع فضائل ذلك «أنه لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان على ما عليه أهل الألباب مع الاتفاق في ذلك إنما هي العقل والشجاعة والعدل والعفة

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 117 .
[2] الديوان، ص 507 .
[3] نفسه، ص443.
[4] نفسه، ص 54 .

كان القاصد يمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيبا والمادح بغيرها مخطئا»[1]. حيث يجمع العرب اتفاقهم على توفر هذه القيم والخصال في الممدوح.

وفي تناول هذه القيم والفضائل لابد من الاعتدال، فإذا اعتمد عليها الشاعر كان من الغلو والمبالغة، وليس حقيقة مطلقة ، ففي كل قيمة درجات ، وهذا ما يفرض على المحتج حسن اختيار المقدمات حتى يكون الخطاب متناغما ومتجانسا ومنسجما.

وهناك ثلاثة أنماط للحجج: الحجج شبه المنطقية، والحجج المؤسسة لبنية الواقع، والحجج المبنينة للواقع، ويندرج تحت كل نوع مجموعة من الأقسام:

1/ الحجج شبه المنطقية :

تتصف هذه الحجج بكونها مشابهة للمنطقية؛ لأنها غير ملزمة، فإذا كانت البرهنة ملزمة فهي صائبة أو خاطئة ، أما في الحجاج فيكون ذا درجات قد تكون قوية أو ضعيفة، يقول **"بيرلمان"** Perelman" عن هذه الحجج: «إنها حجج تدعي قدرا محددا من اليقين من جهة أنها تبدو شبيهة بالاستدلالات الشكلية المنطقية أو الرياضية ، ومع ذلك فإنّ من يخضعها إلى التحليل ينتبه في وقت قصير إلى الاختلافات بين هذه الحجج والبراهين الشكلية»[2]، وهذا يعني أن الحجج شبه المنطقية تستند إلى مبدأ منطقي ؛ كالتطابق أو التعدية أو التناقض ، وتتراكم الحجج الموافقة لتقويتها لتصبح شبيهة بالاستدلال المنطقي.

1-1 الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على البنى المنطقية:

1-1-1 التناقض وعدم التناسب :

قد يأتي المحتج بقضية فيؤكدها ثم يأتي بنقيضها، حيث يلجأ إلى الدفاع عن أطروحته مبينا أنها تتعارض مع أخرى ؛ كأن يؤكد المتنبي في عتابه لسيف الدولة أنه لا يمكن أن يتفق مع العدل؛ بل يتصل بالظلم، فلا يجوز أن تجتمع صفة الحكم والخصم في شخص واحد يقول:[3]

يا أَعْدَلَ النَّاسِ إلاَ فِي مُعَامَلَتِي فِيكَ الخِصَامُ وَأَنْتَ الخَصْمُ والحَكَمُ

إذ يستغرب الشاعر أن يكون "سيف الدولة" قد اتخذ موقفا مناقضا؛ فهو الخصم والحكم في آن واحد، وهذا ليس من العدل.

---

[1] قدامة بن جعفر : نقد الشعر ص 66.
[2] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 191 .
[3] الديوان، ص 332 .

ومن أمثلة التناقض في اللغة اليومية أن ينصح الآباء أبناءهم بالابتعاد عن الكذب وتجنبه، ثم يأمرونهم به، وهذا الأمر غير متفق، وهذا ما نلاحظه مع المتنبي أيضا؛ حيث ينكر اجتماع صرفة الحب واللوم في شخص واحد يقول:[1]

فَوَ مَنْ أُحِبُّ لأَغْصِبَنَّكَ فِي الهَوَى قَسَمًا بِهِ وبِحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ

أَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلاَمَةً ؟ إِنَّ المَلاَمَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

فصفة اللوم تكون للعدو لا للحبيب، وهذه حجة التناقض، وقد تظهر حجة التناقض بشكل جلي في الطباق بين المتضادات كأن يقول "المتنبي":[2]

وَلَهُنَّهُ يَأْتِي بِكُلِّ غَرِيبَةٍ تَؤُوقُ عَلَى اسْتِغْرَابِهَا وَتَهُولُ

فمن الأمر الغريب أن يعجب به ويخيفه في آن واحد .

2-1-1 التماثل والحد في الحجاج :

قد يكون للكلمة نفسها تحديدات متنوعة، فتكون الحجة في تحديد وضبط المفهوم للمصطلح نفسه، ذلك أن «الألفاظ [أو المصطلحات] المرتبطة بعلاقة ما توجد في حال تفاعل دائم ليس فقط مع مجموعة من الألفاظ من نفس اللغة أو اللغات الأ خرى التي يمكن أن ترتبط بالأولى ، ولكن يمكن أن ترتبط مع مجموع التحديدات الممكنة الأخرى لنفس المصطلح، وهذه التفاعلات لا يمكن إلغاؤها ؛ بل إنها أساسية على و جه العموم لكي يكون الحجاج فعالا »[3]. ويمكن أن يكون التحديد عبارة دورية كأن نقول (المال هو المال) أو (الدنيا هي الدنيا)؛ فهذا التحديد يفتقد إلى حجة منطقية صارمة، لكن يفهم معناه حتى وإن تكرر اللفظ ، فمعنى النفي يحيل إلى معنا آخر غير اللفظ الأول.

يقول المتنبي معبرا عن حزنه الدفين:[4]

فَيُحِبَّ كَيْبٍ لَيْسَ تَخْفَى جُفُونُهُ وَرُبَّ كَيٍّ الجَفْنِ غَيْرُ كَيِيبِ.

فهو يحتج على أن الحزن في القلب وليس في العين (في الظاهر)؛ فقد يبدي الإنسان عكس ما يضمر، ويقول كذلك:[5]

مَاذَا الوَدَاعُ وَدَاعُ الوَامِقِ الكَمِدِ هَذَا الوَدَاعُ وَدَاعُ الرُّوحِ لِلجَسَدِ

---

[1] نفسه، ص 350 .
[2] نفسه، ص356.
[3] محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية ، ص 378 .
[4] الديوان، ص 324 .
[5] نفسه، ص 224 .

ففي وداعه لسيف الدولة يؤكد له أنه لا يودعه مثل وداع المحب الحزين فحسب؛ بل الأمر أمرّ وأشد فكأنه يحتضر.

3-1-1 الحجة القائمة على العلاقة التبادلية :

تعتبر المبادلة والتبادل Réciprocité حجة شبه منطقية ؛ لأنّها «إسناد للحكم ذاته إلى أمرين ندعي أنهما متماثلان والحال أننا لو أخضعناهما إلى الدراسة الدقيقة لانتهينا إلى فروق عديدة»[1]، فقد يماثل الشاعر بين شيئين وهما متباعدان في الحقيقة ، فيجعلهما متطابقين، مثل قول المتنبي:[2]

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لاَ تَشْتَهِي السُّفُنُ

فسحب الحكم نفسه بين نوائب الدهر التي تعيق الإنسان في تحقيق أمانيه، وبين الرياح التي تعيق السفن.

2-1 الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية :

من الحجج التي تعتمد على العلاقات الرياضية حجة التعدية Argument de transitivité

1-2-1 حجة التعدية : وهي «خاصية صورية لبعض العلاقات التي تسمح بالانتقال من الإثبات بأن نفس العلاقة التي توجد بين طرفي أ و ب وبين ب و ج إلى الاست نتاج، بأنّ هناك نفس العلاقة بين طرفي أ و ج »[3] ، وتقوم حجة التعدية على القياس ، ويمكن أن نمثل لها ببيت من شعر المتنبي، وهو يعزي سيف الدولة بعبده "يماك" فيقول:[4]

وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ الدَّفِينُ حَبِيبُهُ حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبُ حَبِيبِي

فقد أخذت التعدية شكل البرهان لتثبيت القول بطريقة شبه منطقية فهو يستعمل القياس يقول:

المرثي حبيب سيف الدولة .

سيف الدولة حبيب المتنبي.

---

[1] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 201 .
[2] الديوان، ص 472 .
[3] محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، ص 379 .
[4] الديوان، ص 322 .

إذن: حبيب سيف الدولة حبيب المتنبي.

2-2-1 تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له Argument de division

وتسمى هذه الحجة كذلك بحجة التقسيم لتقسيم الكل إلى أجزاء ، وهي حجة شبه منطقية ؛ لأنّ الجزء لا يعبر دائما عن الكل بصفة مطلقة ، وتسمى هذه الحجة بالبرهان بالحدين (Dilemme)، وهو كما يعرفه **"بيرلمان"**Perelman «شكل من أشكال الحجج يتناول فرضيتين؛ ليستنتج أنه سواء وقع الاختيار على الأولى أو الثانية نصل إلى الفكرة نفسها أو الموقف ذاته وذلك لأحد الأسباب التالية : فإما لأنهما تقودان إلى النتيجة ذاتها ، وإما لأنهما تقودان إلى نتيجتين لهما نفس القيمة أو لأنهما يقودان للحالتين إلى عدم الاتفاق مع قاعدة نتقيد بها»[1]. يرتبط كل جزء من الأجزاء بقضية تتعلق بالكل من أجل الإقناع ، ومثال ذلك قول المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة:[2]

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ.

فهو يعمم حكم الأجزاء على الكل في مدح أهل المرثيّ، مؤكدا على حجة شرف نسبها.

ويقول الشاعر في موضع آخر:[3]

ومَجْدي يَدُلُّ بَنِي خِنْدَفٍ[4] عَلَى أَنَّ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانِ

حيث قام الشاعر بتعميم حكم الجزء على الكل؛ فشرف الشاعر يدل على أنّ كل كريم يمني الأصل.

3-2-1 إدماج الجزء في الكل أو حجة الاشتمال L'argumentation par inclusion **:**

وهذا النوع من الحجج يسمى كذلك بحجة التضمن «فما يصدق على الكل يصدق على الأجزاء»[5] ؛ لذلك تكون قيمة الكل أهم من الجزء.

والكل يشتمل أجزاء وهذه الحجج شبه منطقية ، يمكن أن تكون موضع نقاش ، «وأكثر ما يجري هذا النوع من الحجاج في المراثي ؛ حيث يغري الشاعر النفس بالاحتجاج بشمولية

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 209 .
[2] الديوان ص 433 .
[3] الديوان، ص33.
[4] بنو خندف: قبيلة من مضر.
[5] محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، ص 380 .

مصيبة الموت، فالمنية مصير الكل وما المرثي إلا جزء من هذا الكل يصح عليه ما يصح على الكل»[1] ومثال ذلك قول المتنبي:[2]

غَدَرْتَ يا مَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسْكَتَّ مِنْ لَجَبِ.

فما أخت سيف الدولة إلا واحدة من عدد لا يحصى ، و"كم" تفيد التكثير، فمن الحكمة أن تصبر النفس على هذا المصاب ، فمعنى شمولية الموت حجة من أجل التعقل ؛ فالموت يأتي على الجميع ولن تفلت من قبضتها المؤبنة.

4-2-1 الحجج القائمة على الاحتمال L'argumentation par le probable

والاحتمالات هي حجج شبه منطقية ، وهي أفكار متضمنة في حساب المحتمل النسبي فليس هناك أمر مطلق؛ بل في أغلب الحالات محتملا، يقول المتنبي:[3]

فلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهْرِهِمْ لَكَانُوا الظَّلاَمَ وَكُنْتَ النَّهَارَا.

فيحتج الشاعر بأفضلية الممدوح على غيره بحجة الاحتمال.

2- الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

تقوم هذه الحجج على علاقات تربط بين الأشياء والعالم، وهذه العلاقات ليست منطقية ؛ بل هي علاقة تفسير وتوضيح للوقائع والأحداث، وتندرج ضمن هذه الفئة من الحجج العلاقات الكنائية والمجازية المرسلة[4] ؛ فعندما يقوم المتكلم بتفسير أحداث الواقع وتوضيحها تبدو أكثر إقناعا ويكون خطابه أقدر على التأثير في المتلقي، ومن الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

2-1-**التتابع:الحجة السببية والحجة التداولية:** وهي مجموعة من النتائج التي تحيل إلى علاقة سببية من خلال أحداث متتابعة، ويمكننا التمثيل على الحجة السببية ، يقول "المتنبي" في مدح "سيف الدولة":[5]

لِكُلِّ امْرِىءٍ في دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا وعَادَةُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعنُ في العِدَا

وأَنْ يُكْذِبَ الإِرْجَافَ عَنْهُ بِضِدِّهِ ويُمْسي بِمَا تَنْويهِ أَعَاديهِ أَسْعَدَا

ورُبَّ مُريدٍ ضَرَّهُ ضَرَّ نَفْسَهُ وهَادٍ إِلَيْهِ الجَيْشَ أَهْدَى وَمَا هَدَى

ومُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ سَاعَةً رَأَى سَيْفَهُ في كَفِّهِ فَتَشَهَّدَا

---

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 211 .
[2] الديوان، ص 344 .
[3] نفسه، ص 366 .
[4] ينظر، محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية،ص385.
[5] الديوان، ص370.

فقد احتج المتنبي لشجاعة الممدوح وانتصاره بحجة بناها على ترابط تتابعي سببي ؛ هي العادة أو التعود؛ فمن عادة الممدوح الانتصار على العدو ، ومن عادته كذلك تكذيب الأ حاديث الكاذبة، والظفر بالنصر رغم ما ينويه له عدوه، فربّ قائد الجيش إليه ليحاربه، لكنه قدمه إلى سريف الدولة هدية، وكل كافر رآه فآمن خوفا منه، فالسبب الرئيس لنتيجة الانتصار هو التعود ، أما النتائج التي تحيل إلى هذا السبب هي النصر إما بالطعن في الأعداء أو باستسلامهم وإيمانهم بعد كفرهم خوفا من الممدوح.

أما **الحجة التداولية** فإنها تظهر عند التشكيك في صحة أمر ما، وتكون خاصة في الرثاء ؛ حيث تكون نتيجة الخبر عميقة على النفس، وترتكز على مفهوم الفقدان وفداحة المصاب. يقول الشاعر في رثاء أخت سيف الدولة[1]:

يَا أُخْتَ خَيْرَ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرَ أَبٍ ... كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ

أُجِلُّ قَدْرَكِ أَنْ تُسَمَّـيْ مُؤَبَّنَةً ... وَمَنْ تَصِفْكِ فَقَدْ سَمَّاكِ لِلْعَرَبِ

لا يَهْلِكُ الطَّرِبُ المَحْزُونُ مَنْطِقَهُ ... وَدَمْعَهُ وهُمَا في قَبْضَةِ الطَّرَبِ

غَدَرْتَ يا مَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ ... بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسْكَتَّ مِنْ لَجَبِ

وكَمْ صَحِبْتَ أَخَاهَا في مُنَازَلَةٍ ... وكَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يَبْخَلْ ولَمْ تَخِبِ

ففي بكائه على الفقيدة يقوم الشاعر مصيبة خبر الوفاة عن طريق نتائجها الأليمة، وتكاد تكون هذه النتائج شاملة تهم كل الناس في قوله (غدرت يا موت كم أفنيت من عدد ..) ثم يلون الشاعر الموت بمظهر جديد فريد من نوعه، فقد كان صديقا للممدوح في حروبه؛ حيث يعتمد عليه في إفناء أعدائه وإسكات ضجيجهم، ولكنه غدره حين سلبه أعز الناس إلى قلبه، ثم يبين الشاعر مقدار ألمه وحزنه، فيقول:[2]

أَرَى العِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْ نُعِيَتْ ... فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الفِتْيَانِ في حَلَبِ

يَظُنُّ أَنَّ فُؤَادِي غَيْرَ مُلْتَهِبٍ ... وَأَنَّ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرَ مُنْسَكِبِ

لِمَنْ وَحُرْمَةَ مَنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةٍ ... لِحُرْمَةِ المَجْدِ والقُصَّادِ وَالأَدَبِ

[1] نفسه، ص433.
[2] الديوان، ص434.

وهنا تظهر الحجة البراغماتية ؛ إذ يحاول الشاعر بحججه أن يبطل التشكيك في قوة ألمه ، وحزنه لموت الفقيدة حتى وإن كانت تبعد بينه وبين ممدوحه الأميال، ثم يؤكد الشاعر نتائج الحدث السلبية من هم وأرق وكآبة بواسطة الرابط الحجاجي"بلى"، وعامل القسم"وحرمة". ويكون الأثر الفعلي الذي يبتغيه الشاعر هو الحمل على الإذعان والتسليم بالأمر الواقع، إذ يقول:[1]

يا أَحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أُولَى القُلوبِ بِها وقُلْ لِصاحِبِهِ يا أَنْفَعَ السَحُبِ.

يحاول الشاعر إقناع المتلقي بالتزام الصبر فيقول «يا أحسن الصبر زر قلب سيف الدولة الذي هو أولى القلوب بمودتها والجزع عليها ، وقل لصاحب هذا القلب يا أنفع السحب أي يا أعمها نفعا على غير أذى ولا سأم»[2] ، وبالتالي يظهر لنا الأثر الفعلي الذي يريده الشاعر.

2-2-<u>الغائية: حجة التبذير، حجة الاتجاه، حجة التجاوز:</u>

يقال بأن الغاية تبرر الوسيلة، ومن هنا تكون قيمة الشيء في الغاية التي يرمي إليها، وكل وسيلة أو سلوك ينهجه الإنسان تعتبر غايته حجة لتصرفاته، يقول **"أوليفي روبول" .O " Reboul"** «تضطلع "الغائية" التي يستبعدها العلم بدور أساسي في الأحداث الإنسانية منها نستطيع أن تشتق حججا كثيرة تؤسس كلها على الفكرة القائلة ب أن قيمة الشيء تتصل بالغاية التي يكون لها وسيلة، حججا لم تعد تعبيرا عن قولنا بسبب كذا وإنما من أجل كذا»[3].

وكثيرا ما حاول المتنبي تبرير سلوكاته يقول:[4]

لُكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدِّمَاءِ حَرَامٌ شُرْبُهُ مَا خَلاَ ابْنَةَ العُنْقُودِ
فَلَسْقِنِيهَا فَدًى لِعَيْنَيْكَ نَفْسِي مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِي وتِلِيدِي
شَرِبْتُ رَأْسِي وَذِلَّتِي وَنُحُولِي وَدُمُوعِي عَلَى هَوَاكِ شُهُودِي
أَيُّ يَوْمٍ سَرَرْتَنِي بِوِصَالٍ لَمْ تَرُعْنِي بِلاَئَةٌ بِصُدُودِ

[1] نفسه، ص435.
[2] اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2، ص464.
[3] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص221.
[4] الديوان، ص20.

يبرر الشاعر سبب سهره ودموعه ونحوله وهو الفراق والصدود، فكانت الوسيلة التي تساعده على النسيان هي شرب الخمر ، فالغاية تبرر الوسيلة ولا يهمه تضييع ماله القديم أو المستحدث، وهذه الحجة التي وضعها الشاعر ليبرر سبب تبذيره للمال وتضييعه له تسمى بحجة التبذير Argument de gaspillage ؛ إذ يسخّر الشاعر كل تضحياته في سبيل ما يصبو إليه.

يمكن للمتلقي أن يدحض رأي الشاعر المستند إلى مقولة "الغاية تبرر الوسيلة"، برأي آخر وهو أن الغاية النبيلة تبررها الوسيلة المشروعة، وإن كنا نوافق الشاعر على غايته المتمثلة في النسيان، إلا أنّ وسيلته غير مشروعة(شرب الخمر).

وتظهر أهمية حجة الاتجاه Argument de direction في محاولة المتكلم أن يتحاشى حدوث أمر ليس لذاته، وإنما للنتيجة التي سيترتب عنها ، يقول **"أوليفي روبول"** "Olévier Reboul" «إنّ رفض أمر ما حتى وإن اعترفنا بأنه في ذاته أمر مقبول أو جيد؛ لأنه سيكون الوسيلة التي تقودنا إلى غاية لا نريدها»[1]، وظف المتنبي في شعره حجة الاتجاه ففي قوله:[2]

لُكُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ حُجَّةُ لاَجِئٍ إِلَيْهَا اللِّئَامُ

ومعنى هذا البيت «أنّ الحلم إذا لم يكن عن قدرة كان عجزا، وهو يحتج بها اللئام، يسمون عجزهم عن مكافأة العدو حلما »[3]، فالحجة في الدعوة الى الحلم والاقتدار والشدة هي حجة اتجاه؛ ذلك أن صفة الحلم لا اعتراض عليها في ذاتها ؛ ولكنها إن لم يصاحبها اقتدار وبأس ليست إلا عجزا يحتج به اللئيم ليستر ضعفه وهوانه ، وهذا ما يعرضه إلى الاحتقار والإذلال، ومن يتعود على الهوان والذل يسهل عليه ذلك ، فهو كمثل الميت الذي لا يؤلمه الجرح ولا يحس به، ويتحدث "المتنبي" عن الحلم والتعقل في موضع آخر فيقول:[4]

إِنِّي أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي لُئَمٌ وَلاَ أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي جُبُنُ

ففي حجة الاتجاه هذه لا يعترض "المتنبي" على صفة الحلم والتعقل، فهو يتعقل ويتأنّى ما دام يعد ذلك كرما، ولكنه إذا حُسب جبنا فإنّه لا يتعقل.

---

[1] سامية الدردي:الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 221

[2] الديوان، ص 164.

[3] عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،الطبعة الثانية، 1428ه-2007م، المجلد الثاني، الجزءالرابع، ص161.

[4] الديوان، ص 472

ومن أنواع الحجج باعتبار الغاية حجة التجاو ز Argument de dépassement وتتجه هذه الحجة نحو المستقبل فهي «تؤكد إمكانية السير دائما نحو نقطة أبعد في اتجاه ما دون أن نلمح للسير في ذاك الاتجاه حدا وذلك بفضل تزايد مطرد في قيمة ما »[1]، ومعنى هذا أنه من أجل بلوغ غاية معينة لا يهتم صاحبها بالعوائق والعوارض التي تـواجهه، بل يتجاوزها ليحقق ما يريد، يقول "المتنبي":[2]

لاَ يَلْقَ دَهْرَكَ إِلاَّ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِي رُوحِكَ البَدَنُ

فَمَا يَدُومُ سُرُورَ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلاَ يَرُدُّ عَلَيْكَ الفَائِتَ الحَزَنِ

فالشاعر يطلب من المتلقي ألاّ يتأثر بمصائب الدهر ولا يكترث بها ما دا م حيا، يقول **"الواحدي"** في شرح هذا البيت:«ما دمت حيا فلا تبال بالزمان وصروبه ونوائبه ، فإنها تزول ولا تبقى والذي لا عوض منه إذا فات هو الروح فقط ... ولا تبال بما يحدث لك الدهر ، فإنّ المفرح له لا يدوم فرح... والحزن على الغائب لا يرده عليك»[3].

كما يقول المتنبي واصفا الحمى التي أصابته:[4]

فَإِنْ أَمْرَضْ فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِي وَإِنْ أَحْمُمْ فَمَا حُمَّ اغْتِزَامِي

فمرحلة المرض لا بدّ من تجاوزها عن طريق الصبر، فإن مرض في بدنه فإنّ صبره وعزمه لم يمرض.

2-3-التعايش: حجة السلطة، حجة الشخص وأعماله:

حجة الـتعايش هي علاقة الذات بصفاتها أو الشخص بأفعاله ، وتتمثل حجة الذات Argument de L'essence في« تفسير حدث أو موقف ما أو التنبؤ به انطلاقا من الذات التي يعبر عنها أو يجليها ويوضحها»[5] . ففي قول المتنبي[6]:

مِنْ أَيِّ الطُّرُقِ يَأْتِي مِنْكَ اللَّوَمُ أَيْنَ المَحَاجِمُ يَا كَافُورُ وَالجَلَمُ

---

[1] سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم، ص226.
[2] الديوان ، ص471.
[3] شرح ديوان المتنبي، ص776.
[4] الديوان ص485.
[5] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم ص228.
[6] الديوان ، ص502.

فقد تنبأ الشاعر بخل كافور وهو يهجوه مفترضا ما كان يعرف به من قبل توليه الحكم ؛ حيث يقال إن صاحب كافور كان حجاما ؛ لذلك فهو لا يتوقع منه الكرم والجود ؛ لأنّ الكرم لا يستطيع أن يصل إليه من بين المحاجم والجلم[1].

يقول الشاعر:[2]

وَمَا الحُسْنُ فِي وَجْهِ الفَتَى شَرَفًا لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالخَلاَئِقِ

يرى الشاعر أنّه «إذا لم تكن أفعال الفتى وأخلاقه حسنة جميلة، فليس حسن وجهه شرفا له»[3]، حيث يبدو واثقا من أن شرف الفتى لا يكمن في جمال وجهه وحسنه فحسب ؛ بل في جمال الروح أي في الأخلاق الفاضلة والخصال النبيلة وسمو الخصال من سمو الذات، فقد بنى الشاعر حجته انطلاقا من حجة الذات.

وتقوم حجة الشخص وأعماله على «مبدأ ثبات الشخصية بحيث إ ن قامت بفعل معين أو اتخذ موقفا محددا ، فلأنها عرفت بخصال معلومة منذ زمن بعيد»[4]، وبذلك يمكن لنا الاحتجاج لأمر ما اعتمادا على أن الشخص مسؤول عن أعماله وأن أفعاله ثابتة ، وهذا ما فعله "المتنبي" عند مدحه لسيف الدولة مبررًا سبب نصرته لأخيه ناصر الدولة، يقول:[5]

هُوَ الشُّجَاعُ يُعَدُّ البُخْلَ مِنْ جُبْنٍ وَهُوَ الجَوَادُ يُعَدُّ الجُبْنُ مِنْ بُخْلِ

فالممدوح هكذا شخصيته ثابته على الجود والشجاعة ، فجوده يمنعه من الجبن وشجاعته تمنعه من البخل؛ «لأنّ الشجاع يجب له أن يعلم أنّ البُخل جُبن وهلعٌ من الفقر؛ فإن كان بخيلاً فهو ناقص الشجاعة؛ لحذره من الإعدام؛ ويُحبُّ للجواد أن يعلم أن ال جُبن بخلٌ بالنفس؛ فإن لم يك ذا شجاعة فهو ناقص الكرم؛ لبخله بذاته . فهذا الممدوح قد تبيّن له أن البخل جُبنٌ؛ وأن الجُبن بُخلٌ؛ فلم يرض إحدى الخطتين دون صاحبتها؛ فشجُع وكرُم »[6]، وهي حجة تلازمية حتمية وهي تأكيد للترابط الوثيق بين الشخص وأعماله، ومن أمثلتها قول الشاعر:[7]

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلاَمُ

---

[1] ينظر هامش الديوان، ص502.
[2] الديوان، ص394.
[3] عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، المجلد الثاني، ج3، ص46.
[4] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص224.
[5] الديوان، ص275.
[6] علي بن اسماعيل ابن سيدة، شرح المشكل في شعر المتنبي، مكتبة مشكاة الإسلامية، ص93.
[7] الديوان، ص164.

فمن يهن يسهل الهوان عليه؛ بمعنى«إذا كان الإنسان هينا في نفسه سهل عليه احتمال الهوان كالميت الذي لايتألم بالجراحة »[1] وهذه حجة الشخص وأعماله ؛ لأنّ اتصاف الذات بالهوان يبرر سهولة احتماله للذل، فهو مثل الميت.

وعندما يعتمد الحجاج على السلطة ؛ فإنه يعكس في الحقيقة حجاجين ، وهذا ما أكده **"موريس ساشو"** Maurice Sachot ففي الحجاج «الأول يتساوى من يحتج ، ومن يتلقى الحجاج في المكانة وفي الثاني تقام علاقة تراتبية بين الإثنين ، في الأول تربط بين المتكلم والمتلقي علاقة ثقة متبادلة وبالتحديد من يحاول الإقناع ، واستقلالية الآخر ويقدر قدرته على اكتشاف الحقيقة، وفي الثاني وعلى العكس من ذلك تربط بين الإثنين علاقة تبعية ، فمن يتلقى الحجاج عليه أن يحترم ما يقوله باسم السلطة »[2] ، فالسلطة التي يستعملها المتكلم تعينه على دعم رأيه لتكمل حجاجه وتقوم بإثرائه.

وهناك وجه من وجوه حجة السلطة وهي سلطة الرمز Le symbole ؛ والرمز يعبر عن انتماء الفرد إلى مجتمعه؛ فقد يستعمل الشاعر أسماء أسطورية تواتر ذكرها بين الناس لخدمة حجة معينة كأن يقال "أجود من حاتم"[3]، أخلف من عرقوب"[4]، يقول "المتنبي" في مدح "عبد الله بن خلكان":[5]

تَمَثَّلُوا حَاتِمًا وَلَوْ عَقِلُوا لَكُنْتَ فِي الجُودِ غَايَةَ المَثَلِ

فإن كان يضرب المثل في الجود بحاتم، يرى الشاعر أنهم «لو نظروا بعين العقل لضربوا المثل بك؛ لأنك غاية في الجود»[6]، ويقول الشاعر في موضع آخر:[7]

وَأَبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءِ جَوٍّ لأَنَّنِي مَتَى نَظَرَتْ عَيْنَايَ سَوَاهُ مَا عِلْمِي

وسلطة الرمز المستعملة في هذا البيت تتجلى في المثل القائل «أبصر من زرقاء اليمامة... كانت تُبْصِر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام »[8] ، فـ"زرقاء" امرأة يضرب بها المثل في حدة البصر، استعمل "المتنبي" هذا المثل ليثري حجته ويدعم رأيه؛ بل وفضل نفسه على زرقاء

---

[1] البرقوقي: شرح ديوان المتنبي،المجلد الثاني، ج4 ، ص161.
[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص235.
[3] أبو الفضل الميداني : مجمع الأمثال، مكتبة مشكاة الإسلامية، الجزء الأول، www.almeshkat.net/Books ، ص279.
[4] نفسه، ص388.
[5] الديوان، ص22.
[6] الواحدي: شرح ديوان المتنبي ، ص39.
[7] الديوان، ص81.
[8] أبو الفضل الميداني: مجمع الأمثال ، ص169.

اليمامة «فقال إذا نظرت عيناي ساواهما علمي ؛ أي أنهما لا يسبقان علمي ؛ فإذا رأيت الشيء ببصري علمته بقلبي»[1].

3-الحجج المبنينة للواقع:

إذا كانت الحجج المؤسسة على بنية الواقع تكتفي بالربط بين وقائع متعايشة أو متتابعة؛ فإن الحجج المبنينة للواقع تستند إلى الجمع بين أحداث وأشياء مترابطة مكانيا أو زمانيا أو رمزيا، حيث نستدل على شيء آخر يرتبط به.[2]

3-1-الشاهد illustration: وهو من الحجج المبنينة للواقع ؛ ويكون في الربط بين المتفقات في الجنس، أما التشبيه فهو مقارنة بين المتباينات ويمكن للفكرة الخيالية أو الخرافية المجازية أن تضطلع بوظيفة إقناعية «عندما نجردها من سياقها التاريخي والأصلي ، إنها في حد ذاتها قابلة لوصمة الكذب ولكنه ا حينما تسلك في شاهد ما تتغلب ع لى فنائها لكي تكتسب شرعية جديدة بتحولها إلى البرهنة عليه بأية طريقة»[3].

يعمل الشاهد على تقوية الحجة وتأكيدها، بجعل المعنوي في شكل ملموس، إنه يعمل «على تحريك المخيلة وتجسيد الفكرة باستحضارها في صورة شاخصة لا تكمن الغاية م نه فقط في تعويض المجرد بالملموس... إنما تكمن أساسا في تقوية الفكرة وتأكيده حضورها في الذهن»[4].

الذهن»[4]. يجسد المتنبي لنا فكرة عدم الترحيب بالشيب فيجعله ضيفا ثقيل الظل، يقول:[5]

ضَيْفٌ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ ... أَلسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلاً مِنهُ بِاللِّمَمِ

إِبْعَدْ بَعَدْتَ بَيَاضاً لاَ بَيَاضَ لَهُ ... لأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ

يَجُبُّ قَائِلَتِي وَالشَّيْبُ تَغْزِيَتِي ... هَوَايَ طِفْلاً وَشَيْبِي بَالِغَ الحُلُمِ

فقد ابتكر المتنبي علاقة جديدة بين الشيب والضيف غير المرغوب فيه، لأ نّ الشيب غزا رأسه في غير أوانه؛ فهو مازال في ريعان شبابه، ثم عقد مقارنة بين البياض والسواد وعلاقتهما بالشيب، فما هو متعارف عليه عند الناس أن البياض يدعو إلى الأ مل والتفاؤل والسواد يدعو إلى التشاؤم، غير أنّ بياض الشيب في نظر المتنبي يحزنه ويدعوه إلى التشاؤم،

---

[1] الواحدي : شرح ديوان المتنبي،ص177.
[2] ينظر محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية ،ص399.
[3] محمد الولي : مفاهيم بلاغية، مجلة علامات، العدد17، ص93.
[4] إبراهيم عبد المنعم إبراهيم، بلاغة الحجاج في الشعر العربي شعر ابن الرومي نموذجا، ص143.
[5] الديوان، ص36.

وهذا الشاهد استعمله المتنبي لتحريك المخيلة ، وإثارة المتلقي إلى هذه الصورة التي جسدت فكرته وأكدت دعواه.

وعند استعمال الشاهد يجب على المتكلم والمستمع «أن يكون له معرفة سابقة بالشاهد المقصود، وقدرة على تصوره بيسر ودراية بوجود أثره في مجال التداول»[1]، يقول المتنبي:[2]

فَإِنْ تَفُقِ الأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَالِ.

ابتكر الشاعر هذا الربط بين وجود المسك في دم الغزال واحتمال وجود سيف الدولة وسط الأنام، فأضفى قبولا على هذه الفكرة بلجوئه إلى حدث احتمالي، فالشاهد «هو إضفاء القبول على فكرة ما باللجوء إلى حدث قديم واقعي أو خرافي أو أسطوري أو منتم إلى التراث الأدبي أو حدث صناعي احتمالي أو خيالي »[3]. ففي مثال "المتنبي" ادعى بأنّ ممدوحه يفوق الناس مكانة حتى كأنه ليس من جنسهم، أو كأنه أصل بنفسه محتجا لدعواه بـ«أن المسك قد خرج عن صفة الدم وحقيقته، حتى لا يعد في جنسه ، إذ لا يوجد في الدم شيء من أوصافه الشريفة الخاصة بوجه من الوجوه لا ما قل ولا ما كثر ولا في المسك شيء من الأوصاف التي كان لها الدم ألبتة»[4].

كما ابتكر المتنبي علاقة جديدة بين العفة وماء المزن، في رثاء والدة سيف الدولة، فقال:[5]

حَصَانٌ كَمَاءِ المُزْنِ فِيهِ كَقَوْمُ السِرِّ صَادِقَةُ المَقَالِ.

فقد ربط الشاعر بين نقاء العرض وماء المزن في الطهارة والنقاء.

2-3 المثال: يكمن دور المثال في توضيح الفكرة وتقويتها ، خلافا للشاهد الذي يؤسس القاعدة، يقول المتنبي:[6]

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانِ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ
أَلَمْ تَمْسُ الأَعْدَاءَ بَعْضَ الَّذِي رَأَتْ قِيَامَ دَلِيلٍ أَو وُضُوحَ بَيَانِ
رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَهْوِي لَكَ الغَدْرَ يَبْتَغِي بِغَيْرِ حَيَاةٍ أَوْ بِغَيْرِ زَمَانِ
بِنَوْعِ شَبِيبٍ فَوْقَ السَّيْفُ كَفَّهُ وَكَانَ عَلَى العِلَّاتِ يَصْطَحِبَانِ

---

[1] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص111.
[2] الديوان، ص268.
[3] محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، ص401.
[4] الجرجاني: أسرار البلاغة، ص93.
[5] الديوان، ص267.
[6] نفسه، ص475.

فالفكرة المقصودة "عدوك مذموم بكل لسان" فإن كانت الأعداء تبحث عن دليل وحجة، فقد هزم الممدوح (كافور) عدوه (شبيب) وقتله فمن ينوي الغدر لممدوحه يبتلى بالموت، وهذا ما يجعل هذه الفكرة العامة مثالا توضيحيا وقوتها الإقناعية لا تقل عن قوة الشاهد ؛ لأنها تعتبر عند الناس صادقة، فيتأثرون بها ومن ثمة يقتنعون.

وقد يعتمد الشاعر- في حجاجه- على المثل؛ باعتباره مسلمة تختزل التجارب الإنسانية ؛ ليسهم في تأسيس قاعدة خاصة، وبنينة الواقع فيكون بذلك أقدر على الإقناع والفعل والتأثير في المتلقي، والهدف من المثل هو «تقوية درجة التصديق بقاعدة أو فكرة أو أطروحة معلومة تقدم ما يوضح القول العام ويقوي حضوره في الذهن »[1]، فالعرب تضرب الأمثال لإبراز المعنى وتوضيحه وإماطة اللثام عن خفايا الأمور وحقائقها، كما تستعملها لدحض آراء الخصم وإقناعه.

3-3-القدوة: وهي من الحجج التي تبنين الواقع، وقد وظف المتنبي القدوة حينما قال:[2]

أَسَيْفَ الدَّوْلَةِ اسْتَنْجِدْ بِصَبْرٍ وَكَيْفَ بِمِثْلِ صَبْرِكَ لِلْجِبَالِ

وأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ التَّعَزِّي وَخَوْضَ المَوْتِ في الحَرْبِ السِّجَالِ.

يحتج الشاعر باستعمال القدوة الحسنة التي يجب أن يحتذى بها، فالذي يطلب منه الصبر كان نفسه قدوة لغيره يعلم الناس الصبر والتعزي، ويخوض الحروب التي كانت مرة له ومرة عليه، فالأولى له أن يتحلى هو بالصبر الجميل لفقدان والدته.

4-3 المقارنة: وهي تقنية حجاجية إنها «عملية تجريبية منشدّة إلى عملية بناء الواقع خاصة ، وأن المقارنة حين تعقد بين طرفين لا تكون بالضرورة واقعية ؛ بل قد تكون مبتدعة لا أساس لها إلا سياق النص وخيال المحتج»[3] تماما مثلما فعل المتنبي في قوله:[4]

لَوْ بَوَّزَ الزَّمَانُ إِلَيَّ شَخْصاً لَخَضَّبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي

فقد رتب الشاعر طرفي المقارنة ودلالة تقديم طرف وتأخير آخر، تنم عن غاية الشاعر، فقد بنى هذه المقارنة التي جوهرها فخري محتجا بها على شجاعته وشدة بأسه، فهو يفوق الزمان بأسا وقدرة، وعندما قال المتنبي:[1]

---

[1] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص95.
[2] الديوان، ص268.
[3] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص248.
[4] الديوان، ص51.

إِنَّ القَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدُمُوعِهِ مِثْلَ القَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ.

فالموضوع والشبيه ينتميان إلى الجنس نفسه ، لذلك نعتبر هذه المشابهة مقارنة.

5-3-التناسب: تظهر تقنية التناسب الحجاجية في كون ه يتألف في بنيته العميقة من أربعة أطراف، فعندما قال المتنبي:[2]

فَإِنْ تَفُقِ الأَنَامَ وأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَالِ.

نجد هناك أربعة أطراف وهي الممدوح والناس من جهة ، ودم الغزال والمسك من جهة أخرى، فإذا كان المسك يمثل عنصرا قليلا في دم الغزال ؛ فكذلك الممدوح هوالوحيد بين الناس، وشرط التناسب هو «التأليف بين علاقتين وتتحقق كل علاقة بين شيئين منتميين إلى جنس غير جنس الطرف المقابل؛ أي أن الموضوع والشبيه ينتميان إلى جنسين مختلفين»[3].

يقول "المتنبي":[4]

وَمَا أَنَا فِيهِمْ بِالعَيْشِ مِنْهُمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرِّغَامِ[5].

في هذا البيت تشابه بين علاقتين الأولى بين أبي الطيب وقومه ، والثانية بين الذهب والرغام، ولاختلاف الجنسين يعتبر تناسبا. يقول كذلك[6]:

أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودْ

مَا مُقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةَ إِلاَّ كَمُقَامِ المَسِيحِ بَيْنَ اليَهُودِ.

فعلاقة الشاعر بقومه في البيت الأ ول كعلاقة صالح بثمود ، وفي البيت الثاني علاقته بأهل مصر كعلاقة المسيح باليهود، وهذه المشابهة هي مشابهة علاقتين ؛ هي إذن علاقة تناسب كما«لايجوز تأويلهما باعتبارهما شاهدين لأنّ الطرفين ينتميان إلى نفس الجنس الإنساني»[7].

5-3- التمثيل Analogie : إذا كان الشعر قائما على التخييل فإنه يسمح بوضع علاقة تشابهية من أجل الاحتجاج لأمر ما من خلال التمثيل (التشبيه أو الاستعارة) ذلك لأنّ الألفاظ تكتسب في السياق التمثيلي دلالات جديدة.

---

[1] نفسه، ص350.
[2] الديوان، ص263.
[3] محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، 432.
[4] الديوان، ص101.
[5] الرغام: بمعنى التراب
[6] الديوان ، ص22.
[7] محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية، ص433.

والتمثيل هو طريقة تقوم على علاقة تشابهية ، ويعتبر عاملا أساسيا في عملية الإبداع حيث ينطلق من التجربة بهدف إفهام فكرة أو ا لعمل على أن تكون الفكرة مقبولة، و ذلك بنقلها من مجال إلى مجال مغاير ومن خصائصه:

1-استدعاء صور تحكي أحداثا من أجل نقل أفكار مرجعية ذات قيمة رمزية.

2-تقوم العلاقة فيه على مماثلة تتحقق بين عناصره أو العلاقة بين المشبه والمشبه به ووجه الشبه.

3-يتجه نحو مخيلة الإبداع، ويتجاوز اللغة، وحدود الواقع، ويفهم عن طريق تحريك الذهن.[1]

ومن أجل فهم المعنى الممثل فإنه «ينجلي لك بعد أن يحوجك إ لى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له والهمة في طلبه، وما كان منه أ لطف كان امتناعه عليك أكثر و إباؤه أظهر، واحتجاجه أشد »[2]، فباستعمال التمثيل في الخطاب تزيد في القوة الحجاجية للعبارة اللغوية ؛ فيؤثر المتكلم في نفسية المتلقي على إيجاد وجه الشبه بينهما، وحينها تنجلي له الفكرة ويتضح له المعنى.

تظهرالحجة التشبيهية «كمعادلة بسيطة تتغاضى عن اختلاف السياقات ؛ فتخدع الأذهان بمظهرها الصارم، أو تنشط الخيال بما تحمله من معلومات ملموسة»[3].

ومن هنا أصبحت المحسنات البلاغية من أهم المقومات الحجاجية ؛ فقد أبطل **"بيرلمان"** (Perelman) مفعول بلاغة المحسنات ، وأدرج التشبيه والاستعارة ضمن بلاغة الحجاج ؛ حيث يرى أن «محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله وهو يؤدي في تغيير زاوية النظر يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة ، وعلى العكس من ذلك فإن لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة ، أي باعتباره محسن أسلوب ، ويؤدي ذلك لتقصيره عن أداء دور الاقناع »[4] ؛ لهذا فإن الأقوال البلاغية تلعب دورا تحليليا داخل الحجاج حيث تبرر أهدافه الإقناعية.

---

[1] ينظر عبد السلام عشير:عندما نتواصل نغير،ص 98/97.

[2] الجرجاني:أسرار البلاغة، ص 105.

[3] محمد طروس: النظرية الحجاجية، ص 29.

[4] محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية ص 458/457

يبدو أنه يمكن للاستعارة والتشبيه أن يضطلعا بوظيفة إقناعية؛ لكونهما يمثلان نوعا من القياس، ففي قول "المتنبي" وهو يمدح "سيف الدولة":[1]

فَلَبْرَقْتُ بِدْرًا لاَ يُرَى البَدْرَ مِثْلُهُ وَخَاطَبْتُ بَحْرًا لا يُرَى العِيْرُ عَائِمَهُ

فان أمعنا النظر في هذا البيت اتضح لنا أنه يخضع للقياسين الآتيين:

جملة ثانوية	سيف الدولة جميل الوجه	سيف الدولة كريم
جملة أساسية	كل جميل الوجه بدر	كل كريم بحر
استنتاج	سيف الدولة بدر	سيف الدولة بحر

فإذا أدت المقدمتان إلى التسليم والقبول، أدى هذا إلى قبول الاستنتاج، ومن هنا تكون «قوة التشبيه أو الاستعارة تتأتى من قدرتها على التقريب بين نظامين مختلفين مع محاولة جاهدة لطمس ما بينهما من فروق»[2].

والاستعارة كما عرفها أرسطو:«هي نقل اسم شيء إلى شيء آخر »[3]، إنها تشبيه حذفت بعض أركانه، فهي قائمة أساسا على المشابهة لكونها «تقوم على الجمع بين شيئين أو فكرتين انطلاقا من العلاقة التشبيهية من أجل تقديم صورة جديدة، أو مخترعة تتدخل فيها عملية التخييل والإبداع»[4]، والاستعارة ليست مجرد زخرف وتزيين للأسلوب؛ بل إنها أكثر حجاجية من القول العادي، يقول **"الجرجاني"**:«إذا استقريت التشبيهات ، وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد، كان إلى النفوس أعجب و كانت له النفوس أطرب »[5]، حيث يمتزج المستعار والمستعار له ويتوحد فيصبح مدركا ، فيعطي للقول قوته الدلالية، وإصابته في الوصف ليكون أكثر قدرة على التأثير ، ومن ثم تعتبر الاستعارة من الوسائل اللغوية التي يمكن للمتكلم أن يستغلها للوصول إلى أهدافه الحجاجية فـ «القول الاستعاري يتمتع بقوة حجاجية عالية إذا ما قورن بالأقوال العادية»[6].

---

[1] الديوان، ص259.
[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص253.
[3] أرسطو طاليس: كتاب الشعر، ص116.
[4] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص113.
[5] أسرار البلاغة، ص98.
[6] أبو بكر العزاوي : الحجاج والشعر نحو تحليل حجاجي لنص شعري، مجلة دراسات سيميائية أدبية، العدد 7-1992، ص375.

تسهم الاستعارة إذن في بناء القول الحجاجي عن طريق التأثير والإقناع، فباستعمال الشاعر لها يكون اللفظ أقوى من استعماله له في معناه الحقيقي، إنها آلية من آليات الحجاج؛ بل تعتبر مكونا رئيسا في كل قول حجاجي، فقد قال طه عبد الرحمن«لا حجاج بلا مجاز»[1].

والاستعارة أبلغ من الحقيقة حجاجيا؛ لأنها تقوم بتحريك همة المتلقي إلى الاقتناع ؛ وبالتالي يصعب على المتلقي إبطال الحجاج القائم عليها ؛ لأن هناك«خاصية أساسية للحجاج بواسطة التمثيل هي توريط المتلقي وإجباره على تأويل البيت وتفكيك الصورة ، وبذلك يقع إلزامه بالنتيجة التي انتهى إليها بعد تفكيك وتأويل»[2]، ويستطيع الشاعر أن يبتكر صياغة جديدة للاستعارة؛ حتى لا تفقد فاعليتها وتكون أقدر على الإقناع، مثلما فعل المتنبي في قوله:[3]

لَيْتَ الغَمَامَ الذِي عِنْدِي صَواعِقُهُ[4] يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ

فقد ابتكر علاقة جديدة بين الغمام والكرم، وصاغها في ثلاثة أطراف : الممدوح والشاعر والحساد، والغمام أصبح يدل على الحياة والموت، والممدوح «يعطي المتنبي صواعق الغمام أي الموت، بينما يعطي لحساد المتنبي الديم أي الحياة، أما المتنبي فإنه يتمنى من الممدوح في هذا البيت أن يرى الأمور على حقيقتها، فيمنح الصواعق للحساد، ويعيد إليه الديم »[5]، وصورته البلاغية هذه أسهمت في تدعيم طاقة القول الحجاجية ومنحها قوة إقناعية.

فالقول الاستعاري «يعد آلية حجاجية بامتياز، فإذا كانت الاستعارة الشعرية تتملك السامع أكثر مما تقنعه، فإن الاستعارة الحجاجية تكون أكثر قهرا واقتسارا »[6]، وتكون فعاليتها الحجاجية عميقة، وأسلوبها التأثيري مقنع.

ويمكن تحديد الوظيفة الحجاجية للاستعا رة عن طريق وصف تركيبي نحوي لها ، الذي وضعته **"كريستين بروك روز**[7] Kristin Brok Rose سنحاول أن نمثل لها من شعر المتنبي**:**

أ-استعارة الأسماء:

***-الإبدال:** والطرف الخفي في هذه الاستعارة يستنتج من السياق، مثل قول المتنبي:[1]

---

[1] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص232.
[2] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص269.
[3] الديوان، ص333.
[4] الغمام: سيف الدولة، الصواعق سخطه، والأمطار بره.
[5] أحمد حسن صبره، سعد سليمان حمودة: التفكير الاستعاري والدراسات البلاغية، ص49.
[6] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص118.
[7] محمد الولي : الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية: ص465.

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيا .

حيث استبدل الشاعر كل مة (كافور) وهي الطرف الخفي بكلمة البحر، وقد تناولها الشاعر بطريقة مميزة حيث أضفى عليها السياق الجدة والحداثة.

***استعارة الحضور:** تحيل الاستعارة على شيء آخر مذكور في السياق.

***الاقتران:** ويكون«حينما يرتبط المستعار له والمستعار منه ارتباطا اقترانيا أو بدليا أو ندائيا»[2]، يمكننا التمثيل على الاقتران من خلال الارتباط الندائي في قول المتنبي:[3]

فَيَا لَيْلَةً مَا كَانَ أَطْوَلَ بِتُّهَا وَسُمُّ الأَفَاعِي عَذْبُ مَا أَتَجَرَّعُ

يخاطب الشاعر الليلة بحرف النداء "يا"، فقصد أنه «كان أطول تلك الليلة التي فارقني فيها خيالها فتجرعت من مرارة فراقها ما كان السمّ بالإضافة إليه عذبا»[4]، حيث يظهر الاقتران في الارتباط الندائي(فيا ليلة)، فهو يخاطب ما لا يعقل.

***الاستعارة الإسنادية:** مثل قول المتنبي[5]:

وَمَا الدَّهْرُ إِلاَ مِنْ رُوَاةِ قَصَائِدِي إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

حيث أسند الشاعر الإنشاد إلى الدهر، ومثل قوله كذلك:[6]

وَالمَرْءُ يَأْمَلُ وَالحَيَاةُ شَهِيَّةٌ وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ والشَّبِيبَةُ أَنْزَقُ.

وفي المثالين استعارة إسنادية؛ لأنّ الشاعر أسند صفة الإ نشاد التي هي للإنسان إلى الدهر ، وحذف المشبه به تاركا قرينة تدل عليه هي الإنشاد، فأسند الخبر للمبتدأ ، فالدهر اسم أصبح ، ومنشدا خبرها، وفي المثال الثاني "الحياة شهية" أسند الشاعر الخبر "شهية" للمبتدأ "الحياة" باستعارة مكنية حذف فيها المشبه به "الطعام" تاركا القرينة الدالة عليه وهي"شهية".

***استعارة الإضافة :** يقول الشاعر:[7]

فَرَأَيْتُ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي قَمَرِ الدُّجَى مُتَلَثِّمًا غُصْنٌ بِهِ يَتَأَوَّدُ

ويقول[1]:

---

[1] الديوان، ص443.
[2] نفسه، ص443.
[3] نفسه، ص31.
[4] الواحدي ، شرح ديوان المتنبي، ص47.
[5] الديوان، ص373.
[6] نفسه، ص28.
[7] الديوان، ص45.

فَطَعْمُ المَوْتُ في أَمْرٍ حَقِيرٍ كَطَعْمِ المَوْتِ في أَمْرٍ عَظِيمِ

فجملتي (قرن الشمس وطعم الموت) استعارة إضافة، والعلاقة الاستعارية تكمن بين المضاف والمضاف إليه، حيث شبه الشاعر الشمس بحيوان له قرن وحذف المشبه به، وترك القرينة الدالة عليه. ثم جعل الموت يشبه الطعام؛ حيث أضاف المشبه إلى القرينة في التركيب إذن هي "استعارة إضافة".

ب- استعارة الأفعال: هناك علاقة استعارية بين الفعل والفاعل أو المكمل ، ومثال ذلك:[2]

وَنَادَى الثَّرَى بِالرَّاغِبِينَ عَنِ السَّرَى فَلُسْمَ عَمْ هُبُّوا فَقَدْ هَلَكَ البُخْلُ

وقوله:[3]

الخَيْلُ واللَّيْلُ وَالبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالقِرْطَاسُ والقَلَمُ.

فالأفعال "نادى، وهلك وتعرفني" استعارة أفعال لأنها تتعلق بالإنسان فجعلها الشاعر أفعالا للندى والبخل والبيداء على التوالي، وحذف المشبه به "الإنسان" وجعل هذه الأفعال قرينة دالة عليه. وكذلك في قوله:[4]

أَمْطِرْ عَلَيَّ سَحَابَ جُودِكَ ثُوَّةً وَانْظُرْ إِلَيَّ بِوَحْمَةٍ لاَ أَغْرَقُ.

شبه الشاعر كرم الم مدوح بالسماء، فحذف المشبه به وجعل القرينة الدالة عليه فعلا وهو"أمطر" فهي استعارة أفعال.

*** استعارة الصفات:** قد تقع الاستعارة صفة لموصوف كما في قول الشاعر:[5]

وَبِيضٍ مُسَافِرَةٍ مَا يُقِمْـ ـنَ لاَ فِي الرِّقَابِ وَلَا فِي الغُمُودِ

يريد أنّ «سيوفه لاتزال تنتقل من الرقاب إلى الغمود ومن الغمود إلى الرقاب لكثرة حروبه وغزواته، فلا مقام لها في شيء من ذلك، ولهذا جعلها مسافرة »[6]، فالسيوف تبقى متصدية دائما، و"بيض مسافرة" استعارة صفة حذف الشاعر فيها المشبه به "الإنسان" وجعل القرينة الدالة عليه "مسافرة" صفة.

---

[1] نفسه، ص 232.
[2] نفسه، ص45.
[3] نفسه، ص332
[4] نفسه، ص29
[5] نفسه، ص53.
[6] اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب، ج1ن ص48.

*-**استعارت الضمائر والصفات التمليكية:** كقول المتنبي:[1]

حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى وَقَدْ كَانَ غَدّارًا فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا

وهذه استعارة ضمير؛ حيث ينادى الشاعر قلبه قائلا:«أحببتك قبل أن تحب هذا الذي بعد عنا، يعرض بسيف الدولة وقد كان غدارا فلا تغدر بي أنت، أي لا تكن مشتاقا إليه ولا محبا له ؛ أي فإنك إن أحببت الغدار لم تف لي »[2]، فالشاعر يخاطب قلبه بأنه أحبه قبل أن يحب سيف الدولة، وقد غدر به، ويطلب منه عدم الغدر فيجب على قلبه أ لاّ يحب سيف الدولة وإلا فليس وافيا ، واستعارة (كن أنت وافيا) مخاطبا القلب استعارة ضمير.

*-**استعارة الأحوال:** مثل قول المتنبي:[3]

وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى

غَيْرَ أَنَّ الْفَتَى يُلَاقِي الْمَنَايَا كَالِحَاتٍ وَلَا يُلَاقِي الْهَوَانَا

المنايا (كالحات) استعارة أحوال، ومعناه أن الكريم يقدم على الموت العابس، ولا يحتمل الذل والهوان فـ«الحر الكريم أحب إليه الموت الكريه من أن يلقى ذلا وهوانا »[4]، فاستعار الشاعر حالة العبوس التي هي في الأصل للإنسان، وترك القرينة الدالة عليه "كالحات" فهي استعارة حال.

*-**استعارة الجار.**

*- **استعارة الجملة:** وتضم كل أنواع التمثيل.

يعتبر هذا التحليل وصفا تركيبا للاستعارة ، بل إن الأ مر أعمق فهو تحليل للوظائف الحجاجية للاستعارة.

ومن خلال الأمثلة التي تناولناها بالدراسة من شعر المتنبي ، نستنتج أن شعره يزخر بأنواع مختلفة من الحجج؛ فقد اعتمد أحيانا على حجج شبه منطقية التي احتفظت بالقدرة على الإقناع، كما اعتمد كذلك على حجج مؤسسة على بنية الواقع ؛ فاتسمت الحجة بالواقعية واتخذت بعدا توضيحيا، كما اعتمد في أحيان أخرى على حجج تبنين الواقع من شاهد ومثال وقدوة وتمثيل، ليحمل متلقيه على الإذعان والتسليم بوجهة نظره.

---

[1] الديوان، ص 441.
[2] البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، المجلد الثاني، ج4، ص308.
[3] الديوان، ص474.
[4] البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، المجلد الثاني، ج4، ص274.

وتجدر الإشارة ههنا إلى أن الشعر بوصفه يكثف المعاني، يمكن تناوله من وجهات متعددة، وكثيرا ما واجهنا في مثال واحد عدة حجج ؛ فاستثمرناه في مواضع مختلفة كمثال توضيحي.

وما تنوع الحجج في شعر المتنبي إلا دليل واضح وبرهان ساطع عل ى إمكانية وجود الحجاج في الشعر.

وإن كانت الحجة في الشعر خفية غير ظاهرة ، قد لا يتفطن المتلقي إلى الحجة الكامنة وراء البيت الشعري، لكن عن طريق معرفة أنواع الحجج وتحليل المعنى، يمكن فهم مقاصد الشعراء وأهدافهم الإقناعية ، كما سيظهر كذلك من خلال الروابط الح جاجية من عناصر لغوية وسلالم حجاجية وهذا ما سنبينه في الفصل الموالي.

الفصل الثاني: استراتيجية الإقناع اللغوية في شعر المتنبي:

أولاً- المستوى الأفقي: العناصر اللغوية الحجاجية في شعر المتنبي.

1- روابط الوصل وروابط الفصل

2- ألفاظ التعليل.

3- الحجاج بالتبادل.

4- تحصيل الحاصل.

ثانياً- المستوى العمودي: السلم الحجاجي في شعر المتنبي:

1- تعريف السلم الحجاجي.

2- قوانين السلم الحجاجي.

3- وسائل السلم الحجاجي اللغوية.

الفصل الثاني: استراتيجية الإقناع اللغوية في شعر المتنبي:

رأينا في الفصل السابق كيف كان المتنبي ينوع من حججه، محاولا إقناع المتلقي بآرائه، مستثمرا الأساليب البلاغية من تشبيه واستعارة وغيرها، وقد انصب اهتمامه على بناء خطابه باختيار الحجج المناسبة.

واستعمل إلى جانب ذلك بعض العناصر والمؤشرات اللغوية من ألفاظ التعليل والتراكيب الشرطية والوصف وتحصيل الحاصل... الخ بوصفها روابط حجاجية.

ويمكن استثمار دلا لة الر وابط في بناء الخطاب الحجاجي عن طريق ترتيب الحجج، فمكوناتها اللغوية المختلفة داخل الجملة قد توسع أو تضيق من احتمالاتها الحجاجية، وقد تتفاعل هذه الروابط في صور شتى، مما يتطلب البحث في الفروق اللغوية بين الروابط لمعرفة القدرة الإقناعية من حيث القوة وال ضعف، وتشكل الوظيفة الدلالية للرابط الحجاجي وسائل حجاجية جوهرية تدفع الخطاب نحو النتائج المطلوبة؛ لتحقيق أهداف المتكلم المرجوة من إقناع وتأثير أو دحض الآراء والحمل على الإذعان، لذلك يمكننا الاستفادة من معاني الحروف التي وضعها القدامى للدلالات النحوية للحروف.

أولاً- المستوى الأفقي: العناصر اللغوية الحجاجية في شعر المتنبي:

يوجد مؤشرات تربط بين الحجج والنتائج وتنظم العلاقات بينهما، ومن بين هذه العناصر اللغوية نجد:" أدوات الربط" وهي«كل كلمة تكون رابطة بين جزأين من الكلام سواء وقعت متصدرة له كالاستفهام، أم في صميمه كأدوات العطف وحروف الجر ...وأدوات الربط كثيرة أسماءً وحروفا مثل أدوات الاستفهام والشرط والقسم والعطف والحض والتمني والرجاء والنواصب وحروف الجر...»[1]. لقد تمحورت دراسة ديكرو"Ducrot"خصوصا على("لكن"، "زد على ذلك"، "إذن"، "حتما") ، و درس فضلا عن ذلك «الروابط التي تفيد السببية مثل "لأن"، "بما أن"، "ذلك لأن" وتفحص اختلافاتها، وهذه المكتسبات أصبحت مدمجة في محاولات متنوعة لوضع كتاب "تداولية الخطاب الأدبي"1990... وهذه الروابط تمس بشكل مباشر التحليل الحجاجي، أين أضيفت لوظيفة الربط، وظيفة أخرى هي وظيفة الربط ال تعليلي

[1] حسن جمعة : في جمالية الكلمة : دراسة جمالية بلاغية نقدية، اتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد 170ص، دمشق ع2002/4/672، موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الانترنيت :http:www.awu.dam.org البريد الإلكتروني : Email.une criv@net say aru@ net say. ص73.

والعلاقة الحجاجية»[1] ، وهذه الروابط تقوم بالربط بين قولين وخواصها متغايرة من قول إلى آخر.

وينبغي التمييز بين الروابط الحجاجية و "العلاقة الحجاجية" «فالروابط الحجاجية هي جملة من الأدوات توفرها اللغة ويستغلها الباث ليربط بين مفاصل الكلام ويصل بين أ جزائه فتتأسس عندها العلاقة الحجاجية المقصودة التي يراها مؤسس الخطاب ضرورية»[2] ، ومن بين العلاقات الحجاجية: علاقة تتابع، أو سببية، أو الاقتضاء، أو استنتاج،[3] والروابط الحجاجية هي التي تعبر عنها.

ولقد قام العرب بتصنيف الأدوات اللغوية، وركزت أعمالهم على الم عاني، وعرف عندهم بحروف المعاني، «وأما تسمية أهل العربية أدوات المعاني : من وقد حروفا فإنهم زعموا أنهم سموها بذلك لأنها تأتي في أول الكلام وآخره فصارت كالحروف والحدود ، وقد قال بعضهم: «إنما سميت حروفا لانحرافها عن الأسماء والأفعال »[4]، وعرّفوا الحرف بأنه:«كلمة تدل على معنى في غيرها فقط»[5] ، والحرف يكتسب معناه مما يرتبط به في السياق الذي يرد فيه، «فأما ما كان من هذه الحروف التي جاءت لمعان، فهي منفصلة بأنفسها مما بعدها وقبلها، إلا أن الكلام بها منفردة محالٌ»[6].

عرّف "سيبويه"(ت180هـ) الكلم بأنه «اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل... وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو : ثمّ، وسوف، وواو القسم ولام الإضافة ونحوها»[7]، أما "الزجاجي" (ت337ه) فرأى بأنّ الحرف هو المقابل للاسم والفعل إنه «حدّ ما بين هذين القسمين ورباط لهما، والحرف حد الشيء، فكأنه لوصله بين هذين كا لحروف التي تلي ما هو متصل بها »[8]، والحرف عند "ابن جني" (ت392)«ما لم تحسن فيه علامة من

---

[1] Ruth Amossy: L'argumentation dans le discours, Discours politique, Littérature D'idées, Fiction Nathan, Paris 2000 , P.159.

[2] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص318.

[3] يُنظر: نفسه والصفحة نفسها.

[4] عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، كتبه: محمد بن إسماعيل بن عمر بن أبي بكر الحميدي الشافعي، مكتبة مشكاة الإسلامية، 30-03-2004 ص14.

[5] الحسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوى، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1413ه-1992م، ص20.

[6] أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد: المقتضب في اللغة، مكتبة مشكاة الإسلامية،2004/12/14، الجزء الأول، ص16.

[7] أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه : الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة،1408ه-1988م، ج1، ص12.

[8] أبو القاسم الزجاجي:الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار العروبة، القاهرة 1378هـ-1954، ص44

علامات الأسماء، ولا علامات الأفعال، وإنما جاء لمعنى في غيره »[1]، ومن مصطلحات التي تطلق على الحرف :«حرف المعنى، الأداة، أداة الربط، والرابط والرابطة »[2] ، وقد أطلق "المبرد" مصطلح "الأداة" على أدوات القسم[3] وجاء عنده أيضا بمعنى "الآلة"[4].

والحرف إذن هو القسم الثالث من أقسام الكلم عند النحاة و «غالبية أقوال النحاة تدور في فلك واحد تقريبا هو أن الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها، وأن دوره الوظيفي لا يتعدى ذلك»[5]، يقول الزجاجي «وأما حد حروف المعاني، وهو الذي يلتمسه النحويون، فهو أن يقال الحرف ما دل على معنى في غيره، نحو : من وإلى، وثم، وما أشبه ذلك، وشرحه أن (من) تدخل في الكلام للتبعيض، فهي تدل على تبعيض غيرها لا تبعيض نفسها، وكذلك إن كانت لابتداء الغاية، كانت غاية غيرها، وكذلك سائر وجوه ها، وكذلك(إلى) تدل على على المنتهى، فهي تدل على منتهى غيرها، لا منتهى نفسها، وكذلك سائر حروف المعاني»[6].

ولقد تنبه**"المرادي**(ت749هـ) إلى أن من الأسماء ما «يدل على معنيين: معنى في نفسه، ومعنى في غيره : كأسماء الاستفهام، والشرط فإنّ كل واحد منها يدلُّ ، بسبب تضمنه معنى الحرف في غيره، مع دلالته على المعنى الذي وضع له، فإذا قلت مثلا من يقم أقم معه، فقد دلت"من" على شخص عاقل بالوضع ودلت مع ذلك على ارتباط جملة الجزاء بجملة الشرط، لتضمنها معنى "إنْ" الشرطية»[7] ، وهذا ما جعله يضيف كلمة فقط على تعريفه للحرف؛ ليستثني من ذلك الأسماء، وتتعدد المعاني المختلفة للأداة الواحدة باختلاف التركيب الذي يستعمل فيه.

ومن علماء اللغة المحدثين من تتفق نظرته إلى الحرف ونظرة النحاة العرب؛ حيث ميزوا بين الكلمات الكاملة والأدوات فـ «الكلمات الكاملة لها مضمون أغنى وأكثر تحديدا من الأدوات، هذه الأخيرة إن هي في حقيقة الأمر إلا مجرد عناصر أو وسائل نحوية ليس لها

---

[1] أبو الفتح عثمان ابن جني : اللمع في اللغة، مكتبة مشكاة الإسلامية، كتبه : ميلود بن عبد الرحمن ،16ربيع الثاني 1426الموافق ل2005/06/04، ص01.

[2] محمد التنوخي، راجي الأسمر: المعجم المفصل في علوم اللغة(الألسنيات)، مراجعة إيميل يعقوب، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، الجزء الأول ، الطبعة الأولى، هـ1421-2001م ، ص267.

[3] ينظر: المقتضب في اللغة،ج2، ص 1.

[4] ينظر: نفسه،ج1، ص199.

[5] فاضل مصطفى الساقي: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي بالقاهرة1397ه-1977م، ص82.

[6] الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، ص54.

[7] الجنى الداني في حروف المعاني، ص21.

معنى مستقل خاص بها، إنها ليست شيئاً أكثر من وسائل وظيفتها التعبير عن العلاقات الداخلية بين أجزاء الجملة »[1]، فالأدوات لا تدل على معنى إذا كانت منفردة بنفسها، و «النحاة يسمون الحروف:"أدوات الربط" لأنّ الكلمة إما أن تدل على ذات، وإما أن تدل على معنى مجرد "أي حدث"، وإما أن تربط بين الذات والمعنى المجرد منها، فالاسم يدل على الذات، والفعل يدل على المعنى المجرد منها، والحرف هو الرابط»[2].

والأدوات تشمل الحروف وغيرها؛ لأنّ من الأسماء ما يتض من معنى حرف الاستفهام أو الشرط أو غيرها، كما قد تكون أفعالا «فأدوات العطف والقسم والجر - مثلا- كلها حروف، بينما أكثر أدوات الاستفهام والشرط أسماء ...أما أدوات الربط التي تأتي أفعالا فهي الأفعال الناقصة "كان وأخواتها"»[3]، والسياق هو الذي يحدد دلالة الروابط.

وحاجة الأدوات إلى السياق ماسة ؛ لأنّ معاني الأدوات هي معاني وظيفية، والأ دوات جميعها تشترك في أنها«لا تدل كلها على معان معجمية، ولكنها تدل على معنى وظيفي عام هو التعليق، ثم تختص كل طائفة منها تحت هذا العنوان العام بوظيفة خاصة ، كالنفي والتأكيد وهلم جرا، حيث تكون الأداة هي الرابط بين أجزاء الجملة كلها »[4]، فلا يكتمل معنى الأداة إلا في سياقها الوظيفي، فمثلا الجار لايفيد إلا مع المجرور.

1- <u>روابط الوصل وروابط الفصل</u>:

يوجد روابط للوصل وأخرى للفصل، ومهمتها الربط بين الجمل، ولكل رابط معنى يحدد وظيفتها، بالإضافة إلى السياق الذي تكون فيه، يقول "عبد القاهر الجرجاني ":«فليس الفضل للعلم بأن "الواو" للجمع، والفاء للتعقيب بغير تراخٍ، و"ثم" بشرط التراخي، و"إن" لكذا، و"إذا" لكذا، ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت شعرا، وألفت رسالة أن تحسن التخيّر، وأن تعرف لكل من ذلك موضعه»[5]، ومعنى الرابط لا يكتمل إلا مع اسم أو فعل يصحبه، ثم إن معرفة هذا المعنى المعنى تمكن المتكلم من اختيار ما يناسبه في الخطاب.

---

[1] ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، دار غريب القاهرة، الطبعة الثانية عشر1997، ص64.
[2] عباس حسن: النحو الوافي ، دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة، الجزء الأول، 1966،ص62.
[3] حسن جمعة: في جمالية الكلمة: دراسة جمالية بلاغية نقدية، ص73.
[4] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الطباعة مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، طبعة 1994 ص125.
[5] دلائل الإعجاز : تعليق : محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الثلاثاء، 5جمادى الأولى 1404،07فبراير 1984، ص250.

1-1- روابط الوصل:

ويقصد بروابط الوصل «ما يتم فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل؛ لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيم ها، وكذلك تقويم كل واحدة منها بواسطة الأخرى سلبا أو إيجابا »[1]. والوصلConjonction هو «علاقة منطقية تتمثل في تكوين قضية مركبة انطلاقا من قضيتين بسيطتين بواسطة الرابط "و" مثلا»[2]. ويطلق "فان دايك" "Van Dijk" على روابط الوصل مصطلح "روابط الوصل التشريكي"، ووظيفتها هي «تكوين جمل مركبة من جمل بسيطة، وعلى ذلك فعمل هذه الروابط هو حصول الإجراء الثنائي »[3]، ومن بين روابط الوصل "الواو" وثم وغيرهما.

*** الواو:** من معاني واو العطف «إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول»[4] ، يقول المتنبي:[5]

الفَارجُ الكُرْبَ العِظَامَ بِمِثْلِهَا وَالتَّارِكُ المَلِكَ العَزِيزَ ذَلِيلَا

بمعنى يكشف الغم و «يفرج الكرب عن أوليائه ، بمثل ما ينزله بأعدائه ؛ يعني أنه يقتل الأعداء؛ ليدفعهم عن أوليائه، ويفقرهم ليغني أولياءه؛ فيزيل عنهم الفقر »[6] ، والواو هنا رابط وصل يفيد إشراك الثاني في الأول، فالممدوح يكشف الغم ويذل الملك العزيز.

يقول المتنبي:[7]

تَحَاسَدَتِ البُلْدانُ حتَّى لَوْ أَنَّهَا نُفُوسٌ سَارَ الشَّرْقُ وَالغَرْبُ نَحْوَكَا

يقول **"اليازجي"** في شرح هذا البيت «أي أن البلدان يحسد بعضها بعض على ولايتك لها، فلو كانت نفوسا تعقل لسعى إليك الشر ق والغرب مغالاة بك »[8]، فالواو هنا تفيد إشراك الثاني(الغرب) في معنى الأول(الشرق)، يقول المتنبي:[9]

الصَّوْمُ وَالفِطْرُ وَالأَعْيَادُ وَالعَصْرُ مُنِيرَةً بِكَ حتى الشَّمْسُ وَالقَمَرُ.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجية الخطاب، ص477.
[2] آن ربول جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، ص276.
[3] النص والسياق، ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، ص83.
[4] المبرد: المقتضب في اللغة، ص04.
[5] الديوان، ص144.
[6] الواحدي : شرح ديوان المتنبي، ص257.
[7] الديوان، ص148.
[8] العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1، ص150.
[9] الديوان، ص367.

حيث أكثر الشاعر من استعمال رابط الوصل الواو التي تفيد إشراك معاني متعددة في حكم واحد، والجمع بينها.

***-ثم:** ومن روابط الوصل كذلك **"ثم"** وتفيد الترتيب، وهي «حرف عطف يدل على أن الثاني بعد الأول وبينهما مهلة »[1]، وقد استعملها المتنبي في مدح "شجاع بن محمد الطائي المنبجي"، يقول:[2]

إلى وَاحِدِ الدُّنْيَا إلى ابْنِ مُحَمَّدٍ شُجَاعَ الذي لله ثُمَّ لَهُ الفَضْلُ

فالشاعر يشكر الله ثم يشكر الممدوح، أي لله الفضل أولا ثم للممدوح، ومن هنا فإن الرابط "ثم" يفيد الترتيب.

***-(إنّ-أنّ):** يرى النحويون أن روابط الوصل مثل "إنّ، أنّ " وظيفتها التأكيد والتحقيق؛ حيث«يزعم النحاة أنها تؤكد ما بعدها وتحققه»[3] ، مثل قول المتنبي:[4]

يَمَّمْتُ شَاسِعَ دَارِهِمْ عَنْ نيَّةٍ إنَّ المُحِبَّ عَلَى البِعَادِ يَزُورُ

فالشاعر قصد الشاسع البعيد، ويؤكد نيته في سفره رغم البعد لزيارة من يحب، فدلّت "إنّ" على العلم واليقين، وأفادت التأكيد، ومثل قوله:[5]

وإنِّي لنَجْمٌ تَهْتَدي صُحْبَتِي بِه إذَا حَال مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابُ

وقد لا تدل "إنّ، وأنّ" على التوكيد، وذلك إذا سبقت بظن أو شك،[6] ومثال ذلك قول المتنبي:[7] المتنبي:[7]

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ دَفْنِكَ في الثَّرى أَنَّ الكَوَاكِبَ في التُّرَابِ تَغُورُ

مَا كُنْتُ آمُلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَى رَضْوَى على أَيْدي الرِّجَالِ تَسيرُ

"إنّ، وأنْ" تدل على المصدرية، ويمكن استبدالهما بمصدر؛ بمعنى (ما كنت أحسب...غور الكواكب في التراب، وما كنت آمل...رؤية الرضوى).

2-2-روابط الفصل:

---

[1] الزجاجي : معاني الحروف: ص50.
[2] الديوان، ص44.
[3] مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت لبنانن ط2، 1406ه-1987م، ص317.
[4] الديوان، ص73.
[5] نفسه، ص479.
[6] ينظر مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص317.
[7] الديوان، ص71.

أما روابط الفصل فـ«هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلا واحدا، أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها »[1]، والفصل Disjonction «علاقة منطقية يتم الربط فيها بين قضيتين بسيطتين بواسطة الرابط "أو" مثلا»[2].

<u>*- أو:</u> وهي من أدوات الفصل وهي تدل ع لى التخيير ويكون «عندما ينوي المتكلم أن يقوم إما بالفعل الأول أو الثاني في حال أو وقت محدد من المستقبل »[3]، ومعاني"أو" ثمانية: الشك، والإبهام، والتخيير، والإباحة، والتقسيم، والإضراب، وقد تكون بمعنى الواو، ومعنى"ولا""[4].

استعمل المتنبي روابط الفصل في شعره، ومن بينها "أو" بمعنى التخيير «ومعنى التخيير : ترك المخاطب حرً ا يختار أحد المتعاطفين فقط، ويقتصر عليه، دون أن يجمع بينهما، لوجود سبب يمنع الجمع»[5]، يقول المتنبي:[6]

عِشْ عَزِيزا <u>أَوْ</u> مُتْ و أَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ القَنَا وخَفْقِ البُنُودِ

وعلى المتلقي أن يختار إما العيش وإما الموت، ولا يمكنه أن يجمع بين الموت والحياة، ويقول في موضع آخر:[7]

هَذِهِ مُهْجَتِي لَدَيْك لِحَيْنِي فَانْقُصِي مِنْهَا <u>أَوْ</u> فَزِيدِي

وعلى المتلقي أن يختار إما النقص أو الزيادة . كما قد يكون استعمال الرابط "أو" بمعنى الإباحة.

ومثال ذلك قول الشاعر:[8]

إنَّ العَطَايَا والرَّزَايَا والقَنَا حُلَفَاءُ طَيْءٍ غَوَّرُوا <u>أَوْ</u> أَنْجَدُوا[9]

فالعطايا والرزايا والقنا «لا تفارقهم فهم حيثما حلو أفاضوا المواهب على الأولياء والمصائب على الأعداء وجعلوا الرماح وسيلة لهم في الحالين »[10]، فجاءت بمعنى الإباحة ،

---

[1] الشهري: استراتيجية الخطاب، ص477.
[2] آن ربول ، جاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، ص268.
[3] فان دايك: النص والسياق، ص98.
[4] ينظر: الحسن بن القاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ص228-230.
[5] عباس حسن : النحو الوافي ، المجلد الثالث، ص604.
[6] الديوان، ص21.
[7] نفسه، ص20.
[8] الديوان، ص50.
[9] الغور : منخفض من الأرض، وأنجدوا: نزلوا النجد وهو الأرض المرتفعة.
[10] اليازجي العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1، ص45.

ويقصد بالإباحة:«ترك المخاطب حرا في اختيار أحد المتعاطفين فقط، أو اختيارهما معا، والجمع بينهما إذا أراد»[1]، حيث يبيح المتكلم للمخاطب اختيار أمر واحد أو الأمرين معا.

كما قد يكون" الرابط "أو" للوصل بمنزلة الواو، ولا يدل على التخيير أو الفصل، ومثال ذلك قول الشاعر:[2]

لَو جادَتِ الدُّنْيا فَدَتْكَ بِأهْلِها أَوْ جَاهَدَتْ كُتِبَتْ عَلَيْكَ حَبِيسَا

بمعنى:«لو كانت الدنيا ذات جود لبذلت أهلها فدية عنك، ولو كانت ممن يجاهد ؛ أي يقاتل في سبيل الله لجعلت نفسها وقفا عليك، لا تنقاد إلا لك، ولا تصد ر إلا عن أمرك، قال ذلك لأنّ الممدوح كان من القائمين بالجهاد»[3]، فالرابط "أو" هنا لم يفد التخيير أو الفصل؛ بل كان رابط رابط وصل بمنزلة الواو.

***- أم:** والرابط **"أم"** من روابط الفصل ، وقد تكون بمعنى **"أو"** وتفيد التخيير، مثل قول المتنبي:[4]

أَرِيقُكِ أَمْ مَاءُ الغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ بِفِيَّ بَرُودٌ وَهْوَ فِي كَبِدِي جَمْرُ[5]

ويقول الشاعر:[6]

يَرُوعُ رَكَانَةً وَيَذُوبُ ظَرْفًا[7] **فَمَا يُدْرَى أَشَيْخٌ أَمْ غُلَامُ**

وفي هذا البيت لا تفيد "أم" التخيير؛ لأنّ المعنى هو أن الممدوح «جمع بين وقار الشيوخ والشبان»[8]، فجاءت بمعنى الإباحة، فقد تتغير دلالة الرابط اللغوي حسب استعماله في السياق.

السياق.

قام المتنبي بتوظيف مؤشرات وروابط لغوية، ساعدت على تنظيم العلاقات بين الحجج والنتائج عن طريق التركيب؛ فـ«للتركيب أدوات تضمن تلاحم أجزاء النص، وترابط عناصره واتصال بعضه ببعض من أهمها الروابط.. ويمكن أن نشير هنا إلى نوعين اثنين فقط وهما:

-الروابط النحوية: مثل الواو والفاء وثم...إلخ

---

[1] عباس حسن : النحو الوافي، المجلد الثالث، ص604.
[2] الديوان: ص60.
[3] اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1، ص54.
[4] نفسه، ص62.
[5] الغمامة: السحابة البيضاء، البرود: البارد.
[6] الديوان، ص103.
[7] الركانة: الرزانة والوقار ، والظرف: خفة الروح وذكاء القلب.
[8] اليازجي : العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب، ج1، ص98.

-الروابط الحجاجية: نحو"بل" و"لكن" و"حتى" وغيرها»[1].

والروابط التي استعملها المتنبي ليست حججا بعينها، إنما هي قوالب تنظم العلاقات بين المقدمات والنتائج وتربط بينها، منها ألفاظ التعليل:

2- ألفاظ التعليل:

استعمل المتنبي ألفاظا أسهمت في ربط الحجج، قاصدا بها تبرير مواقفه وتعليل آرائه، ومن هذه الألفاظ نجد : " المفعول لأجله " و"كلمات مثل "السبب"،"دل"،"دليل"،" الشهادة" و"لأنّ" و"كي" والوصل السببي...

2-1-المفعول لأجله:

المفعول لأجله هو«المصدر الذي يدل على سبب ما قبله (أي بيان علته) ويشارك عامله في في وقته وفاعله .. [وهو] ثلاثة أقسام : مجرد من أل، والإضافة ...ومضاف...،ومقترن بأل... وهذا القسم دقيق في استعماله وفهمه، قليل التداول قديما و حديثا»[2]، وقد استعمل المتنبي المتنبي المفعول لأجله في قوله:[3]

وَمَنْ لَمْ تُعَلِّمْهُ لَكَ الذُلَّ نَفْسُهُ مِنَ النَّاسِ طُرًّا عَلَّمَتْهُ المَنَاصِلُ

والمعنى أنّ:«من لم ترشده نفسه إلى الخضوع لك اختيارا أرشدته إلى ذلك سيوفك فخضع اضطرارا »[4]، فمعنى كلمة "طرا" طوعا ورغبةً، وهي مفعول لأجله جاءت لتعلل سبب خضوع الناس للممدوح. ويقول أبو الطيب:[5]

فَأَصْبَحَ يُجْتَابُ المُسُوحَ مَخَافَةً وَقَدْ كَانَ يَجْتَابُ الدِّلاَصَ المُسَرَّدَا[6]

فقد ترهب عدو "سيف الدولة" وصار يلبس المسوح بعد الدروع، وسبب ذلك هو خوفه من الممدوح، ولفظة التعليل التي ربطت بين العلة والنتيجة هي المفعول لأجله "مخافة". أما في قول الشاعر:[7]

ومَنْ يُنْفِقِ السّاعاتِ في جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالذِي فَعَلَ الفَقْرُ

---

[1] أبو بكر العزاوي: الحجاج والشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعري، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، ص373.
[2] عباس حسن:النحو الوافي، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، الجزء الثاني، ص225.
[3] الديوان ، ص378.
[4] اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2-ص395.
[5] الديوان، ص371.
[6] يجتاب: يلبس- المسوح: ثياب من الشعر، الدلاص:الدروع.
[7] الديوان، ص189.

فإنّ الشاعر في هذا المثال يقدم حجة القائل بجمع المال والمتمثلة في خشيته من الفقر، وكانت هذه الحجة مفعولا لأجله، دل بها على سبب ما قبلها، ثم قام بدحضها عن طريق التركيب الشرطي فـ«من جمع المال خوف الفقر كان ذلك هو الفقر ؛ لأنه إذا جمع منع والمنع فقر، وهذا كما قيل قديما الناس في الفقر مخافة الفقر »[1] وتأكيد الشاعر لحجته بفاء الجزاء، لتكون حجته أقوى، فإذا جمع الإنسان المال واشتد حبه له، أصابه البخل، والبخل والمنع في حد ذاته فقر.

وقد استعمل الشاعر المفعول لأجله؛ ليبيّن لسيف الدولة سبب بقائه عنده فقال:[2]

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا

فقد أقام الشاعر عند سيف الدولة حباً له، ولأنه قيّده بإحسانه، ولفظ التعليل "محبةً" جاء مفعولا لأجله، وفسّر سبب إقامة الشاعر عند الممدوح، ومن هنا ربط لفظ التعليل بين السبب والنتيجة.

ومن أحكام المفعول لأجله التي أوردها النحاة أنه «إذا كان مستوفيا للشروط جاز نصبه مباشرة، وجاز جره بحرف من حروف الجر التي تفيد التعليل، وأوضحها : اللام، ثم، في، والباء، ومِنْ»[3].

***-اللام الجارة:**

ولها معان كثيرة منها :«الاختصاص... والاستحقاق... والملك... والتمليك... وشبه التمليك... والتعليل... والنسب... والتبيين هي الواقعة بعد أسماء الأفعال ... والقسم... والتعدية... والصيرورة...»[4]، ومن أمثلة ذلك **"لام الجر"** التي تفيد التعليل في قوله:[5]

تَبْكي على الأنْصُلِ الغُمُودُ إذا أَنْـذَرهَا أنَّه يُجَـرِدُها

لِعِلْمِـها[6] أَنَّها تَصيرُ دَمَـا وأَنَّهُ في الرِّقَاب يُغْمِـدُها

يحاول الشاعر إقناع المتلقي بشجاعة ممدوحه وإقدامه، بدليل أنّ «غمود سيوفه تبكي على نصالها إذا أنذرها أنه يجردها ؛ لعلمها أن النصال المذكورة ستلبس لون الدم لكثرة ما تتلطخ

---

[1] الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ص349

[2] الديوان: ص373.

[3] عباس حسن، النحو الوافي، ج2، ص225-226.

[4] المرادي : الجنى الداني في حروف المعاني، ص96-98.

[5] الديوان، ص10.

[6] قد يسبق المصدر حرف جر للتعليل مثل "اللام والباء وفي " ويفيد بيان السبب، لكن يعرب جارا ومجرورا رغم استيفائه شروط التعليل، ينظر: عباس حسن:النحو الوافي ،ج2 ، ص226.

به؛ فيذهب رونقها، وأنه سيجعل الرقاب غمودا لها بدلا منها »[1]، فبكاء الغمود: نتيجة، والسبب هو استبدالها بالرقاب وتلطيخها بالدم، أما الرابط الحجاجي الذي ربط بين الحجة والنتيجة؛ فهو المفعول لأجله(لعلمها..).

و يقول الشاعر:[2]

تُرَابُهُ فِي كِلابٍ كُحْلُ أَعْيُنِـهَا[3] وَسَيْفُـهُ فِي جَنَابٍ[4] يَسْبُقُ العَذَلاَ

لِنُورِهِ فِي سَمَاءِ الفَخْرِ مَخْتَرَقٌ لَوْ صَاعَدَ الفِكْرَ فِيهِ الدَّهْرَ مَا نَزَلاَ

يقول اليازجي:«أراد بنوره شهرته وصيته؛ أي أنه عالي الشرف والذكر حتى لو صاحب الفكر في مصعده طول الدهر لم ينته الفكر معه إلى حد، ولذلك لا ينزل بل لا يزال مستمرا في صعوده إلى ما شاء الله»[5]، ولام الجر جاءت بمعنى التعليل: "لنوره" أي بسبب شهرته وصيته. وصيته.

وقد وظف الشاعر اللام الجارة التي تفيد التعليل أكثر من مرة في بيتين، يقول:[6]

أَنَا عَاتِبٌ لِتَعَتُّبِكْ مُتَعَجِّبٌ لِتَعَجُبِّكْ

إِذْ كُنْتُ حِينَ لَقَيْتَنِي مُتَوَجِّعًا لِتَغَيُّبِكْ

ولقد وردت النتيجة قبل السبب، وميزها الرابط الحجاجي "لام الجر" ونظّم العلاقة بينهما، فالشاعر يبرر سبب النتيجة التي آل إليها من عتاب وتعجب وتوجع بحجج ثلاثة هي عتاب المخاطب وتعجبه وتغيبه، ويمكن تمثيلها كما يلي:

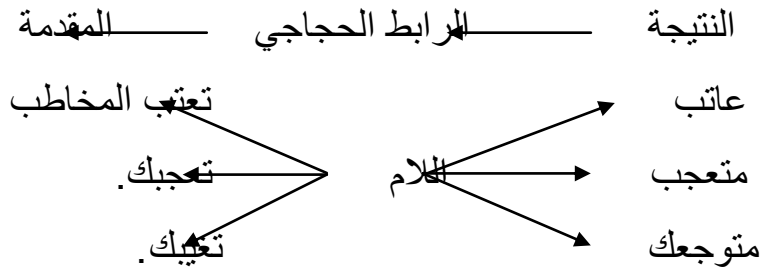

يقول الشاعر:[7]

---

[1] ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، الجزء الأول،ص6.
[2] الديوان: ص18.
[3] "ترابه كلاب كحل أعينها" كناية عن ولاء القبيلة للممدوح،
[4] "في جناب" هي قبيلة ،وهنا كناية عن شقائهم بغزواته.
[5] العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، الجزء الأول، ص13.
[6] الديوان، ص40.
[7] نفسه، ص19.

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلْتُ شَهِيدٌ لِبَيَاضِ الطُّلَى وَوَرْدِ الخُدُودِ

يبيّن الشاعر أنه إذا قتل فإنّ «سبب قتله حب الأعناق البيض والخدود الحمر »[1] ، فالرابط الحجاجي "اللام الجارة" في هذا المثال ربط بين المقدمة والنتيجة، وبيّن السبب، تماما كالمثال السابق.

وفي قول الشاعر:[2]

فَرُؤُوسُ الرِّمَاحِ أَذْهَبُ لِلْغَيْـ ـظِ وَأَشْفَى لِغِلِّ صَدْرِ الحَقُودِ

فسبب ذهاب الغيظ، وشفاء الحسد والغل هو القتال بالرمح ، وساعد في الربط بين المقدمة والنتيجة "اللام الجارّة" كما نلاحظ وجود اسمي التفضيل "أذهب" و"أشفى" ، والتي وضحت القوة الحجاجية بين القولين ، فذهاب الغيظ وشفاء غل الحقود.

ويقول الشاعر:[3]

وَكَمْ عَينُ قَرْنٍ حَدَّقَتْ لِـنِزَالِهِ فَلَمْ تُغْضِ إلا والسِّنَانُ لَهَا كُحْلُ

حيث أشاد الشاعر بشجاعة الممدوح، فمجرد نظرة العدو إليه لمنازلته، فإنّ الممدوح يسبقه ويجعل سيفه فيها كالكحل قبل أن يغضّ طرفه، والرابط هو **لام الجر**؛ حيث إن تحديد النظر نتيجة والسبب هو النزال؛ يمكن تمثيلها كما يلي:

العدو يحدق بنظره ←**الرابط "لام"** ←نزال الممدوح.

ثم أصبحت النتيجة سببا آخر يظهر في عجز البيت بعد الفاء الدالة على السببية؛ "فلم تغض إلا والسنان لها كحل" كنتيجة لما سبق:

نتيجة ←رابط حجاجي ←سبب

أصبح السنان في العين ←فاء ←التحديق للنزال.

***- اللام الناصبة:**

وتنصب الفعل المضارع وقد «قال بها ا لكوفيون، أما البصريون، فهي عندهم لام جر، والناصب "أنْ" المضمرة بعدها»[4]، ولها ستة أقسام وهي : : «لام كي، وهي لام التعليل ...لام الجحود، وهي اللام الواقعة بعد "كان" الناقصة المنفية الماضية لفظا أو معنى ...ولام

[1] الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ص31.
[2] الديوان، ص21.
[3] الديوان، ص45.
[4] المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني،ص114.

الصيرورة وتسمى لام العاقبة أو لام المآل ... اللام الزائدة...واللام التي بمعنى "أنْ" ...واللام التي بمعنى الفاء»[1].

ونقصد بللام الناصبة التي تفيد هذه اللام التعليل، وقد سميت ب-"لام كي"، لأنها «تتصل بالأفعال المستقبلة وينتصب الفعل بعدها عند البصريين بإضمار أن ، وعند الكوفيين اللام بنفسها ناصبة للفعل وهي في كلا المذهبيين متضمنة معنى "كي"، وذلك قولك "زرتك لتحسن إلي" المعنى "كي" تحسن إلي، وتقديره لأن تحسن إلي ، فالناصب للفعل أن المقدرة بعد اللام ، وهذه اللام عند البصريين هي الخافضة للأسماء ، فتكون "أن" والفعل بتقدير مصدر مخفوض باللام كقولك: "جئتك لتحسن إلي" أي للإحسان إلي»[2]، ولكونها تفيد التعليل؛ فإنها تقوم بالربط بين المقدمة والنتيجة، يقول المتنبي:[3]

غُصْنٌ عَلَى نَقَوَيْ فَلاَةٍ نَابِتٌ شَمْسُ النَّهَارِ تُقِلُّ لَيْلاً مُظْلِمَا

لَمْ تُجْمَعِ الأَضْدَادُ فِي مُتَشَابِهٍ إِلاَّ لِتَجْعَلَنِي لِغُرْمِي مَغْنَمَا

يذكر الشاعر الأضداد "شمس نهار- ليل مظلم" حيث«لم تجمع هذه الأوصاف المتضادة في شخص متشابه المحاسن إلا لتجعلني غنيمة لما أنا مغترمه من غوائل حبها »[4]، فاجتماع الأضداد هو السبب في جعل الشاعر غنيمة لحب حبيبته.

***- لام كي**: وقد استعمل الشاعر اللام مقترنة بـ"كي" في قوله:[5]

وَإِنَّمَا عَرَضَ اللهُ الجُنُودَ بِكُمْ لِكَيْ يَكُونُوا بِلاَ فَسْلٍ[6] إِذَا رَجَعُوا

ومعناه «إنما ابتلى الله الجنود بكم ؛ يعني جنود سيف الدولة ، يقول إنما خذلهم الله وجعلهم لكم عرضةً ليجردهم من الأوباش الذين قتلتموهم ف يعود إليكم في الأبطال وذوي النجدة فلا يكون فيهم فسل ولا دنيء»[7] ، فسبب ابتلائهم هو تجريدهم من كل دنيء رذل.

***- كـي:** استعمل المتنبي "كي" الناصبة للفعل المضارع، وتفيد التعليل وتربط بين قضيتين حجاجيتين، ومثال ذلك قوله:[1]

---

[1] نفسه115-123.

[2] أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي : كتاب اللامات مكتبة مشكاة الإسلامية، كتبه : : ميلود بن عبد الرحمن يوم الجمعة 21 جمادي الثانية 1426، الموافق 2005/07/15 ، ص14.

[3] الديوان، ص 15.

[4] اليازجي : العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1، ص10.

[5] الديوان، ص314.

[6] الفسل هو الرذل الذي لا حياء له.

[7] الواحدي : شرح ديوان المتنبي، ص540-541.

لَبِسْنَ الوَشْيَ لاَ مُتَجَمِّلاَتٍ ولَكِنْ كَيْ يَصُنَّ الجَمَالاَ

فسبب لبسهن الثياب المنقوشة هو صون الجمال وليس التجمل لأنهن «غنيات بحسنهن عن التجمل في الوشي، ولكن يلبسنه ليصن به جمالهن عن أعين للناظرين »[2]، ويمكن تمثيل هذه الحجة كما يلي:

نتيجة رابط حجاجي سبب

لبسن الوشي ← كي ← يصن الجمالا

وفي مدحه لسيف الدولة يقول:[3]

قَصَدُوا هَدْمَ سُورِهَا فَبَنَوْهُ وَأَتَوْا كَيْ يُقْصِرُوهُ فَطَالاَ

استعمل الشاعر الرابط الحجاجي "كي" لتبرير الفعل؛ فقد قصدت الروم هدم سور ا لقلعة وتقصيرها؛ فكان نتيجة ذلك أنهم بعثوا بسيف الدولة على إتمام بنائها، فقصدهم كان سببا في البناء والإطالة، ويمكن تمثيل هذه الحجة كما يلي:

أتوا ← كي ← يقصروه

نتيجة ← رابط حجاجي ← سبب

ثم إنّ قصدهم هذا أصبح سببا في البناء والإطالة؛ أي:

قَصَدُوا ← هَدْمَ سُورِهَا ← سبب

الفاء ← رابط حجاجي

الطول والبناء ← نتيجة

نلاحظ كذلك في هذا البيت مفعولا لأجله (هدم سورها) جاء ليبيّن علّة مجيء الروم، فسبب مجيئهم هو الهدم.

يقول المتنبي:[4]

وَخِلَّةٍ فِي جَلِيسٍ أَلْقَيهِ بِهَا كَيْمَا يَرَى أَنَّنَا مِثْلانِ فِي الوَهَنِ

ويعني بقوله هذا «رب خصلة في جليس لي أستقبله بمثلها من نفسي أي أتخلق بمثلها كي يظنني مثله في ضعف الرأي»[1] ، إذا كانت "ما" حسب بعض النحويين كافة لـ"كي" عن العمل[2]،

---

[1] الديوان، ص139.
[2] ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب،ج1، ص139.
[3] الديوان، ص410.
[4] نفسه، ص171.

فإنها في هذا المثال لفظ من ألفاظ التعليل تساوي الرابط السببي "كي" كما هو موضح في شرح البيت. وفي مثال آخر يقول المتنبي:[3]

خَلَتِ البِلاَدُ مِنَ الغَزَالَةِ لَيْلَهَا فَأَعَاضَهَاكَ اللهُ كَيْ لاَ تَحْزَنَا

ويقصد الشاعر الدعاء للممدوح بأن يجعله الله عوضا لأهل البلاد من الشمس ، عند فقدها في الليل كي لا يحزنوا، فرتب الشاعر الحجة والنتيجة ، وربط بينهما برابط حجاجي "كي" على المنوال الآتي:

جعلك الله عوضا من الشمس ←كي ←لا يحزن أهل البلاد

سبب محتمل ← رابط حجاجي←نتيجة محتملة

***- الباء:** وهي «حرف من حروف المعاني وهي من قسم الأداة، تدخل على الاسم الصريح، والمؤول ويكون بعدها مجرورا أو في محل جر ...وتأتي لمعان وظيفية»[4]، ومن أهم معانيها الإلصاق والاستعانة والمجاوزة والتبعيض والمصاحبة والاستعلاء والقسم والمقابلة والتوكيد والسببية... وباء السببية تسمى كذلك بباء التعليل « قال ابن مالك : هي التي تصلح غالبا في موضعها اللام ... ولم يذكر الأغلبون باء التعليل، استغناءً بباء السببية لأنّ التعليل والسبب عندهم واحد»[5]، ودلالة الباء السببية تفيد التعليل هي التي تجعلها رابطا حجاجيا؛ لأنها تدل على الحجاج وتربط بين الحجة والنتيجة ، ومن أمثلتها قول المتنبي:[6]

سَمَا بِكَ هَمِّي فَـَوْقَ الهُمُومِ فَلَسْتُ أَعُدُّ يَسَارًا يَسَارَا

فالباء في "بك" سببية أي بسببك ؛ حيث يقول: «سمت بك أي همتي حتى صارت فوق الهمم ولست أقنع بما يكون غِنًى ويسارا أطلب ما فوقه»[7]، يقول المتنبي:[8]

فَإِنْ هَابُوا بِجُرْمِهِمْ عَلِيًّا فَقَدْ يَرْجُوا عَلِيًّا مَنْ يَهَابُ.

أي أنهم خافوه بسبب جرمهم، بمعنى أنهم «إن خافوه بجرمهم فهم يرجونه أيضا مع بأسه حليم»[1]، يقول الشاعر:[2]

---

[1] الواحدي، شرح ديوان المتنبي ، ص315.
[2] ينظر الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق، فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ص263
[3] الديوان، ص153.
[4] فاضل مصطفى الساقي ، أقسام الكلام العربي، ص333.
[5] المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ص39-40.
[6] الديوان، ص366.
[7] الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ص580.
[8] الديوان ،ص383.

رُبَّ نَجِيعٍ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ انْسَفَكَا وَرُبَّ قَافِيَةٍ غَاضَتْ بِهِ مَلِكَا

ومعناه «رب دم انصب به أي بسببه؛ لأنه صبه أو أمر بصبه ويريد بالقافية القصيدة ، يقول رب قصيدة مدح بها فغاضت تلك القصيدة ملكا حيث حسده عليها لحسنها »[3]، ويقول الشاعر في موضع آخر:[4]

أَشَذَّ بِعِرْسِهِ عَنِّي عَبِيدِي فَأَتْلَفَهُمْ وَمَالِي أَتْلَفُوهُ

ويقول "اليازجي" في شرح هذا البيت:«شرّد عبيدي بسبب امرأته؛ لأنه استغواهم بها فاتلفهم بتعريضه إياهم للقتل وهم أتلفوا مالي لأنهم انفقوه عليها وعليه »[5]، فدلّت الباء على السبب، بسبب امرأته، يقول المتنبي:[6]

فَبِلَحْظِهَا نَكِرَتْ قَنَاتِي رَاحَتِي ضُعْفًا وَأَنْكَرَ خَاتَمَايَ الخِنْصِرَا

أي بسبب نظره إليها صار ضاويا مهزولا حتى أنكر رمحه يده وخاتمه خنصره ضعفا [7]، فالباء هنا أفادت التعليل، كما نجد أن لفظ ضعفا جاءت مفعولا لأجله لتبيّن علة ما قبله، أي السبب الذي جعل قناته تنكر راحته(لضعفه). و يقول الشاعر:[8]

وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلِمَّتِي مُسْوَدَّةٌ وَلِمَاءِ وَجْهِي رَوْنَقُ

حَذَراً عَلَيْهِ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهِ حَتَّى لَكِدْتُ بِمَاءِ جَفْنِي أَشْرَقُ

يقول "الواحدي" في شرح هذا البيت:«لكثرة دموعي كاد يشرق بها جفني أي يضيق عنها، يقال شرق بالماء كما يقال غص بالطعام، وإذا شرق هو ولذلك قال أشرق ويجوز أن يغلبه البكاء فلا يبلغه بريقه ويكون التقدير بسبب ماء جفني أشرق بريقي »[9]، فدلت الباء في "بماء" على السبب، وفي المثال نفسه نجد مفعولا لأجله وهو "حذرا عليه"؛ فبكاء الشاعر كان بسبب حذره على شبابه.

يقول الشاعر:[10]

---

[1] اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2، ص399.
[2] الديوان، ص297.
[3] الواحدي، شرح ديوان المتنبي ، ص493.
[4] الديوان، ص515.
[5] العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ص557.
[6] الديوان، ص523.
[7] ينظر الواحدي ، شرح ديوان المتنبي، ص227.
[8] الديوان، ص29.
[9] شرح ديوان المتنبي، ص43.
[10] الديوان، ص34.

فَقَلْقَلْتُ بِالهَمِّ الذِي قَلْقَلَ الحَشَا قَلاَقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلاَقِلُ

ويعني بـ «القلقلة التحريك ويريد بالحشا ما في داخل الجوف والقلاقل الأولى جمع قلقل وهي الناقة الخفيفة ... يقول حركت بسبب الهم الذي حركه قلبي توقا خفافا في السير؛ يعني سافرت ولم أعرج بالمقام الذي يلحقني في الضيم...»[1] والباء في(بالماء) سببية أي بسبب الهم، الهم، ويقول الشاعر في موضع آخر:[2]

أَكَارِمٌ حَسَدَ الأَرْضَ السَّمَاءُ بِهِمْ وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلُسِ

والأكارم هم الأفاضل والباء في (بهم) سببية أي بسبب هؤلاء الأكارم تحسد السماء الأرض؛ أي «لكونهم في الأرض تحسدها السماء؛ حيث لم يكن في السماء مثلهم، وتأخر كل مصر عن بلدتهم لفضلهم على سائر الأمصار»[3].

***- في:** وهي حرف جر ، وله تسعة معان منها : «الظرفية... المصاحبة... التعليل... المقاييسة... [أو] تكون بمعنى "على"...[أو] تكون بمعنى "الباء" ...[أو] تكون بمعنى"إلى"...[أو] تكون بمعنى "من"... [أو] تكون زائدة»[4] ، ومعنى التعليل هو الذي يهمنا لكونه رابط حجاجي بين السبب والنتيجة.

ويدل حرف الجر **"في** " على التعليل في قول الشاعر:[5]

فَلَوْ لَمْ تَغَرْ لَمْ تَزْوِ عَنِّي لِقَاءَكُمْ وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمُ خَصْمِي

حيث يلوم الشاعر النوى والبعد فـ«لو كانت النوى لا تغار عليكم لما طوت لقاءكم عني ولما خاصمتني بسببكم»[6]، وحرف الجر "في" أفادت التعليل لأنها تحيل إلى معنى السبب.

يقول المتنبي:[7]

كَأَنِّي عَصَتْ مُقْلَتِي فِيكُمُ وَكَاتَمَتِ القَلْبَ مَا تُبْصِرُ

ويقصد الشاعر أنّه«إذا رأت عيني ما تحبون كتمه، تناساه قلبي، حتى كأنّ العين كتمت عنه ما رأت...وقوله (فيكم) أي من أجلكم، وعصيان المقلة للفؤاد، إنما هو كتمها عنه ما رأته فكأنه

---

[1] الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ص55.
[2] الديوان، ص25.
[3] الواحدي ، شرح ديوان المتبي، ص106.
[4] المرادي : الجنى الداني في حروف المعاني، ص250-252.
[5] الديوان، ص80.
[6] الواحدي : شرح ديوان المتنبي، ص150.
[7] الديوان ، ص353.

قال: كاني عصت مقلتي فيكم قلبي وكاتمته ما تبصر »[1]، وقد دل حرف الجر "في" على التعليل والسبب، بمعنى بسبب عصيان المقلة للقلب وكتمانها ما أبصرت.

***- كلمة السبب:**

ومن ألفاظ التعليل كذلك ذكر كلمة **"السبب"** تلفظا، وقد استعملها ا لمتنبي في رثاء أخت "سيف الدولة" حين قال:[2]

ولا ذَكَرْتُ جَميلاً مِنْ صَنائِعِها إلا بَكَيْتُ وَلاَ وُدٌ بِلا سَبَبِ

قدم الشاعر الحجة أولا أن جميل صنائع المرثية سببُ محبته لها وبكائه عليها، يقول الواحدي في شرح هذا البيت «إذا ذكرت صنائعها بكيت لمح بتي إياها، والمحبة لها سبب وسبب محبتي صنائعها لدي وإحسانها، وروى ابن جني بلا ود ولا سبب؛ أي لم يكن بكائي لود أو سبب سوى صنائعها»[3]، فبكاء الشاعر لمودته للمرثية ولكل مودة سبب، وسبب مودته جميل جميل صنائعها.

يقول الشاعر في موضع آخر:[4]

وَلَيْتَ شَكَاتَكَ في جِسْمِهِ ولَيْتَكَ تُجْزي بِبُغْضٍ وحُب
فَلَوْ كُنْتَ تُجْزي بِهِ نِلْتُ مَنْـ كَ أَضْعَفَ حَظٍّ بِأَقْوَى سَبَبْ

يخاطب المتنبي سيف الدولة ليبيِّن له قوة حبه، ويقارنها مع حب الآخرين له، يقول الواحدي:«قال ابن جني لو تناهيت في جزائك إياي على حبي إ ياك لكان ضعيفا بالإضافة إلى قوة سببي في حبي لك ... لو جزيتني بحبي لك وهو أقوى سبب؛ لأنّ حبي لك أكثر من حب غيري، لنلت منك القليل، يشكو إعراضه عنه وأنه لا يصيب حظا مع قوة سبب »[5]، وهنا نظّم الشاعر حجته عن طريق بدايته بالمقدمة "ليتك تجزي ببغض وحب "؛ حيث يتمنى لو كان الممدوح يجزي الناس على قدر حبهم أو بغضهم، والنتيجة المحتملة أن يكون جزاؤه أكبر وأقوى لقوة حب الشاعر له، غير أن النتيجة تغيرت إذ سينال منه القليل؛ نظرا لقلة حظه بالرغم من قوة سببه، والرابط الحجاجي هو لفظ التعليل "سبب".

---

[1] ابن سيدة: شرح المشكل في شعر المتنبي،ص104.
[2] الديوان: ص435.
[3] شرح ديوان المتنبي ، مكتبة مشكاة الإسلامية، ص714.
[4] الديوان، ص440.
[5] شرح ديوان المتنبي، ص728.

يقول المتنبي:[1]

لَوْ كُنْتُ أَدْرِي أَنَّهَا سَبَبُ لَهُ لَزَادَ سُرُورِي بِالزِّيَادَةِ فِي القَتْلِ

بمعنى«لو كنت أعلم أن إعمال الرماح ؛ أي الفتنة الداعية إلى ذلك تكون سببا لإقبال الممدوح، لزاد سروري كلما زادت الفتنة وكثر القتل بسببها؛ لأنها تكون أدعى لقومه »[2]، فإعمال الرماح سبب إقبال الممدوح.

مقدمة ـــــــــ رابط حجاجي ـــــــــ نتيجة.

إعمال الرماح ـــــــ سبب ـــــــــ إقبال الممدوح.

***- كلمة "دليل":** وردت كلمة الدليل في قول المتنبي:[3]

أَلا إِنَّمَا كَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدٍ دَلِيلاً على أَنْ لَيْسَ لِلَّهِ غَالِبُ

يقول "الواحدي" في شرح هذا البيت :« لما لم يقدر على الامتناع من الموت ، مع أنه كان يغلب جميع الناس ؛ دلّ ذلك على أنه لا غالب لله تعالى »[4]، فالمقدمة هي "وفاة محمد "، والنتيجة هي "ليس لله غالب" والرابط الحجاجي هو لفظ "دليلا".

كما استعمل الشاعر الفعل المضارع "يدل" للربط بين الحجة والنتيجة، فقال:[5]

ومَجْدي يَدُلُّ بَنِي خِنْدَفٍ[6] عَلَى أَنّ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانِ

حيث يقول« شرفي دليل على أن كل كريم يمني ؛ أي من قبائل اليمن لأنّي منهم»[7] ، ويمكن توضيح هذا الأمر أكثر بما يلي:

مقدمة ـــــــــ رابط حجاجي ـــــــــ نتيجة

الشاعر من اليمن ومجده ـــــــــ يدل على أنّ ـــــــــ كل كريم يمان.

كما استعمل الشاعر كلمة "دلّ" وهو رابط حجاجي، يعلل النتيجة ويربطها بالمقدمة في قوله:[8]

وفي اليَمينِ الّذِي أَنْتَ وَاعِدُهُ مَا دَلَّ أَنَّكَ في المِيعَادِ مُتَّهَمُ

---

[1] الديوان، ص519.
[2] اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2، ص561.
[3] الديوان:ص75.
[4] شرح ديوان المتنبي، ص144.
[5] الديوان، ص33.
[6] بنو خندف: قبيلة من مضر.
[7] الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ص52.
[8] الديوان: ص419.

ومعناه «إذا حلفت على ما تعده من نفسك دلت اليمين على أنك غير صادق فيما تعده ؛ لأنّ الصادق لا يحتاج إلى اليمين »[1] ؛ حيث يرى الشاعر أنّ الصادق لا يحتاج إلى قسم أو يمين وهذا دليل على عدم صدقه، ويمكن تمثيلها بالشكل الآتي:

مقدمة ـــــــــــ رابط حجاجي ـــــــ نتيجة

أنت تتوعد بيمين ـــــــ ما دلّ ـــــــ أنك متهم في وعيدك

يستنتج المتلقي ما يلي:

الصادق لا يحتاج إلى قَسَم وما فعله ـــــــ دلَّ ـــــــ على عدم الصدق.

يقول المتنبي":[2]

وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الفَتَى أَكَانَ سَخِيًا مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيَا

فالقول الأول (أخلاق الفتى) حجة ربطها الشاعر بالنتيجة الأولى وهي (أكان سخيا) والنتيجة الثانية (تساخيا) برابط حجاجي وهو لفظ التعليل **"تدل"** ، ثم إن النتيجتين يحتمل وقوع أحدهما لذلك أضاف رابط الفصل "أو" ، ويمكن تمثيلها كما يلي:

أخلاق الفتى ـــــــ **تَدُلّ** ـــــــ النتيجة المحتملة الأولى: السخاء.

أو

النتيجة المحتملة الثانية: تكلف في السخاء.

***- كلمة الشهادة**:

استخدم الشاعر لفظ "الشهادة" بمعنى الدليل؛ ليربط بين قضيتين من خلال تركيب شرطي؛ حيث قال:[3]

إِذا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

ومعنى هذا أنه إذ قام ناقص بذمه، كان ذمه له دليلا على كماله «أي أنه لو كان فاضلا مِثلي، ما ذَمَّني لِتَشَاكُلِنا في الفضل، ولأنه لو كان فاضلاً لنَقَص وفَضلت . فأوجب ذلك تَضَاداً وتعادياً»[4]، فنستنتج أنّ هناك:

مقدمة ـــــــــــ رابط حجاجي ـــــــ نتيجة

---

[1] الواحدي : شرح ديوان المتنبي، ص702.
[2] الديوان، ص442.
[3] نفسه، ص180.
[4] ابن سيدة: شرح المشكل في شعر المتنبي، ص11.

مذمة الناقص ←——— شهادة ←——— بالكمال

يقول الشاعر:[1]

شَيْبُ رَأْسِي وَذِلِّي وَنُحُولِي وَدُمُوعِي عَلَى هَوَاكِ شُهُودِي

جاء الشاعر بأربع حجج لتبرير سبب حبه وهواه، يبيّنها المؤشر اللغوي "شهودي" وهو رابط حجاجي نظم العلاقة بين السبب والنتيجة، ولقد وقع هذا الرابط في آخر الكلام:

- السبب هو الحب.

- النتيجة هي شيب رأس الشاعر وذله ونحوله ودموعه.

نلاحظ أن الشاعر بدأ بذكر النتائج أولا ثم ذكر السبب ، ثم وضع رابطا ينظم العلاقة بينهم، على الشكل الآتي:

نتيجة ←——— سبب ←——— رابط حجاجي

شيب رأسي وذلي ونحولي ودموعي. ←——— على هواك ←——— شهودي

وتقديمه للنتائج كان بغاية البداية بالأهم من أجل جلب الانتباه والتأثير ومن ثمة تحقيق الإقناع.

***- كلمة "حجة":** يقول الشاعر:[2]

كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ حُجَّةٌ لاَجِيءٍ إِلَيْها اللِّئَامُ

يقول "الواحدي" في شرح هذا البيت « الحلم إذا لم يكن عن قدرة على العدو ، كان عجزا وهو حجة اللئام يسمّ ون عجزهم عن مكافأة العدو حلماً كما قال الآخر : إن من الحلم ذلا أنت عارفه، والحلم عن قدرةٍ فضل على الكرم »[3]، ومعنى هذا أيضا أنّ «الحلم الذي لا يصدر عن مقدرة لا يسمى حلما وإنما هو حجة يحتج بها اللئام سترا لعجزهم »[4]، وبذلك تتضح لنا ترتيب الحجج:

-فالرابط الحجاجي هو: لفظ "حجة".

-والمقدمة هي: الحلم الذي لا يصدر عن مقدرة.

-والنتيجة هي: محاولة اللئيم ستر عجزه.

---

[1] الديوان، ص20

[2] نفسه، ص164.

[3] الواحدي : شرح ديوان المتنبي، ص302.

[4] ناصيف اليازجي : العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ص163.

يقول الشاعر في مدحه لأبي القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي:[1]

إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلاَ حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ

ويعني «بالنّواصب الخوارج الذين نصبوا العداوة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، يقول إذا لم يكن العلوي تقيا ورعا مثل طاهر ، كان حجةً لأعداء عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لأنهم يستدلون بنقصه على نقص أبيه »[2]، فإذا لم يتبع العلوي الممدوح في ورعه وتقواه، كان حجة لأعدائه، والنتيجة مضمرة يفهم معناها من خلال السياق ، وهي أن الممدوح ورع وتقي يجب الاقتداء به وإلا كانت حجة الخوارج ودليلهم على نقص أبيه.

يمكن تلخيصها كما يلي:

مقدمة ← رابط حجاجي ← نتيجة

عدم الاقتداء بالممدوح ← **حجة** للأعداء ← على نقص أبيه.

***- لأنّ:** تعد "لأنّ" من ألفاظ التعليل؛ حيث «يبدأ المرسل خطابه الحجاجي بها في أثناء تركيبه، وتستعمل لتبرير الفعل كما تستعمل لتبرير عدمه »[3]، وقد أكثر الشاعر من استعمل هذا الرابط الحجاجي المهم، فاستعمله في قوله:[4]

نَلُومُكَ يَا عَلِي لِغَيْرِ ذَنْبٍ لِأَنَّك قَدْ زَرَيْتَ على البِلادِ

وَأَنَّكَ لا تَجُودُ على جَوَادٍ هِبَاتُكَ أَنْ يُلَقَّبَ بِالجَوادِ

يبرر الشاعر سبب لومه للممدوح فيخاطبه قائلا «إنّك حقرت أفعال الناس ومناقبهم بزيادتك عليهم...وإن هباتك لا تسمح لكريم أن يسمى كريما بالنسبة إليك »[5] ؛ حيث بدأ الشاعر بذكر النتيجة ثم الرابط فالمقدمة أو الحجة؛ يمكن القول إذن أن ه أثناء استعمال الرابط "لأن" تكون البداية بذكر النتيجة:

نتيجة ← رابط حجاجي ← مقدمة

اللوم بغير ذنب ← **لأنّ** ← شدة الكرم فاقت كرم الكرماء

يقول الشاعر مستعملا الرابط "لأنّ" في تبرير الفعل:[6]

---

[1] الديوان، ص227.
[2] الواحدي ، شرح ديوان المتنبي، ص402.
[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجية الخطاب، ص478.
[4] الديوان، ص86.
[5] اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1، ص81.
[6] الديوان، ص48

وتَحَيَّرَتْ فِيهِ الصِّفاتُ لِأَنّهَا أَلْفَتْ طَرائِقَهَا عَلَيْهَا تَبْعُدَ.

يقول **"اليازجي"** في شرح هذا البيت أنّ «صفات المادحين له تحيرت كيف تحصي فضائله ؛ لأنها وجدت طرائقه في الفضل بعيدة المنال لا يدركها الواصفين »[1]، فقام الشاعر إذن بتبرير سبب تحير صفات المادحين ؛ لعدم بلوغها صفاته، واستعمل الشاعر الرابط الحجاجي "لأنّ" ليجعل له سببا معقولا.

يقول المتنبي:[2]

وأَرْحَمُ أَقْوَاماً مِنَ العَيِّ وَ الغَبَى وَأَعْذِرُ في بُغْضي لِأَنَّهُمْ ضِدُّ

ويعني بقوله«إذا نظرت إلى أقوام من أهل العي والغباوة رحمتهم ، وإذا أبغضوني عذرتهم لأنّهم أضدادي والضد يبغض ضده »[3]، يستنتج المتلقي أن الشاعر يحمل صفات الذكاء والتعقل؛ لأنّ هذه الصفات ضد الغباوة، وسبب عذره لهم لأنهم ضده؛ فالغبي يبغض الذكي.

يقول الشاعر:[4]

مِنَ القَاسِمِين الشُّكْر بَيْني وبَيْنَهُمْ لِأَنَّهُم يُسْدَى إِلَيْهِم بِأَنْ يُسدُوا

يمدح الشاعر" الحسين بن علي " ويقول«هو من الآباء القاسمين ، ومن قال من الرجال القاسمين أثبت للممدوح أمثالا يفعلون فعله ، والمعنى أنهم يشكرونني على الأخذ والقبول ، كما أشكرهم على ا لإنعام؛ لأنهم يبرون بأن يبروا فيؤخذ برّ هم، ويقال أسدى إليه إذا أنعم عليه ، يقول ينعم عليهم بإنعامهم»[5] ، بمعنى أنهم يشكرون الشاعر لقبوله إحسانهم، فالشكر متبادل بين بين الشاعر وممدوحه ، لهذا السبب يمكن القول أن القضية الحجاجية الأولى، هي الشكر بين الشاعر وممدوحه، والقضية الثانية هي شكر الممدوح للشاعر لقبوله إنعامهم، والرابط الحجاجي الذي نظم العلاقة بين القضيتين هو لفظ التعليل "لأنّ".

يقول الشاعر مادحا "أبا العشائر":[6]

لَئِنْ كَانَ أَحْسَنَ في وَصْفِها لَقَدْ فَاتَهُ الحُسْنُ في الوَصْفِ لَكْ

لِأَنَّكَ بَحْـرٌ وإِنَّ البِحَـار لتأنَفُ مِنْ حـالِ هَـذِي البِـرَكْ

---

[1] العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1، ص42.
[2] الديوان، ص199.
[3] الواحدي : شرح ديوان المتنبي، ص365.
[4] الديوان، ص207.
[5] الواحدي، شرح ديوان أبي الطيب، ص279-280.
[6] الديوان، ص247.

يخاطب الشاعر ممدوحه قائلا «كان وصفه لك أولى من وصف البركة؛ لأنك بحر والبحار تأنف من البرك لاستصغارها إياها ، والذي صرفه في معنى البيتين أن ذلك الشاعر كان شبه البركة بـ"أبي العشائر"، فقال أبو الطيب أنه قد ترك الحسن في وصفك؛ حيث شبهها بك، وأنت بحر والبحر فوق البركة بكثير »[1]، فإن كان هذا الشاعر الذي مدح البركة قد أحسن في وصفها، فقد فاته الحسن في وصف البحر الذي هو أولى بمدحه ووصفه، يمكن تمثيل هذه الحجة الإقناعية لكما يلي:

ترك الحسن في وصفك ـــــــ لأنك ـــــــــ بحر والبحر تستصغر البرك.

يقول الشاعر في موضع آخر:[2]

وَمَا خَضَّبَ النَّاسُ البَيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ وَلَكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحِمُهْ

ومعناه أنّ «البياض في الشعر حسن ولم يخضب البياض لأنّه مستقبح، ولكنّ السواد أحسن منه فالخاضب إنما يطلب الأحسن من لوني الشعر »[3]؛ فقد استعمل الشاعر أكثر من رابط حجاجي في بيت واحد؛ فاستعان أولا بالنفي ثم بالرابط "لأنّ" وكذلك الرابط الحجاجي"لكن".

كما استعمل الشاعر الرابط "لأنّ" لكن هذه المرة ليبرر عدم الفعل؛ حيث برّر عدم مبا لاته بمصائب الدهر وهمومه قائلا:[4]

وَهَانَ فَمَا أُبَالِي بِالرَّزَايَا لِأَنِّي مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي

إذ يرمي الشاعر إلى إقناع "سيف الدولة" إثر وفاة والدته؛ حتى يحذو حذوه، ويحاول إقناعه بعدم المبالاة بمصائب الدهر مستعملا الرابط السببي "لأنّ"؛ فسبب عدم اكتراث الشاعر بمصائب الدهر هو أنه وجد المبالاة لا تنفعه فهي لا تخفف المصائب ولا تدفع القضاء والقدر.

عدم المبالاة بالرزايا ـــــ لأنّي (أي الشاعر) ـــــ لا تنفعه المبالاة.

يقول الشاعر:[5]

وَالأَمْرُ للهِ رَبَّ مُجْتَهِدٍ مَا خَابَ إِلاَّ لِأَنَّهُ جَاهِدْ

---

[1] الواحدي : شرح ديوان المتنبي، ص436.
[2] الديوان، ص258.
[3] الواحدي : شرح ديوان المتنبي، ص454.
[4] الديوان، ص265.
[5] الديوان، ص554.

والمقصود هنا أنّه «ليس من شرط الاجتهاد نيل المراد، وقد يخيب الجاهد وينال مراده القاعد، والمعنى ما أهلك إلا اجتهادك في طلب الملك بتعرضك لهؤلاء القوم، فصار اجتهادك سبب خيبتك لأنّ الأمر لله لا للمجتهد »[1]، والشاعر هنا يخاطب "عضد الدولة"، ويحاول تبرير سبب هزيمته في الحرب، بأنّ الأمر كله لله، فلا يفوز حتى وإن كان مجتهدا، بل رب مجتهد كان اجتهاده سبب خيبته، فاستعمل الرابط الحجاجي "لأنّ".

واستعمل المتنبي الرابط نفسه قائلا:[2]

يُقَاتِلُنِي علَيْكَ اللَّيْلُ جِدًا وَمُنْصَرَفِي لَهُ أَمْضَى السِّلاَحِ

لأَنِّي كُلَّمَا فَارَقْتُ طَرْفِي بَعِيدٌ بَيْنَ جَفْنِي وَالصَّبَاحِ

ومعناه أنّ انصراف الشاعر عن الممدوح هو أفضل سلاح لليل ، والبيت الثاني تعليل للبيت الأول بواسطة لفظ التعليل"لأنّ"، فانصرافه أفضل سلاح، ويبرر ذلك فيقول «لأني كلما لم أرك طال ليلي، فبعد ما بين جفني والصباح لسهري شوقا إلى لقائك »[3]، ويقول الشاعر في موضع آخر مادحا:[4]

كَفَى تُعْلاً فَخْراً بِأَنَّكَ مِنْهُمْ وَدَهْرٍ لأَنْ أَمْسَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ

ويدعو الشاعر الدهر للافتخار ؛ لأنه استحق أن يكون الممدوح من أهله، فربط بين قضيتين وهما(افتخار الدهر) و(استحق أن يكون من أهله) بالرابط الحجاجي "لأنْ".

يقول المتنبي:[5]

أُحِبُّكَ يا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ وَإِنْ لاَمَنِي فِيكَ السُّهَى وَالفَرَاقِدِ

وَذَاكَ لأَنّ الفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرُ وَلَيْسَ لأَنَّ العَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدُ

يقول **"اليازجي"** في شرح هذا البيت :«أحبك لظهور فضلك على غيرك من الملوك لا يطيب العيش عندك وهنائه فإن هذا مما يصاب عند غيرك »[6]. فالقضية التي يحاول الشاعر أن أن يحتج لها هي حبه للممدوح (سيف الدولة) مستعملا لفظ التعليل "لأنّ" مرة للنفي وأخرى للإثبات؛ وهذا يتضح من خلال مايلي:

---

[1] الواحدي : شرح ديوان المتنبي، ص892.
[2] الديوان، ص214.
[3] الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ص389.
[4] الديوان، ص46.
[5] الديوان، ص321.
[6] العرف الطيب في شرح ديوان المتنبي،ج2، ص331.

الشاعر يحب سيف الدولة ← **لأنّ** ← الفضل عنده باهر.

ليس لأنّ ← العيش عنده بارد.

يقول الشاعر:[1]

جَعَلْتُكَ فِي القَلْبِ لِي عِدَّةً لأَنَّكَ فِي اليَدِ لاَ تُجْعَلُ

يقول "اليازجي" في شرح هذا البيت: «اتخذتك عدة لي في القلب أتشجع بك في الملمات، وأجعل رجاءك سلاحا لي على دفع غوائل الدهر ؛ لأنك أجلُّ من أن تجعل في اليد كسائر العدد»[2]، والرابط بين الجملتين "جعلتك في القلب" و "جعلتك في اليد" لفظ التعليل "لأنّ" :

جعلتك في القلب ← لأنك ← لا تجعل في اليد.

ويقول الشاعر في موضع آخر:[3]

فَمَوْتِي فِي الوَغَى عَيْشِي لأَنِّي رَأَيْتُ العَيْشَ فِي أَرَبِ النُّفُوسِ

ومعناه أنه«إذا قلت في الحرب فذلك عندي هو الحياة؛ لأنني أتمنى مثل هذه الميتة، وحقيقة العيش إنما هي فيما تشتهيه النفس»[4]، ويمكن تمثيلها بالشكل الآتي:

الموت في الحرب عيش ← **لأنّ** ← الشاعر يتمنى هذه الميتة.

العيش في حاجة النفوس وما تشتهيه.

والحجة المضمرة هي أن الشاعر يتمنى الموت في الحرب، والنتيجة هي أن موته هذا عيش، بحجة أنّ العيش في تحقيق ما تتمناه النفس.

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ العلاقة الحجاجية في الحجج السالفة الذكر، هي علاقة سببية، تظهر بوضح أكثر مع الرابط الحجاجي "لأنّ" وهذه العلاقة تعد من أبرز العلاقات الحجاجية وأقدرها على التأثير في المتلقي، لأنها توحي بتناسق الأفكار وترابط الأجزاء.

2-2 -الوصل السببي:

ويعد وسيلة من وسائل التعليل، ويكون حين «يعمد المرسل إلى الربط بين أحداث متتابعة، مثل الربط بما يمكن أن يكون المقدمة والنتيجة؛ فتصبح النتيجة مقدمة لنتيجة أخرى»[1]، ومن أمثلته قول "المتنبي" في رثاء والدة سيف الدولة:[2]

---

[1] الديوان، ص307.

[2] العرف الطيب في شرح ديوان المتنبي،ج2، ص316.

[3] الديوان: ص56.

[4] اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1، ص50.

يَمُرُّ بِقَبْرِكِ العَافِي[3] فَيَبْكِي وَيَشْغَلُهُ البُكَاءُ عَنِ السُّؤَالِ

فبكاء قاصد المعروف هو نتيجة مروره بقبرها، ولكنه مقدمة حجاجية لشغله عن السؤال، بمعنى أنه يتذكر معرفها وإحسانها إليه، فيقوم بالبكاء (نتيجة أولى)، وهذا البكاء يشغله عن السؤال (نتيجة ثانية)، يقول "اليازجي" في شرح هذا البيت: «إذا مر العافي بقبرها ذكر ما كان لها من المعروف فبكى، فـشغله ذلك البكاء عن أن يسألها كعادته »[4]، وعليه فإنّ الوصل بين المقدمة والنتيجة هو وصل تتابعي بين المرور بالقبر بوصفه العلة الأساس، والشغل عن السؤال بوصفه نتيجة له.

يقول المتنبي في رثاء ابن سيف الدولة:[5]

عَزَاءكَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ المُقْتَدَى بِهِ فَإِنَّكَ نَصْلٌ والشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ

يطلب الشاعر من سيف الدولة أن يتعز ويصبر ؛ لأنه سيف والسيف لا يبالي بشدة الوقائع والشدائد:

سيف الدولة قدوة في الصبر ←مقدمة حجاجية.

إنـك سيـف ←نتيجة أولى(1) ومقدمة ثانية(2)

السيف لا يبالي بالشدائد ←نتيجة ثانية

وتم الربط بين المقدمة الأولى والنتيجة الأخيرة بالوصل السببي.

يقول المتنبي في مدح سيف الدولة:[6]

وَأَنْتَ أَبُو الهَيْجَا بْنُ حَمْدَانَ يَا ابْنَهُ تَشَابَهَ مَوْلُودٌ كَرِيمٌ وَوَالِدُ

وَحَمْدَانُ حَمْدُونٌ وَحَمْدُونُ حَارِثٌ وَحَارِثٌ لُقْمَانُ وَلُقْمَانٌ رَاشِدُ

أُولَئِكَ أَنْيَابُ الخِلاَفَـةِ كُلِّـهَا وَسَائِـرُ أَمْلاكِ البِلاَدِ الزَّوَائِدُ

لقد حاول الشاعر أن يضع تسلسلا من خلال ربطه بين الحجج ربطا يشبه الربط المنطقي، كما يتضح لنا أكثر من خلال شرح هذه البيت :«أبو الهيجا كنية عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة والهيجى من أسماء الحرب تمد وتقصر، يقول يا ابن أبي الهيجا أنت أبو الهيجى يريد

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص480.
[2] الديوان، ص266.
[3] العافي: قاصد المعروف.
[4] العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب،ج2، ص273.
[5] الديوان: ص280.
[6] الديوان، ص321.

تأكد المشابهة بينهما حتى كأنه هو، وذلك قوله مولود كريم ووالد ، وهؤلاء آباء سيف الدولة ؛ أي كل واحد من آباء يشبه أباه في كرمه وسائر مناقبه ... كانوا للخلافة بمنزلة أنياب الخلافة تمتنع... وغيرهم من الملوك بمنزلة الزوائد لا حاجة للخلافة بهم »[1]، فتظهر الحجج المتسلسلة التي تبرر المقدمة الأصل كما يلي :

- سيف الدولة يشبه آباءه في كرمه وحسن مناقبه.

-وآباؤك يُعرفون بخصالهم في الخلافة (من تشبيهات بليغة وحمدان حمدون...)

-وأولئك ثبتت فيهم حسن الخصال وشجاعة الفرسان.

2-3- التراكيب الشرطية:

يُعرَّف الشرط بأنّه«أسلوب لغوي يبنى –بالتحليل- على جزءين الأول منزل بمنزلة السبب، يتحقق الثاني إذا تحقق الأول، وينعدم الثاني إذا انعدم الأول، وجود الشيء معلق على وجود الأول»[2].

ولقد تحدث "فان دايك""Van Dijk"عن هذه الروابط، باعتبار العلاقات بين الأحداث، فمهمة الروابط الأساسية هي التعبير عن هذه العلاقات و «قد تكون هذه العلاقات مفككة الربط كالحال في الفصل والوصل، إلا أنه يجوز أن تكون أيضا تلك العلاقات ذات قوة متينة، على معنى أن الأحداث يمكن أن تكون متعيّنة، أو مشروطة بعضها ببعض، وينبغي أن تسمى هذه الفئة الشاملة لمختلف الروابط ، مما يعبر عنه باقتران تبعية العلاقات بالقضايا والأحداث بلفظ القضايا المتشارطة»[3]، وهذه القضايا هي ما يعرف بالتراكيب الشرطية.

يقول المتنبي:[4]

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

فامتلاك الكريم معلق في وجوده على إكرام الكريم، فإن أكرم الكريم تحقق امتلاكه ، وينعدم الامتلاك إن انعدم الإكرام، وتسمى الجملة الأولى- أكرمت الكريم- شرطا، وتسمى العبارة الثانية -ملكته- جوابا أو جزاءً . والأمر نفسه ينطبق على الشطر الثاني "إن أنت أكرمت اللئيم تمردا" وجملة الشرط هي مقدمة، والجم لة الثانية نتيجة لها؛ أي أنّ إك رام الكريم مقدمة

[1] ناصيف اليازجي : العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب،ج2، ص330-331.
[2] مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص284.
[3] فان دايك: النص والسياق ، ص101.
[4] الديوان، ص372.

وامتلاكه نتيجة ، يبيّنه الرابط "إذا" والعلاقة الشرطية بينهما توجد بوجوده وتنتفي بانتفائه، و«الأصل في هذا القانون الحجاجي هو قاعدة تخاطبية ؛ مقتضاها أنّ المتكلم يخبر المخاطب بأقصى ما يمكن من الفائدة، فيصير هذا الأخير إلى حمل قوله، على إفادة أنّ العلاقة بين المقدم والتالي علاقة شرط، طردا وعكسا لا طردا فحسب »[1]، فإن ثبت إكرام الكريم ثبت امتلاكه ، وهذا معناه إذا لم تكرم الكريم لن تمتلكه ؛ أي إن انعدم الشرط انعدم الجزاء، وقد يربط بين جملة الشرط وجوابه رابط لغوي وهو :"الفاء" التي تقع «رابطة لجواب الشرط؛ فتؤدي وظيفة الربط بين الجواب وشرطه»[2]. ومثال ذلك قول المتنبي:[3]

إِذَا رَأَيْتَ نِيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلاَ تَظُنَّنَ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ

***-إنْ :** ومن أدوات الشرط كذلك **"إنْ"** وقد تستعمل في المشكوك في وقوعه [4]، ومثال ذلك قول الشاعر سيف الدولة يجهز جيشه لحرب مع الروم:[5]

فَإِنْ يُقْدِمْ فَقَدْ زُرْنَا سَمَنْدُو وَإِنْ يُحْجِمْ فَمَوْعِدُنَا الخَلِيجُ[6]

ومعناه:«إن أقدم على قتالنا فقد زرنا أرضه، وإن أنهزم عنا لحقناه إلى الخليج »[7]، والشاعر والشاعر يشك في النصر أو الهزيمة. وقد لا تكون أداة الشرط دالة على المشكوك، ومثال ذلك قول الشاعر:[8]

فَإِنْ طُبِعَتْ قَبْلَكَ المُرْهَفَاتُ فَإِنَّكَ مِنْ قَبْلِهَا المِقْصَلُ

وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا فَإِنَّكَ فِي الكَرَمِ الأَوَلُ

بمعنى أنه«إن كانت السيوف قد سبقتك بالطبع، فإنك قد سبقتها بالقطع ؛ لأنك تقطع برأيك وعزمك وحكمك ما لا تقطع السيوف »[9]، وهنا أداة الشرط لا تدل على المشكوك في وقوعه؛ بل إنّ جوابها المسبوق بـ"إنّ" أدى إلى تأكيد تحققها " فإنك من قبلها المقصل".

---

[1] طه عبد الرحمن : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص397.
[2] فاضل مصطفى الساقي: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، ص338.
[3] الديوان، ص332.
[4] ينظر مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص290.
[5] الديوان، ص310.
[6] سمندو: قلعة ببلاد الروم، وتعرف اليوم ببلغراد ، والخليج، خليج قسطنطينية.
[7] ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2، ص318.
[8] الديوان، ص307.
[9] ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2، ص316.

***-إذا :** أما **"إذا"** الشرطية فـ«تستعمل مع المتوقع وقوعه، فالأصل في (إذا) أن يكون الشرط مقطوعا بوقوعه »[1]، وهناك خمسة فرو ق بين إذا الشرطية ، وإذا الفجائية «الأول أنّ "إذا"الشرطية لا يليها إلا جملة، و "إذا" الفجائية لا يليها إلا جملة اسمية، والثاني أنّ "إذا" الشرطية تحتاج إلى جواب ، و"إذا" الفجائية لا جواب لها، والثالث أنّ "إذا" الشرطية للاستقبال، و"إذا" الفجائية للحال... والرابع أنّ الجملة بعد "إذا" الشرطية في موضع خفض بالإضافة، والجملة بعد "إذا" الفجائية لا موضع لها ، والخامس أن "إذا" الشرطية تقع صدر الكلام، و"إذا" الفجائية لا تقع صدرا»[2].

ومن أمثلة **"إذا"** الشرطية قول المتنبي:[3]

فَإِذَا سُئِلْتَ فَلاَ لأَنَّكَ مُحَوِّجُ وَإِذَا كُتِمْتَ وَشَتْ بِكَ الآلاَءُ

وَإِذَا مُدِحْتَ فَلاَ لِتَكْسِبَ رِفْعَةً لِلشّـَاكِرِينَ عَلَى الإِلَهِ ثَنَـاءُ

وَإِذَا مُطِرْتَ فَلاَ لأَنَّكَ مُجْدِبٌ يُسْقَى الخَصِيبِ وُيمطَرُ الدَأْمَاءُ[4]

يضم البيت الأول بالإضافة إلى التر كيبين الشرطيين، لفظ التعليل **"لأنّ"** ، ومعنى البيت أنه «إذا سألك السائل فلا لأنك تحوجه إلى السؤال، ولكن لكي تعلم تفاصيل حاجته، أو لكي يتشرف بسؤالك، وإذا استترت بالحجاب، فإنّ كرمك لا يخفى على السائلين لدلالة مواهبك عليه فيقصدونك»[5]، فيظهر الرابط الحجاجي في صدر البيت سابقا للمسبب ، ويربطها بالسبب، وكلاهما تحتملان الوقوع، وفي قوله "فإذا سئلت فلا لأنك محوج"، وجملة الشرط "إذا سئلت"، وجوابها "لا لأنك محوج " مسبب محتمل، والنتيجة التي يستنتجها المتلقي هي "لأنه يتشرف بسؤاله" و"لا" النافية نفت صفة البخل عن الممدوح، حيث نفت السبب الذي قد يحتمله المخاطب "فلا لأنك محوج".

وفي قوله"وإذا كتمت وشت بك الآلاء " : إذا كتمت" جملة شرط بمنزلة السبب، والجزاء فيها "وشت بك الآلاء" هي المسبب بمعنى أنّ نعمك تمنعان تسترك أو لا تخفى على السائلين.

---

[1] مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص291.
[2] المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ص373-374.
[3] الديوان: ص129.
[4] الدأماء :البحر
[5] ناصيف اليازجي : العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1-ص127.

أما في قوله "وإذا مدحت فلا لتكسب رفعة " فقد استعمل الشاعر رابطين حجاجيين هما "إذا" الشرطية، و"لام التعليل"، ويقصد بقوله «أنك قد بلغت منزلة لا يزيدها المدح رفعة، ولكنك لقصد الجائزة، وليعد الشاعر من جملة مداحك كالشاكر لله، فإنه يثني عليه ، وهو غير محتاج إلى ثنائه، ولكن يثني عليه وهو غير محتاج إلى ث نائه، ولكن ليكسب بذلك مثوبة »[1]، فشرط المدح ليس من أجل اكتساب الرفعة بل الثناء، بمعنى:

سبب المدح ← الثناء

وليس اكتساب الرفعة

وقد اكتسب البيت قوة حجاجية إضافية لكثرة روابط الحجاجية فيها "إذا، لام التعليل، لا النافية".

وفي قوله: "وإذا مطرت فلا لأنك مجدب" يعني « إذا أصاب المطر أرضك فليس لجدبها، ولكن كما يقع المطر على الأراضي المخصبة، وعلى البحر وهما لا يحتاجان إليه »[2]، فقد ربطت إذا بين السبب والمسبب أو بين الشرط وجزائه.

*- **لو**: ومن أدوات الشرط **"لو"** وهي«تستعمل فيما لا يتوقع حدوثه، وفيما يمتنع تحققه أو فيما هو محال، أو من قبيل المحال »[3] وتقوم "لو"«بوظيفة التعليق في الجملة الشرطية تفيد ما يلي:١-الشرطية، ٢-تفيد الشرطية بالزمن الماضي، ٣-الامتناع»[4]، وإفادتها للتعليق توجب تعليق جملة على جملة أخرى، ويكون بينهما ترابط واتصال معنوي؛ حيث تكون الجملة الأولى سببية، والجملة الثانية مسببية[5]، يقول الشاعر:[6]

عَفِيفٌ تَرُوقُ الشَّمْسَ صُورَةُ وَجْهِهِ فَلَوْ نَزَلَتْ شَوْقًا لَحَادَ إِلَى الظِّلِ

ومعناه أنّ «الشمس تستحسن صورة وجهه، فلو نزلت إليه الشمس شوقا إليه لمال عنها وعف: يعني أنه عفيف عن كل شيء حتى الشمس، فلو هي نزلت إليه لحقق معنى العفة »[7]،

---

[1] نفسه والصفحة نفسها.
[2] نفسه والصفحة نفسها.
[3] مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص291.
[4] فاضل مصطفى الساقي: أقسام الكلام العربي، ص380.
[5] يُنظر، عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف بمصر، المجلد الرابع، 1968، ص459.
[6] الديوان: ص520.
[7] عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مجلد2-ج4، ص11.

ونزول الشمس محال لأنه يمتنع تحققها، فأداة الشرط "لو" تدل على «امتناع الثاني لامتناع الأول»[1]، فيمتنع الجزاء لامتناع الشرط.

وفي البيت نفسه لفظ تعليل آخر وهو "شوقا" وهو مفعول لأجله، فسبب نزول الشمس هو "الشوق إليه"، ومن هنا تضاعفت قوة الحجاج في هذا القول.

***- "إذْ":** ومن معانيها "ظرفية للماضي أو المستقبل، وقد تكون للمفاجأة، كما قد تكون شرطية جازمة مقرونة بـ"ما"[2] ، وقد تكون للتعليل حيث «تقوم مقام أداة التعليل في السياق عن كونها ظرفا لتؤدي وظيفة لام التعليل»[3]، ومن أمثلة "إذ" الدالة على التعليل قول **"المتنبي"**:[4]

يَا أَيُّهَا المُجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ إِذْ لَيْسَ يَأْتِيهِ اسْتِجْدَاءُ

يقول **"اليازجي"** في شرح هذا البيت :«إنّ روحه موهوبة له من العفاة؛ لأنهم لم يطلبوها منه، فكأنهم قد أع طوه إياها إذ تركوها، بناء على أنهم لو طلبوها منه لأعطاهم إياها لشدة كرمه »[5]، فأفادت **"إذ"** التعليل، وربطت بين القضيتين :(لا يطلبون منه روحه)، (روحه موهوبة له).

والوظيفة الحجاجية للجملة الشرطية عموما هي القدرة على «توفير علاقة اقتضاء شكلي بين السبب والنتيجة، سببٌ يمثله الشرط ونتيجة يمثلها الجواب في مستوى أول وعلى توفير علاقة اقتضاء أيضا بين حجة يمثلها الشرط والجواب معا ونتيجة يصرح بها المتكلم تارة ويخفيها طورا في مستوى ثانٍ»[6] ففي المثال السابق:

علاقة الاقتضاء الأولى:

القضية الأولى(لا يطلبون منه روحه) ←ـــــــ سبب

الرابط الحجاجي ←ـــــــ "إذ"

القضية الثانية (روحه موهوبة له). ←ـــــــ نتيجة.

علاقة الاقتضاء الثانية:

وهذين القضيتين ←ـــــــ سبب

---

[1] المرادي : الجنى الداني في حروف المعاني، ص273.
[2] ينظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص185-190.
[3] فاضل مصطفى الساقي: أقسام الكلام العربي، ص322.
[4] الديوان: ص128.
[5] العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1-ص128.
[6] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص336.

شدة كرم الممدوح ـــــــــــنتيجة متضمنة في القول غير مصرح بها.

2-4- الاستفهام:

ويعد من الأفعال اللغوية التي يستعملها المتكلم لأغراض حجاجية إقناعية؛ إذ «إنّ طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما، إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف، إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم »[1]، فقد لا يكون قصد المتكلم من سؤاله البحث عن جواب، بل إقرار أمر، أو طلب شيء...وهو ما عبر عنه أصحاب التداولية بالفعل الكلامي غير مباشر[2]، ومن أدوات الاستفهام الهمزة وهي«حرف مشترك يدخل على الأسماء والأفعال، لطلب التصديق »[3]، وقد تفيد التقرير وقد «تكون استفهاما محضا وتكون تقريرا وتوبيخا »[4]، ويكون التقرير حين يع لم المتكلم مسبقا بأن المتلقي لا يخالفه في الإجابة، وحين يتوقع المتكلم إجابات المتلقي، تكون أسئلته أكثر إقناعا.

وقد استعمل المتنبي في شعرة مختلف الأدوات اللغوية من الاستفهام التي ربطت بين تراكيب خطابه، وأسهم هذا في تنويع الأفعال اللغوية؛ بل وكانت الحجج بعينها، من بينها:

***- الهمزة:** ومن أمثلة الاستفهام التقريري، قول المتنبي:[5]

أَهَذَا جَزَاءُ الصِّدْقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا أَهَذَا جَزَاءُ الكِذْبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبَا

يقول **"اليازجي"** في شرح هذا البيت :«إن كنت صادقا في مديحك فليس ما تعاملني به جزاء لصدقي، وإن كنت كاذبا فليس هذا جزاء الكاذبين؛ لأني إن كذبت فقد تجمّلت في القول؛ فتجمّل لي أنت أيضا في المعاملة »[6]، وهمزة الاستفهام هذه، لا يقصد بها الإجابة بنعم أو لا؛ بل إن طرح هذا السؤال يمثل فعلا كلاميا غير مباشر، كما تبين من خلال الشرح، فالمتلقي لا يخالف المتنبي في هذا الأمر، وبالتالي جعل الشاعر سيف الدولة يسلم برأيه، ويتنازل عن عتابه شيئا فشيئا، وكان قصد الشاعر حجاجا ضمنيا كان الرابط الحجاجي فيها همزة الاستفهام.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص483-484.
[2] قد تم شرح الأفعال الكلامية غير المباشرة، يرنظر: ص17 من هذا البحث.
[3] المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ص30.
[4] أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي : معاني الحروف، مكتبة مشكاة الإسلامية، كتبه:ميلود عبد الرحمن، 14جمادى الثانية20،05/07/1426،ص8.
[5] الديوان:ص335.
[6] ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2، ص348.

وقد يدل الاستفهام على الإنكار، مثل قول **"المتنبي"**:[1]

أَأُحِبُّهُ وأُحِبُّ فِيهِ مَلاَمَةً إِنَّ المَلاَمَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

***-هل**: كما استعمل الشاعر أداة الاستفهام **"هل"** في قوله:[2]

وَهَلْ رَدَّ عَنْهُ بِاللِّقَانِ وُقُوفُهُ صُدُورَ العَوَالِي وَالمُطَهَّمَةِ القُبَّا[3]

والاستفهام هنا أفاد التقرير؛ لأن الشاعر يعلم مسبقا الجو اب، والمعنى أنّ «الدمستق قد أقام باللقان، فلما أقبل سيف الدولة انهزم، يقول فهل أغنى عنه وقوفه، وهل رد عنه الرماح والخيل»[4]، حيث أفادت "هل" النفي، أي لم ينفعه الوقوف ولا الخيل والرماح.

***- كيف**: ومن أدوات الاستفهام **"كيف"** نجدها في قول الشاعر:[5]

تُهَابُ سُيُوفُ الهِنْدِ وَهْيَ حَدَائِدُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا

وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثُ وَاللَّيْثُ وَحْدَهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللُّيُوثُ لَهُ صُحْبَا

وَيُخْشَى عُبَابُ البَحْرِ وَهُوَ فِي مَكَانِهِ فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى البِلادَ إِذَا عَبَّا

فالشاعر لا يجهل هذه المعارف، وهو لا يقصد بها سؤالا عن المجهول؛ بل هي معرفة تزيد في قوة حججه باعتبار قصد الشاعر المتمثل في أنّ:«السيوف تهاب وهي حديد لا قوة لها إلا بالضارب، فكيف إذا كانت عربية من بني نزار أي تقطع من قبل أنفسها وه ي من قوم قد اشتهروا بالشدة والبأس... والليث إذا كان وحده مرهب لا يقدم عليه أحد، فكيف إذا كان معه ليوث آخرون... وعباب البحر مخوف، وهو في محله فكيف الظن بمن إذا زخر عمّ البلاد »[6]، وقد أضاف تكرار الرابط "كيف" شحنة إقناعية، بالإضافة إلى فاء السببية التي ربطت بي ن الحجج والنتائج، والتراكيب الشرطية، بعد حرف الاستفهام التقريري.

وتكمن وظيفة الاستفهام التقريري في الحجاج أنه يستوجب من المخاطب إعمال ذهنه، حيث يعلم مسبقا أن المتكلم لا يقدم له هذه الأسئلة بغرض الإجابة، فإنه يبحث فيما يقتضيه

---

[1] الديوان، ص350.
[2] نفسه، ص327.
[3] العوالي: جمع عالية: الرمح، المطهمة: من وصف الخيل، القب: الضامرة.
[4] ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2، ص337.
[5] الديوان، ص326.
[6] ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2، ص336.

الاستلزام الحواري للأسئلة ا لمطروحة؛ ومن هنا تكون «الأسئلة أشد إقناعا للمرسل إليه، وأقوى حجة عليه»[1]،

***- "أين" :** ومن أدوات الاستفهام كذلك، "أين" مثل قول **"أبي الطيب"**:[2]

فَأَيْنَ التِي لاَ تَأْمَنُ الخَيْلُ شَرَّهَا وَشَرِّي لاَ تُعْطِي سِوَايَ أَمَانَهَا

وَأَيْنَ التِي لاَ تَرْجَعُ الرُّمْحُ خَائِبَا إِذَا خَفضَتْ يُسْرَى يَدَيَّ عِنَانَهَا

وَمَا لِي ثَنَـاءٌ لاَ أَرَاكَ مَكَانَـهُ فَهَلْ لَكَ نُعْمَى لاَ تَرَانِي مَكَانَهَا

وهذه الفرس والرمح كان قد أهداها إليه سيف الدولة، فقال «أين الفرس التي إذا ركبتها خافت الفرسان شري وشرها في الحرب، ولم يقدر غيري على ركوبها؛ لأنها لا تنقاد له ولا يثبت عليها... وأين الفرس التي تصلح للطعان فلا ترد الرمح خائبا ...وليس لي ثناء إلا أن أراك أهلا له، فهل لك نعمة لا تراني أهلا لها فتدخرها علي»[3]، فالاستفهام بـ"أين" لا يقصد به السؤال عن المكان، كما أن أداة الاستفهام "هل" لا يقصد به الإجابة بـ "نعم" أو "لا" ؛ بل وضعها الشاعر ليحتج على انه الأجدر بهذه الهدايا ولأنّ الممدوح الأجدر بهذا الثناء.

2-5- النفي:

والنفي «أسلوب نقض وإنكار؛ يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، فينبغي إرسال النفي مطابقا لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأً؛ مما اقتضاه أن سعى لإزالة ذلك بأسلوب النفي »[4]، ومن هنا فكل قول يأتي منفيا يكون حجة لإقناع المتلقي، لهذا يعد النفي من حجج القصد التلميحي، حين يقصد المخاطب تقرير حججه بالتلميح، ومن أدوات النفي: لا ، ما ، لم ، لن، ليس...

***-" لا":** وتكون لـ«نفي المستقبل والحال، وقبيح دخولها على الماضي، لئلا تشبه الدعاء، وقد تدخل على الماضي بمعنى "لم"»[5]، ومن معانيها ، قد تكون نافية للجنس، أو عاملة عمل إنّ،

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص484.
[2] نفسه، ص330.
[3] ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2، ص341.
[4] مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص246.
[5] الزجاجي: حروف المعاني، ص4.

وقد تكون لا النافية غير العاملة "عاطفة وجوابية" وغيرها[1]، ومثال لا النافية للجنس قول أبي الطيب:[2]

فلا مَوْتَ إلاَ مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى وَلاَ رِزْقَ إلاَّ مِنْ يَمِينِكَ يُقْسَمُ

ولا العاملة عمل "ليس" قوله:[3]

إِذَا الجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلاصًا مِنَ الأَذَى فلاَ الحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلا المَالُ بَاقِيَا

ويعني «إذا لم يتخلص الجود من المن به لم يبق المال ولم يحصل الحمد لأ نّ المال يذهبه الجود والأذى يبطل الحمد فالمانُّ بما يعطى غير محمود ولا مأجور»[4].

وفي قول الشاعر:[5]

لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالآمَالِ مِنْ أَرَبِي وَلاَ القَنَاعَةُ بِالإِقْلاَلِ مِنْ شِيَمِي

نجده ينفي عن ذاته التهاون، كما ينفي عنها القناعة بالقليل؛ لأنهما حسب الشاعر صفتان للضعيف العاجز.

***-ما"**: وقد وظف المتنبي "ما" النافية في قوله:[6]

إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ

حيث خاطب سيف الدولة قائلا«إن سررتم بقول حاسدنا وطعنه؛ فقد رضينا بذلك لكم به سرور، فإن جرحا يرضيكم لا نجد له ألما، لأن كل سرورنا في سروركم ورضانا في رضاكم »[7]، فنفى أن يكون للجرح الذي يرضي سيف الدولة ألم . وفي قوله مادحا سيف الدولة:[8]

مَا الّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ المَنَايَا كَالذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشُّمُولُ

---

[1] ينظر: المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني،294.
[2] الديوان، ص305.
[3] نفسه ص442.
[4] الواحدي شرح ديوان المتنبي، ص730.
[5] الديوان، ص37.
[6] الديوان، ص333.
[7] عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، المجلد الثاني، الجزء4، ص66.
[8] الديوان، ص432.

نجد أن هناك حجة مضمرة، فالذين تدار في إماراتهم الطبول ليسوا كسيف الدولة في إمارته المنايا والحروب، إذن لا مجال للمقارنة بينه وبين غيره من الملوك. يقول أبو الطيب:[1]

وَمَا قُلْتُ لِلبَدْرِ أَنْتَ اللُّجَيْنُ وَمَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتِ الذَّهَبْ

نفى الشاعر عن نفسه تهمة التقصير في حق ممدوحه، فيقول له«لم أنقصك حقك كما ينقص البدر إذا شبه بالفضة، والشمس إذا شبهت بالذهب»[2].

*- **"لم":** وهي من أدوات النفي، وتكون لنفي الماضي؛ حيث «تدخل على مضارع اللفظ فتصرف معناه إلى المضي»[3]، يقول أبو الطيب:[4]

فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرٍ مَنْ لَهُ يَدُ وَلَمْ يَخْلُ مِنْ شُكْرٍ مَنْ لَهُ فَمُ

وَلَمْ يَخْلُ مِنْ أَسْمَائِهِ عُودُ مِنْبَرٍ وَلَمْ يَخْلُ دِينَارٌ وَلَمْ يَخْلُ دِرْهَمُ

يحاول الشاعر أن يؤكد شمول نعم سيف الدولة، ويمدحه باتساع سلطانه؛ فينفي أن يكون هناك من لم ينصره ولا يوجد من لا يشكره، و«له الأمر المطاع على كل أحد ، فكل من له يد قام بنصره، وقد عمّ الناس كلهم فضله فكل من له فضل نطق بشكره...[و] أنّ مملكته قد عمت الدنيا فخطب له على منابرها وضرب باسمه الدينار والدرهم»[5].

ودلالة الجمل على الشرط أو الاستفهام أو النفي تتم باستخدام الأداة التي تحمل وظيفة الجملة أو الأسلوب، فهذه الجمل في الحقيقة «لا يدرك معناها الوظيفي إلا باستخدام الأداة الخاصة بذلك المعنى، باستثناء جملة الإثبات وجملة الأمر حيث يتم ذلك عن طريق الصيغة»[6].

3-الحجاج بالتبادل:

وهو تقنية حجاجية يحاول المرسل من خلالها :«أن يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين، وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات، كما يمكن أن تكون الحجج

---

[1] نفسه، ص437.
[2] اليازجي، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2، ص466.
[3] المرادي:الجنى الداني في حروف المعاني،ص267.
[4] الديوان، ص302.
[5] اليازجي، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2، ص309.
[6] حلمى خليل :الكلمة دراسات لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية ،الطبعة الثانية، ص62.

نقلا لوجهة النظر بين المرسل والمرسل إليه»[1]، ويكون خاصة عند طلب المتكلم من المخاطب أن يعامله بالمثل ، أي أن يكون عادلا في حكمه، ومنه قول المتنبي:[2]

مَا كَانَ أَخْلَقَنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ

ويقصد بقوله «ما كان أحرانا ببركم وتكرمتكم ، لو كان أمركم في الاعتقاد لن ا نحو أمرنا في الاعتقاد لكم أي لو تقارب ما بيننا بالحب لكرمتمونا لأنا أهل للتكرمة »[3] ؛ حيث يطالب الشاعر سيف الدولة أن يحبه بالقدر الذي يحبه هو؛ لأنّ الشاعر أهل للتكريم والتقريب والمحبة، ومن هنا يحاول الشاعر أن يطبق مبدأ التساوي بينه وبين الممدوح في درجة الم حبة ، فلو كان الممدوح يحب الشاعر مقدار حبه له لكرمه وقربه إليه؛ فهو الأحرى والأولى بحبه.

4- تحصيل الحاصل:

وتحصيل الحاصل ضرب من ضروب الحجاج ، يستعمله المرسل حتى يحيل ذهن مخاطبه إلى سمات معروفة عنده، ومنه قول الشاعر:[4]

وَمَا الخَوْفُ إِلاَّ مَا تَخَوَّفهُ الفتَى وَمَا الأَمْنُ إِلاَّ مَا رَآهُ الفَتَى آمِنَا

ويكافئ هذا القول:

-الخوف هو الخوف.

-الأمن هو الأمن.

حيث يحيل الشاعر إلى المتلقي سمات الخوف والأمن المعروفة لديه، فحقيقة الخوف «ما يراه الإنسان خوفا ، حتى وإن خاف شيئا غير مخوف، فقد صار خ وفا»[5]، و الأمن حتى وإن كان غير آمنا فهو آمن، بمعنى أن الشجاعة تغني عن الخوف، وتعطيه الأمن، وباستعمال الشاعر لهذه التقنية- تحصيل الحاصل- قام بتوسيع الجملة ، وأعطاها مبررات كافية لتعريف الخوف والأمن، وتحصيل الحاصل لا يكون من أجل التكرار؛ بل تتجاوز معاني الجمل ة وأوصافها إلى توظيفها في السياق الذي يشير إليه.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص486.
[2] الديوان ، ص333.
[3] اليازجي، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ص344.
[4] الديوان، ص317.
[5] عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، م2، ج4، ص223.

وقد يكون تحصيل الحاصل بأوصاف مختلفة رغم وحدتها في الأصل، مثل قول المتنبي:[1]

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلاَّ فِي مُعَامَلَتِي فِيكَ الخِصَامُ وأَنْتَ الخَصْمُ وَالحَكَمُ

يدعو الشاعر "سيف الدولة"؛ لأن يعامله بالعدل؛ لأنه الحكم والخصم، ويقول له «فيك خصامي وأنت الخصم والحكم، لأنك ملك لا أحاكمك إلى غيرك»[2]، وقد وصفه بصفات مختلفة في وقت واحد؛ إذ جعله «محل الخصام، والخصم والحكم، وفي هذا حجاج بأنه أضعف من يؤخذ حقه منه؛ إذ ليس هناك ، في نظره قاض محايد أو قضية خارجة»[3]. وقد يكون تحصيل الحاصل بتكرار العبارة نفسها من باب تقوية الحجة.

ثانيا- المستوى العمودي: السلم الحجاجي في شعر المتنبي:

1- تعريف السلم الحجاجي: L'Echelle Argumentative

عرف **"طه عبد الرحمن "** السلم الحجاجي بأنه «عبارة عن مجموعة غير فار غة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومُوفِّية بالشرطين التاليين:

أ - كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أ قوى عليه»[4].

ويرتبط بمفهوم السلم الحجاجي، مفهوم آخر هو مفهوم الوجهة أو الاتجاه الحجاجي؛ ويعني هذا المفهوم:«أنه إذا كان يمكن من إنشاء فعل حجاجي، فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم

[1] الديوان، ص332.
[2] عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي: م2،ج4،ص62-63.
[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص490.
[4] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحا أو مضمرا »[1] ؛ حيث تقوم الروابط الحجاجية بتحديد الاتجاه الحجاجي للسلم.

قام "ديكرو" Ducrot بشرح فكرته باستعمال لفظة (أشد من plus que) «فلفظة جامد "أشد من" بارد، ولفظة بارد أشد من منعش، والشيء نفسه ينطبق على الماء الساخن والدافئ والحار، أو بين الفعل ألزم وأوصى وسمح، ويمكن المقارنة بينهم من خلال المجموعات الثلاثة؛ حيث سينشأ وصفها حتى لو لم يتم تحديد العلاقة "أشد من"...(وهكذا شبه الساخن هو وسيط بين حار ودافئ، وكلمة شبه النصح وسيطة بين نصح وسمح) وكيفية تحديد العلاقة "أشد من" هو الذي يشكل هذه السلالم»[2] وهذا يعني أن تراتبية الجمل تتحدد بوجود الرابط الحجاجي أو بعدم وجوده، ثم قام ديكرو Ducrot بوضع أمثلته هذه ضمن سلالم حجاجية من الأضعف إلى الأقوى ترتيبا عموديا بالشكل الآتي:[3]

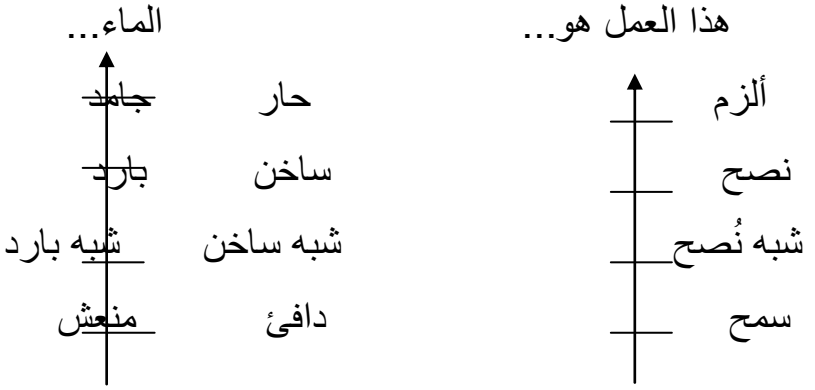

وبهذه الطريقة فإن السلم الحجاجي لا ينطبق ع لى الألفاظ فقط؛ بل كذلك على الجمل، ولشرح ذلك أكثر؛ نأخذ من شعر المتنبي قوله:[4]

أَرَقٌ عَلَى أَرَقٍ وَمِثْلِي يَأْرَقُ وَجَوًى يَزِيدُ وَعَبْرَةً تَتَرَقْرَقُ

جَهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ

مَا لاَح بَـرْقٌ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ إِلا انْـثَنَيْتُ وَلِي فُـؤَادٌ شَيِّقُ

[1] أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، مجلة المنارة، http://www.almannarah.com ص6.

[2] J.C.Anscombre & Ducrot: l'argumentation dans la langue, philosophie et langage,P.54.

[3] IBID.,P.54.

[4] الديوان، ص28.

جَرَّبْتُ مِنْ نَارِ الهَوَى مَا تَنْطَفِي نَارُ الغَضَى وَتَكِلُّ عَمَّا تَحْرِقُ[1]

وَعَذَلْتُ أَهْلَ العِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لاَ يَعْشَقُ

تحيلنا هذه الأبيات إلى الحجج الآتية:

1-العشق سبب السهاد والحرقة والدمع.

2- رقة الشوق وغايته: أرق وقلب يخفق.

3-نار الهوى أشد إحراقا من نار الغضا.

4-العشق يؤدي إلى الموت.

ثم إن الملاحظة البسيطة كافية لأنْ تبين لنا أنّ هذه الأقوال ليست على درجة واحدة من حيث القوة والضعف، و أن القول الرابع (العشق يؤدي إلى الموت) ترد في أعلى السلم الحجاجي ؛ لأنها أقوى الحجج، بحيث يكون السلم الحجاجي كالآتي:

نتيجة: **معاناة الشاعر**

- العشق يؤدي إلى الموت
- نار الهوى أشد إحراقا من نار الغضا
- غاية الشوق أرق وقلب يخفق
- الأرق والحرقة والدموع

وكل قول يرد في درجة ما من السلم يلزم عليه القول الذي يليه، ويكون القول الذي يعلوه أقوى منه ، فالدمع والأرق يقعان في المرتبة السفلى من درجات السلم ، ولهذا يكون القول (العشق يؤدي إلى الموت) أعلى درجات السلم ، وأقوى حجة على معاناة الشاعر.

وفي قصيدة المتنبي التي مطلعها "على قدر أهل العزم تأتي العزائم"، حاول إثبات عزيمة ممدوحه-سيف الدولة- وشجاعته في معركة الحدث الحمراء، وهذه القصيدة صورت حدة

[1] الغضا: شجر حسن النار ويبقى زمانا طويلا لا ينطفيء.

المعركة وعنفها بطريقة تصاعدية، و« ويعود هذا النمو التصاعدي إلى النفس الملحمي والتحام صورها الواقعية بالخيالية»[1] ، وإذا أخذنا من القصيدة قوله:[2]

فَلِلَّهِ وَقْتٌ ذَوَّبَ الغِشَّ نَـارُهُ فَلَمْ يَبْـقَ إلا صَارِمٌ أَوْ ضُبَارِمُ[3]

تَقَطَّعُ مَا لاَ يَقْطَعُ الـدِّرْعَ وَالقَنَا وَفَرَّ مِنَ الفُرْسَانِ مَنْ لا يُصَادِمُ

فإنّ معنى البيتين يحيلنا إلى المعاني المجازية الآتية:

1 - الحرب ذوبت ما لا خير فيه من رجال وسلاح.

2 - تكسر كل سيف لا يقطع الدرع.

3 - فرار الجبناء من الفرسان.

وقد بدأ الشاعر «من أقوى الكلمات تعبيرا عن الضعف الذي بدأ يدب في صفوف العدو، ويمنح المسلمين القوة، إلى أقلها تعبيرا عن ذلك، بدأ من الذوبان إلى التقطع إلى الفرار الذي يعد أقل تعبيرا عن الضعف»[4]، ولو تمعنا جيدا في معانيها المجازية، وقارنا القول المجازي بالقول الحقيقي وصلنا إلى ما يلي:

1-الذوبان كناية عن نفسية العدو الخائفة.

2-شدة الخوف كسرت السيوف.

3- فرار الجبناء من الفرسان.

فنلاحظ أن شدة الخوف والجبن تزداد قوة عند العدو في سلمية حجاجية، يمكننا تمثيلها كما يلي:

نتيجة: **شدة الخوف والجبن**

فرار الجبناء من الفرسان

شدة الخوف كسرت السيوف

خوف العدو

[1] عبد القادر بوعزة: عقدة الاستعلاء عند المتنبي من خلال شعره، إشراف محمد عبد الغني الشيخ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ،1986-1987، ص172.

[2] الديوان، ص387.

[3] ضبارم : شجاع.

[4] عبد القادر بوعزة: عقدة الاستعلاء عند المتنبي من خلال شعره، إشراف محمد عبد الغني الشيخ، ص180.

يقول المتنبي في القصيدة نفسها:[1]

وَقَفْتَ وَمَا فِي المَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ كَأَنَّكَ في جَفْنِ الرَّدَى[2] وَهُوَ نَائِمُ

تَمُرُّ بِكَ الأَبْطَالُ كَلْمَى[3] هَزِيمَةً وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وثَغْرُكَ بَاسِمُ

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةَ وَالنُّهَى إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالغَيْبِ عَالِمُ

القصد العام الذي تدل عليه هذه الأبيات هو شجاعة الممدوح وعزيمته المتناهية؛ إذ تحيلنا إلى المعاني الآتية:

1-لم يبق إلا السيف الصارم والرجل الشجاع.

2- وقوف الممدوح لمواجهة الخطر والهلاك.

3- تجاوزه حد الشجاعة كأنه يعلم أنّ العاقبة له.

والقول (3) يعد أقوى الأقوال على شجاعة الممدوح، فإذا رسمنا سلما حجاجيا كان كالآتي:

نتيجة: **شجاعة الممدوح**

- تجاوز حد الشجاعة
- وقوفه لمواجهة الهلاك
- سيف الدولة رجل شجاع

وبالتالي فإن المقولات الثلاثة تقدم النتيجة نفسها، بدرجات متفاوتة في القوة والضعف، وهي مرتّبة من الحجة الأضعف إلى الحجة الأقوى.

وعندما كتب المتنبي إلى الوالي وهو في الاعتقال، قال:[4]

دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَـا ءِ وَالمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الوَرِيد

يحاول الشاعر أن يبين شدة قربه من الموت بقولين هما:

1-انقطاع الرجاء.

2-(أنا أُحتضر)=(الموت مني كحبل الوريد).

والقول الثاني أقوى من القول الأول ، ويقع في أعلى درجات السلم، يمكن تمثيله كما يلي:

---

[1] الديوان، ص387.
[2] الردى: الهلاك.
[3] كلمى: جرحى.
[4] الديوان، ص64.

نتيجة: **شدة قربه من الموت**

أنا أُحتضر

انقطع رجائي

ويقول الشاعر في دفاعه عن نفسه:[1]

تَعَجَّلُ في وُجُوبِ الحُدُودِ وَحَدِّي قَبْلَ وُجُوبِ السُّجُودِ

وَقِيلَ: عَدَوْتَ عَلَى العَالَمِينَ بَيْنَ وِلادِي وَبَيْنَ القُعُودِ

فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الكَلاَمِ وَقَدْرُ الشَّهَادَةِ قَدْرَ الشُّهُودِ

فَلا تَسْمَعَنَّ مِنَ الكَاشِحِينَ وَلا تَعْبَأَنَّ بِعِجْلِ اليَهُودِ

وَكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْوَى أَرَدْتُ وَدَعْوَى فَعَلْتُ بِشَأْوٍ[2] بَعِيد

وَفِي جُودِ كَفَّيْكَ مَا جُدْتَ لِي بِنَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ أَشْقَى ثَمُود

يقول **"اليازجي"** في شرحه لهذه الأبيات :«تعجل على إيجاب الحد، وأنا لم يجب علي سجود الصلاة؛ يعني إنما يجب على البالغين، وهو لا يزال معدودا من الصبيان الذين لم يلزمهم حق لله، فكيف يلزمهم حق الناس... والشهادة تعتبر بحسب اعتبار الشاعر فتقبل بذلك أو ترد... [ثم] يشير إلى اتخاذ الباطل في ذلك تشبيها بعجل اليهود...ينبغي أن تفرق بين دعوى من يقول أنا أفعل كذا ودعوى من يقول فعلت كذا »[3]، ومن خلال هذا الشرح نستنتج حجج المتنبي كما يلي:

1-اتُهِمت وأنا طفل فلا توجب علي العقاب.

2-شهادة الكاذبين زور، فلا تقبل بها.

3- هناك خلاف بين القول والفعل.

4- عفوك عني كرم منك.

يتضح لنا بأن هذه الأقوال تخدم كلها الهدف الذي يبتغيه المتنبي؛ وهو الدعوى إلى الصفح والعفو، وأن يخلصه الوالي من الاعتقال، من خلال حديثه عن حالته المزرية، مقارنا إياها

---

[1] نفسه، ص54-55.

[2] الشأو:المسافة والغاية.

[3] العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج1- ص49.

بحريته، ولقد أقام حجته على أنّ العقوبة إنما تجب على البالغين، وهذه الحجة الأولى كانت الأضعف من بين حججه وهي مردودة لا تُقْبَل، لذلك دعمها بحجج أخرى، بدأت تنمو وتتطور من الأضعف إلى الأقوى، فهو يطالب الوالي ألاّ يبالي بما يضمره له الأعداء؛ لأنهم يتخذون حججا باطلة شبهها بعجل اليهود، كما يدعوه إلى التفريق بين قول الشيء وتنفيذه، ثم يقدم حجة أقوى من الحجج السابقة؛ حيث يجعله كريما جوادا إن تكرم عليه بالإفراج، ومن هنا كانت أضعف حجة هي القول الأول، وتترتب الحجج بحسب قوتها إلى أن تصل إلى أقوى حجة، هي القول الرابع"عفوك عني كرم منك"، ويمكن وضع هذه الأدلة في السلم الحجاجي الأتي:

نتيجة: **دعوى إلى العفو والتخليص من الأسر**

- عفوك عني كرم منك
- هناك خلاف بين القول والفعل
- شهادة الكاذبين زور (بريء من الاتهام)
- اتهمت بالبغي وأنا طفل

2- قوانين السلم الحجاجي:

هناك ثلاثة قوانين تحكم السلم الحجاجي وهي:

2-1- قانون الخفض: La Loi d'abaissement:

يفيد هذا القانون أنه «إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها »[1]، وهذا معناه أنّ الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، فإذا قلنا "سيف الدولة شج اع" وهو قول مثبت ، فلا يمكن أن يكون القول المنفي"سيف الدولة ليس شجاعا" في درجة من درجات السلم؛ حتى لا يدل على تناقض القول، كما أن نقيض القول يصدق في المراتب التي تحتها ؛ بمعنى، فإذا صدق قول المتنبي حول

[1] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

شجاعة الممدوح (واجه العدو)، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تحتها بمعنى سيف الدولة (ليس جبانا)، يصدق على الدرجة السلمية التي تحتها وهي (سيف الدولة شجاع).

2-2- قانون تبديل السلم: La Loi de Négation

ويسمى بقانون النفي مقتضاه أنه«إذا كان القول دليلا على مدلول معين؛ فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله»[1]، وهذا معناه أنه إذا تم نفي إحدى الحجج أدى هذا إلى نفي مدلول الخطاب، فـ«إذا كان قول "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإنّ نفيه (أي~أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة »[2]، فإذا نفينا قول المتنبي وافترضنا أنه قال (سيف الدولة لم يواجه العدو) فإن هذا يدل على نفي مدلول الخطاب؛ لتترتب قوة النفي ترتيبا عكسيا(لم يواجه العدو إذن ليس شجاعا)، يتضح هذا أكثر من خلال السلم الحجاجي الآتي:

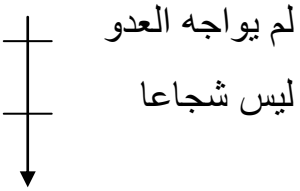

النتيجة: **إنه جبان**

ويمكن القول بأن حجة النفي هذه هي حجة الرأي المخالف.

3-2 قانون القلب: La Loi d'Inversion

ويفيد هذا القانون أنه«إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول، في التدليل على نق يض المدلول »[3]، ويرتبط هذا القانون بالنفي، حيث يكون«السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس الأقوال الإثباتية»[4]، ففي قول المتنبي بأن(الممدوح شجاع) وأنّه(واجه العدو) ، كانت مواجهته للعدو أقوى من كونه شجاعا، فإن تم عكس القضية، ونقضنا قوله يكون العكس؛ أي أنّ نقيض القول الثاني أقوى من نقيض القول الأول؛ فـ (ليس شجاعا) أقوى من (عدم مواجهته للعدو)، وما يقع أدنى السلم هو نفي أقوى لمدلول الخطاب.

3- وسائل السلم الحجاجي اللغوية:

---

[1] نفسه ، ص278.
[2] أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، مجلة المنارة،http://www.almannarah.com ص4.
[3] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي278.
[4] أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة ، مجلة المنارةhttp://www.almannarah.com ، ص5.

يتحقق الحجاج في اللغة عبر مؤشرات لغوية؛ تساعد على تنامي الحجاج من أدنى إلى أعلى السلم أو من أعلاه إلى أسفله، حيث تكون في الأقوال علامات لإسناد الوظيفة الحجاجية للقول، وهذه العلامات هي روابط لغوية فـ«إذا كان القول أو الخطاب معلما؛ أي مشتملا على بعض الروابط والعوامل الحجاجية، فإن هذه الأدوات والروابط تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليم ات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب »[1]، وهذه الروابط هي التي تحدد الاتجاه الحجاجي من ألفاظ ومؤشرات لغوية، بالإضافة إلى السياق اللغوي.

وقد ميز "ديكرو "Ducrot بين نوعين من المؤشرات : الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية.

1-3 الروابط الحجاجية:

تضطلع بعض الأدوات اللغوية بدور حجاجي، يتمثل في « الربط بين قضيتين وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب»[2]، من بينها (لكن، بل، حتى، إذن، لأن، بما أن...)، وتقوم بالربط بين قولين فأكثر،ضمن هدف إقناعي واحد، ولكل رابط سمة حجاجية وتداولية يمكن ضبطها أثناء الاستعمال.

3-1-1- لكن: هي أداة حجاجية تربط بين قولين متفاوتين في القوة، وهي تفيد الاستدراك، وهو«تعقيب الكلام بإزالة بعض الخواطر والأوهام التي ترد على الذهن بسببه، وهو يقتضي أن يكون ما بعد أداة الاستدراك مخالفا لما قبلها في الحكم المعنوي »[3] ، فاستعمال أداة الاستدراك "لكن" يكون من أجل إزالة الوهم وإبعاده فـ «كأنك لما أُخبرت عن الأول بخبر، خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك؛ فتداركت بخبره إن سلبا أو إيجابا ، ولابد أن يكون خبر الثاني مخالفا لخبر الأول لتحقيق معنى الاستدراك»[4] ، ويقع القول الثاني بعد "لكن" أقوى من القول الأول فـ«الدليل الذي يرد بعد "لكن" يكون أقوى من الدليل الذي يرد قبله، وتكون له الغلبة بحيث يتمكن من توجيه القول بمجمله، فتكون النتيجة التي يقصد إليها هذا الدليل

[1] نفسه ، ص6.
[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص508.
[3] عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة الجزء الثالث، ص616.
[4] موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش النحوي: شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية بمصر، الجزء الثامن، ص80.

ويخدمها هي نتيجة القول برمته »[1] ، فتنحصر النتيجة النهائية في القول الثاني، ف في قول المتنبي مثلا:[2]

وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوحِيدُ لِلشِّرْكِ هَازِمُ

فالشاعر ينفي أن يكون ممدوحه مجرد ملك هزم ملكا مثله، ولكنه «التوحيد قد هزم الشرك، لأنك سيف الإسلام وزعيمه، و "الدمستق" عماد أهل الشرك وقوامه، فك لاهما زعيم ملته»[3]، فوقع الرابط :لكن" بعد نفي وربط بين قولين هما:

1 - سيف الدولة ليس ملكا هزم نظيره

2 - هو التوحيد هزم الشرك.

ويمكن تمثيلهما بالسلم الحجاجي الآتي :

ن:**سيف الدولة زعيم الإسلام هازم الشرك**

هو التوحيد هزم الشر

لكن

ليس ملكا هزم نظيره

والاستدراك بـ**"لكن"** منح الحجة التي جاءت بعده قوة أكبر؛ فجاءت هذه الحجة في الدرجة العليا من السلم.

وفي قول الشاعر:[4]

وَمَا كَمَدُ الحُسَّادِ شَيْءٌ قَصَدْتُهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَزْحَمِ البَحْرَ يَغْرَقِ

ويعني بقوله«لم أقصد أن أكمد حسادي ؛ لأني لا أبالي بهم، ولكنهم حين تعرضوا لي لم يطيقوا مناظرتي فكان في ذلك كمدهم ، كمن زاحم البحر فغرق في تياره »[5]، وكان القول الثاني واقعا بعد النفي ، فالقولان هما:

1 - لم أقصد كمد الحساد.

2 - هم زاحموني ولم يطيقوا مناظرتي .

---

[1] أبو بكر العزاوي، الحجاج والشعر: نحو تحليل حجاجي لنص شعري ، مجلة دراسات سيميائية، أدبية، لسانية، ص374.
[2] الديوان، ص389.
[3] عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، م2-ج4، ص80.
[4] الديوان، ص347.
[5] ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2، ص362.

وتم الربط بينهما بالرابط "لكن" فجاءت الجملة الثانية أعلى مرتبة مقارنة بما قبلها، جاء ليبيّن أفضلية الشاعر علي بقية الشعراء أو من يدعي الشعر، ويمكن تمثيل الحجتين بالسلم الحجاجي الآتي:

ن: **المتنبي أفضل من الشعراء**

هم زاحموني ولم يطيقوا مناظرتي

لكن

لم أقصد كمد الحساد

فقد استدرك الشاعر بعد قوله الأول (لم أقصد كمد الحساد) بالرابط الحجاجي "لكن" فكان القول بعدها ، أقوى حجاجا على أفضلية الشاعر لأنهم لم يطيقوا مجاراته.

ولقد قامت**"ديبورا شيفرن"Deborah Schiffrin"** بالمقارنة بين المؤشر"لكن" وحرف العطف "الواو "؛ إذ تقول :«بالرغم من أنّ "لكن" هي من أدوات تنسيق الخطاب إلا أن لها وظيفة تداولية مختلفة، وهو أنها تجعل للوحدة التي تليها فعلا مضاداً؛ ولأن هذا الدور مؤسس على معناها المضاد، فإن مدى استعمالها الذهني أضيق من مدى الواو ... إذ لا تنسق "لكن" بين الوحدات الوظيفية، إلا إذا كان هناك بعضا من العلاقات المتضادة في محتواها الذهني أو التفاعلي »[1]، فالسلم الحجاجي يقوم إذن ضمن وظيفة المؤشر "لكن" على هذا التضاد الذي يجعل الحجة بعدها أقوى مقارنة بما قبلها.

يقول الشاعر:[2]

لَبِسْنَ الوَشْيَ لاَ مُتَجَمِّلاَتٍ وَلَكِنْ كَيْ يَصُنَّ الجَمَالاَ

فلبس الثياب المنقوشة ليس من أجل التجمل، ولكن من أجل صون الجمال، ومن هنا كان القول الذي يرد بعد "لكن" أقوى من الذي قبله في درجات السلم الحجاجي، دون أن ننسى وظيفة رابط التعليل "لكي" ، التي تبين سبب لبس الديباج ، وتتضح أكثر السلمية الحجاجية للقولين كما يلي:

شدة الجمال

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص512.
[2] الديوان، ص139.

يلبسنه لصوْن الجمال—

لكن

لا حاجة لهن للبس للديباج ___

3-1-2- "بل": وهي أداة ربط بين قولين، ومعناها «الإضراب عن الأول والإثبات للثاني »[1]، ويتحدد دورها في الربط نفيا أو إيجابا، حسب السياق الذي ترد فيه، فهي تأتي «لتدارك كلام غلط فيه...وتكون لترك شيء من الكلام وأخذ غيره»[2]، وقد وردت في قول المتنبي:[3]

مَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شُرِّفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لاَ بِجُدُودِي

يخالف الشاعر نظرة بعض الناس إلى الشرف المستمد من النسب أو المال، ويأتي بحجة أخرى مفادها أن نفس المرء هي التي يجب أن تتصف بالشرف ، ومن هنا أبطل حج ة الشرف بالنسب ونفاها، وبالتالي يكون وضعها في درجة أدنى من السلم؛ ومن ثَم أثبت أن الشرف يكون بنفس المرء، فكانت أقوى حجة من الأولى، وكان ترتيبها حجاجيا بفضل الأداة "بل"، ويمكن تمثيلها في السلم الحجاجي كما يلي:

ن: إبطال حجة الشرف بالنسب

شرفوا بي

بل

ما بقومي شرفت

وبالتالي فإن خاصية الرابط "بل" تكمن في الانتقال من درجة دنيا في الحجاج إلى درجة عليا.

وهذا النوع من الإضراب يطلق عليه النحاة اسم "الإضراب الإبطالي" وهو«يقتضي نفي الحكم السابق، في الكلام قبل"بل"، والقطع بأنه غير واقع، ومدعيه كاذب، والانصراف عنه واجب

[1] المبرد: المقتضب في اللغة، ج1، ص5.
[2] أبو القاسم الزجاجي: معاني الحروف، ص6.
[3] الديوان ، ص21.

إلى حكم آخر يجيء بعده »[1]، حيث أبطل المتنبي في المثال السابق حجة الشرف بالنسب ، وانصرف إلى حكم آخر وقع بعد "بل" ، وهو الشرف بالنفس.

3-1-3- حتى: ومن أدوات السلم الحجاجي "حتى" حيث يكمن دورها في ترتيب عناصر القول، ويفهم معناها الوظيفي من السياق الذي ترد فيه، ومن أقسامها:

*- **حتى الجارة**: وتفيد انتهاء الغاية، وهناك شروط لمجرورها «الأول: أن يكون ظاهرا ... والثاني: أن يكون آخر جزء أو ملاقي آخر جزء»[2].

وتبرز القوة الحجاجية لـ"حتى" الجارة في قول المتنبي:[3]

وَمَكْرُمَاتٍ[4] مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الـ بِرِّ إِلَى مَنْزِلِي تُرَدِّدُهَا

أَقَرَّ جِلْدِي بِهَا عَلَيَّ فَلاَ أَقْدِرُ حَتَّى المَمَاتِ أَجْحَدُهَا

فالشاعر يقصد أنه لا يستطيع أن يجحد نعمة الممدوح، والمؤشر "حتى" يربط بين الحجة والنتيجة، لتكون الحجة التي بعدها أقوى وهي "حتى الممات "، يقول ابن سيدة (ت458هـ) " في شرح هذا البيت:«نضرة العيش بادية على بشرتي... فإذا جحدت نعمتك شهد بها، فلا يمكن إنكارها حتى الممات»[5]، ومعنى هذا (لن أنكر فضلك **حتى** الممات) وقوله "حتى الممات" حجة أقوى في السلم الحجاجي من تلك المذكورة قبلها، وتخدم نتيجة ضمنية واحدة في هذا البيت هي الإقرار بالفضل.

ن: **الإقرار بالفضل**

الممات

حتى

لن أنكر فضل

***- حتى العاطفة:** ولا بد من مراعاة شروط المعطوف؛ وهي «شرطان: الأول أن يكون بعض قبلها ما أو كبعضه... والثاني أن يكون غاية لما قبلها في زيادة أو نقص »[6]، ومثال الزيادة قال المتنبي:[1]

---

[1] عباس حسن: النحو الوافي،ج3، ص623.
[2] المرادي:الجنى الداني في حروف المعاني،ص243-245.
[3] الديوان، ص11.
[4] يرد بالمكرمات ثيابا أهداها إليه الممدوح.
[5] ابن سيدة: شرح المشكل في شعر المتنبي، ص5.
[6] الحسن بن قاسم المرادي : الجنى الداني في حروف المعاني، ص547-539.

وَعَذَلتُ أَهْلَ العِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لاَ يَعْشَقُ

فالشاعر«يعظم أمر العشق ويجعله غاية في الشدة»[2]، وبذلك يكون الموت أعلى مراتب الشدة، ويمكن تصوير ذلك كما يلي:

ن: **شدة العشق**

ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

حتى

وعذلت أهل العشق

فالقول الأول (عذلت أهل العشق) يخدم النتيجة الضمنية(شدة العشق) والحجة التي جاءت بعد "حتى" هي الحجة الأقوى ، وهي غاية ما قبلها.

ومثال **"حتى"** الدالة على الضعف والنقص، قول الشاعر:[3]

وَضَاقَتْ الأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلاَ

ومعناه أنه «لشدة ما لحقهم من الخوف، ضاقت عليهم الأرض، فلم يجدوا مهربا »[4]، فنجد أنّ القولان يخدمان نتيجة ضمنية هي شدة الخوف والضعف، يتضح ذلك أكثر من خلال السلم الحجاجي كما يلي:

ن: **شدة الخوف والضعف**

كان هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجل

حتى

ضاقت الأرض

وكانت الحجة الثانية التي جاءت بعد **"حتى"** هي الحجة الأقوى على شدة الخوف. وفي قول الشاعر:[5]

مَنْ كُلُّ مَنْ ضَاقَ الفَضَاءُ بِجَيْشِهِ حَتَّى ثَوَى فَحَوَاهُ لَحْدٌ ضَيِّقُ

---

[1] الديوان، ص28.
[2] الواحدي : شرح ديوان المتنبي، ص42.
[3] الديوان:ص18.
[4] الواحدي: شرح ديوان المتنبي، ص29.
[5] الديوان: ص28.

ومعنى قوله «كل ملك كثرت جنوده حتى ضاق بهم الفضاء، فجمعه لحد بعد أن كان الفضاء الواسع يضيق عنه»[1]، وفي هذا البيت نجد أن المؤشر حتى ربط بين حجتين؛ ليبين شدة الضيق فإن كان الفضاء وهو واسع يضيق عليهم في الحياة لكثرة الجنود فإنّ اللحد الذي سيأويهم بعد الممات أشد ضيقا، وبالتالي يظهر دور الرابط "حتى" الذي أدى إلى نتيجة مضمرة، يوضحها السلم الحجاجي كالآتي :

ن: **شدة الضيق**

ثوى فحواه لحد ضيق

حتى

كل من ضاق الفضاء بجيشه

فضيق اللحد بعد الموت أشد من ضيق الفضاء في الحياة؛ فما بعد المؤشر "حتى" غاية لما قبلها فكانت شدة الضيق غاية في النقص.

***- <u>حتى الناصبة :</u>** استعمل المتنبي "حتى" الناصبة ليربط بين حجتين وتكون الحجة الثانية التي بعد "حتى" أقوى من الحجة التي قبلها، ومنها قوله:[2]

وَمَا الشَّوْقُ مُقْتَنِعًا مِنِّي بِذَا كَمَدِ حَتَّى أَكُونَ بِلاَ قَلْبٍ وَلاَ كَبِدِ

ويقصد بقوله : « لا يقتنع الشوق مني بما أنا فيه من الحزن حتى يتلف جسمي ويذهب بقلبي وبكبدي »[3] ومن هنا نجد أن الشاعر يحاول أن يثبت شدة شوقه الذي أحرق كبده، والشطر الثاني أقوى حجة وأعلى درجة في درجات السلم الحجاجي من الحجة التي قبلها يمكن تمثيلها كما يلي :

ن: **<u>شدة الشوق</u>**

أكون بلا قلب ولا كبد

حتى

ما الشوق مقتنعا مني بذا كمد

[1] عبد الرحمن البرقوقي : شرح ديوان المتنبي، م2 ،ج3 ، ص 56 .
[2] الديوان : ص 64 .
[3] ناصيف اليازجي : العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، ج1 ص 59 .

نلاحظ أنّ الروابط "لكن" ،وبل" و"حتى" تؤدي علاقة التناقض أو عدم الاتفاق، حيث يقوم الشاعر بذكر أمر مناقض لنتيجة الخطاب، ومما يجعل الخطاب منسجما ومتناغما ؛ حيث يبنى هذا الترابط والاتصال على الانفصال، لكنها تؤدي دورا حجاجيا قويا؛ ذلك لأنّ الحجة الثانية التي ترد بعد الرابط الحجاجي تكون أقوى من الحجة التي تسبقها، فيوجه الشاعر الخطاب نحو النتيجة التي يقصدها، فيقتضي الأمر إقناعا وتأثيرا مخصوصا في المتلقي.

2-3 العوامل الحجاجية :

والعامل الحجاجي هو «هو صرفة تحول الاحتمالات الحجاجية للمضمون المطبقة عليه، وتمد العبارات المتغيرة بإمكانية استعمالها لغايات حجاجية »[1]، حيث تتقيد الجملة بعد ه، ويتم الإسناد فيها في بعض الأساليب كالحصر والتأكيد والاستثناء والنفي والشرط وغيرها.

ومن هذه العوامل الحجاجية :

1-2-3 الحصر بـ(ما وإلا)-(لا و إلا) :

وهي من التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب درجة قوتها الحجاجية وهو «عامل يوجه القول نحو وجهة واحدة نحو الانخفاض»[2]. نحو قول الشاعر مستعملا (ما وإلا):[3]

فلاَ مَوْتَ إلاّ مِنْ سِنَانِكَ يُتّقَى وَلاَ رِزْقَ إلاّ مِنْ يَمِينِكَ يُقْسَمُ

استعمل الشاعر الحصر من أجل الإقناع بتعظيم الشيء أو التقليل من قيمته بإدخال عوامل مثل (ما وإلا) أو (لا وإلا) وفي المثال السابق تعظيم لشجاعة الممدوح وحصر مفهومها عليه، وتعظيم لكرمه وجوده في الشطر الثاني.

ومن ذلك أسلوب الحصر عن طريق العامل (ما وإلا) المدخلة على الخطاب في قول الشاعر:[4]

وَمَا عَزّهُ فيهَا مُرَادٌ أَرَادَهُ وَإِنْ عَزّ إِلاّ أَنْ يَكُونَ لهُ مِثْلُهُ

أراد الشاعر بـ(عزّ) الأولى يعجزه أما (عز) الثانية فهي بمعنى التقليل « فلا يعجزه أمر يطلبه، وإن قل وجوده ما لم يكن ذلك الأمر المطلوب وجدان مثيل له، فيعج ز عنه؛ لأنه

[1] محمد طروس : النظرية الحجاجية ص 112 .
[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري : إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ص 520
[3] الديوان، ص 305 .
[4] نفسه، ص 46 .

مستحيل»[1]، وهو بيان عن طريق الحصر يؤكد فيه الشاعر استحالة وجود نظير لممدوحه .

ويقول الشاعر : [2]

أَبَا أَحْمَدٍ مَا الْفَخْرُ إِلاّ لأَهْلِه وَمَا لامْرِئ لم يُمْسِ من بُحترٍ[3] فَخْرُ

فالحصر هنا عامل حجاجي يؤكد افتخار الشاعر بقبيلة الممدوح، ومن هنا يكون للحصر دلالة واضحة على التوكيد.

2-2-3 الاستثناء بـ"إنما" :

"إنما" أداة استثناء، و هي مركبة من "إنّ" و"ما" وبعد دخول "ما" على إنّ التوكيدية تغيرت وظيفتها، وأصبح لها معنى جديد، و« قد تغيرت دلالتها على التوكيد من كونه توكيدا عاديا، إلى كونه توكيدا قاصرا أو حاصرا »[4]، تأتي "إنما" لتصحيح معتقد أو ظن يذهب إلى نقيض المفهوم، و استعمال الاستثناء بـ"إنما"«لا تقوله لمن يجهل ذلك ، ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به إلا أنه يريد أن تنبهه»[5]، ومن أمثلتها قول الشاعر:[6]

إِنّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيِضَاضُ الْـ نّفْسِ خَيْرٌ مِنْ اِبْيِضَاضِ القَبَاءِ [7]

استعمل الشاعر في البيت "إنما" ويقصد أنّ «الجلد للإنسان بمنزلة اللباس، فلا عبرة ببياضه، وإنما العبرة ببياض النفس ونقائها من العيوب»[8] ، والأخلاق الطيبة أفضل من جمال الوجه وحسنه، وهذه فكرة لا يجهلها كافور، كما أنه لا ينكرها، فاستعملها الشاعر من أجل القصر.

وقد يأتي الاستثناء بـ" إنما" من أجل التنبيه والتذكير بأمر معلوم لا ينكره المخاطب، مثل قول الشاعر لكافور:[9]

إِنَّمَا تَنْجَحُ المَقَالَةُ فِي المَرْ ءِ إِذَا وَافَقَتْ هَوًى فِي الفُؤَادِ

وقال الشاعر في القصيدة نفسها:[10]

---

[1] راصيف اليازجي : العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، ج1 ص 40
[2] الديوان : ص 64 .
[3] بحتر : قبيلة الممدوح .
[4] مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص238.
[5] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص330.
[6] الديوان، ص 447 .
[7] القباء: اللباس.
[8] اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2،ص477.
[9] الديوان، ص463.
[10] نفسه، ص464.

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالأَبُ القَا طِعُ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الأَوْلاَدِ

وكان قول الشاعر هذا إثر الصلح الذي وقع بعد الخلاف بين كافور وابن الإخشيد، فأراد أبو الطيب أن يذكّر كافور وينبهه بأنّ الود بعد الخلاف يكون أقوى؛ فك افور في تربيته لابن الإخشيد، «بمنزلة الوالد له والوالد القاطع يبقى حنوه على ولده أشد من حنو الولد الواصل على أبيه »[1]. والشاعر «لم يرد أن يعلم كافور أنه والد، ولا ذاك مما يحتاج كاف ور فيه إلى الإعلام، ولكنه أراد أن يذكره بالأمر المعلوم؛ ليبني عليه استدعاء ما ي وجبه كونه بمنزلة الوالد»[2] . فكان توظيف العامل الحجاجي وهو الاستثناء بـ "إنما" على سبيل التنبيه وليس على على الإخبار أو الإنكار، فالمتلقي يعلم بالأمر ولا يحتاج لمن يخبره بأنه بمنزلة الوالد .

وهذا العامل الحجاجي - أسلوب الحصر بإنما- لا يجعل من هدف الخطاب الإب لاغ؛ بل يكون قاعدةً للمرور من المقدمة والنتيجة.

3-2-3 أسلوب التوكيد:

هناك أدوات لتأكيد القول ودفع الإنكار مثل (إن – لام التوكيد) حيث تنهض بوظيفة حجاجية تتمثل في تقديم المسائل للمتلقي وفرضها عليه.

ويكون أسلوب التوكيد بقصد رد إنكار المخاطب ودفع الشك، وأغراض هذا الأسلوب ثلاثة«أحدهما: أن يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع عنده. وثانيهما: أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط، فإذا قصد المتكلم أحد هذين الأمرين فلا بد أن يكرر اللفظ الذي ظنه غفلة السامع عنه...والغرض الثالث: أن يدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوزا »[3] ، ويكون باستعمال العامل الحجاجي"إنّ" ولام التوكيد، وقد وردت في قول المتنبي:[4]

إِنِّي لأَعْلَمُ وَاللَّبِيبُ خَبِيرْ أَنَّ الحَيَاةَ وَإِنْ حَرِصْتَ غُرُورْ

فدرجة الحجاج ازدادت قوة من مجرد الإخبار إلى تأكيد الأمر، وقد تحققت بفضل "إنّ" ولام التوكيد. وفي قوله:[5]

سِوَى وَجَعُ الحُسَّادِ دَاوِ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولْ

---

[1] اليازجي، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ج2، ص499.
[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ، ص330.
[3] مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص335-336.
[4] الديوان، ص71.
[5] نفسه، ص360.

وَلاَ تَطْمَعَنَّ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ وَتُنِيلْ

وَإِنَّا لَنَلْقَى الحَادِثَاتِ بِأَنْفُسٍ كَثِيرُ الرَّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلْ

فدخول "إنّ" مع لام المزحلقة" على الكلام يكون لدفع الإنكار، وجاءت في المثال لإنكار ما يقوله خصوم المتنبي وحساده ومن معنى الأبيات نجد أنه يثبت أنّ لكل داء دواء ما عدا داء الحسد؛ فلا دواء له وهذا أسلوب الحصر، ثم يرى بأنّ«الحاسد لا يطمع في مودة؛ لأنه لا يود محسوده ولو أظهر له المودة وبذلها من نفسه حقيقة»[1].

وباستعماله لأسلوب التوكيد بـ "إنّ" ولام المزحلقة قدم الشاعر مسائل محددة تتمثل في مواجهته المصائب الكثيرة ومكائد الحساد بصبر وتجلد، مقارنة مع حساده الذين لا يلقون من المصائب إلا القليل، ولقد جاء القول مؤكدا بـ"إنّ" واللام التي سماها النحاة "لام المزحلقة"عند اتصالها بـ"إنّ" ، وحين لا تتصل بها يسمونها "لام الابتداء"، وهي في كلتا الحالتين أداة توكيد، وقد وظف الشاعر أسلوب التوكيد «لينهض بوظيفة حجاجية تتمثل في تقديم هذه المسائل، وفرض حقيقتها عليه باعتبارها مسلمات ومقتضيات لا تقبل مبدئيا النقاش »[2]، وأسلوب التوكيد قد يكون باستعمال أكثر من مؤكد، وهذا ما يعرف في البلاغة العربية "الخبر الإنكاري " وهو من أضرب الخبر؛ حيث يوظفه المتكلم عندما يشك المخاطب في كلامه، وذلك بقصد دفع الإنكار، وإزالة الشكوك وتقوية القول.

[1] ناصيف اليازجي، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب،ج2، ص376.
[2] عبد الله صوله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص299.

الخاتمــة:

ارتأى لنا ونحن نتابع على بساط البحث الروابط الحجاجية في شعر المتنبي ، كيف أنّ الشعر قد يقوم على الحجاج، فحاولنا تحديد الدراسة وضبطها عن طريق التركيز على الحجاج الذي ينبع من اللغة ذاتها، وكان هدفنا هو دراسة الحجاج التداولي وإبراز فعا ليته في دراسة الخطاب الشعري.

واتضح لنا أنّ الشاعر يستثمر حججا ويوظفها في شعره؛ وأنّه يمكن استنباط الروابط التي تؤدي وظيفةً حجاجيةً في القول الشعري، وتوجهه نحو النتيجة التي يبتغيها الشاعر، حينما يريد إقناع المتلقي بأفكاره، والتأثير عليه.

ونستطيع توضيح ذلك أكثر بتقديم النتائج الآتية:

1- لكون التداولية تبحث في مقاصد المتكلمين، فلا تقتصر الدراسة فيها على اللغة العادية وحسب؛ بل يمكن تطبيقها كذلك على الخطاب الشعري.

2 - البحث في التداولية والحجاج يشمل مختلف الدراسات "البلاغية، النحوية، الصرفية، والدلالية"، و يُعنى بسياق القول وعلاقات المتكلم والمتلقي ، وعدم الوقوف عند حدود القول فقط.

5- قدرة المتنبي على تملك أدوات اللغة والروابط الحجاجية، وتوظيفها توظيفا يدعم حججه، وامتلاكه لطاقات تعبيرية فذة، بالإضافة إلى كثرة الألوان البيانية التي أضافت لجمالية القول الشعري قوة حجاجية، فكانت سبيلا في تحقيق الإمتاع والإقناع

6-الحجة في الشعر تختفي وراء المعاني المجازية، قد لا يتفطن المتلقي إلى الحجة الكامنة وراءه ا، وقد تكون هذه المعاني المجازية في حد ذاتها حججا، ويمكن تحديدها عن طريق تحليل المعنى، و فهم مقاصد الشعراء وأهدافهم الإقناعية.

7- للأساليب البلاغية دور بالغ الأهمية في دعم القوة الحجاجية للقول، إذ لا يستعملها الشاعر من أجل إضفاء المسحة الجمالية فحسب؛ بل كذلك من أجل الإقناع والتأثير، وعن طريق البحث في أنواع الحجج المستعملة في الشعر يمكن لنا التمييز بين الشعر الحجاجي والشعر غير الحجاجي.

8- ضرورة معرفة أنواع الحجج، والفوارق القائمة بينها؛ لفهم ما خفي من مقاصد الشاعر وأهدافه، فشعر المتنبي يزخر بأنواع مختلفة من الحجج ؛ فقد اعتمد أحيانا على حجج شبه

منطقية التي احتفظت بالقدرة على الإقناع ، كما اعتمد كذلك على حجج مؤسسة على بن ية الواقع ؛ فاتسمت الحجة بالواقعية واتخذت بعدا توضيحيا، كما اعتمد في أحيان أخرى على حجج تبنين الواقع من شاهد ومثل وقدوة وتمثيل، ليحمل متلقيه على الإذعان والتسليم بوجهة نظره.

9- الشعر بوصفه يكثف المعاني، يمكن تناوله من وجهات متعددة، وكثيرا ما واجهنا في مثال واحد عدة حجج؛ فاستثمرناه في مواضع مختلفة كمثال توضيحي.

10- إذا كان ديكرو "Ducrot" قد ركز في دراسته للروابط الحجاجية على (لكن، زد على ذلك، لأن، بما أن...) لكونها تفيد التعليل وتربط بين الحجج ضمن سلمية م عينة، فإنّ الشاعر العربي لا يستعمل بعض هذه الروابط مثل (بما أن، زد على ذلك، فضلا عن، غني عن القول)؛ لكونها أقرب إلى النثر منها إلى الشعر.

11- استعمل الشاعر روابط حجاجية أخرى تدل على التعليل مثل "المفعول لأجله"، وما ينوب عنه من حروف الجر التي تفيد التعليل بدورها، كما وظف الشاعر ألفاظا تحمل معنى حجاجيا، ربطت بين السبب والنتيجة، مثل "حجة، شهادة، دليل، سبب وغيرها، فأكثر من استعمالها، إما ليبيّن شدة محبته لممدوحه في مقام المدح، أو سببَ بكائه وحزنه على المرثي في مقام الرثاء، أو لتقوي افتخاره بنفسه ومجده وجدارته بالتقريب والإحسان في مقام الفخر، كما كان يأتي بالرد على خصومه وأعدائه، في الفخر والهجاء معا فأكثر من استعمال النفي ، لكي ينفي عن نفسه النقائص، والاستفهام الإنكاري الذي يجعل الخصم يراجع آراءه.

وقد تأتي الروابط الحجاجية لتدل على نظرته التأملية للحياة م ن خلال الحكمة ، أو أن يستعمل تلك الروابط مبررا لأسباب ضعفه اتجاه تحقيق حلمه، أو اتجاه من يحب ... ومن هنا دلّت الروابط الحجاجية التي وظفها الشاعر على التعليل، وِفقاً للمقصدية ال تي كان يرمي الشاعر إلى تحقيقها، لذلك ركزنا البحث على الأمثلة والشواهد من شعر المتنبي التي تخدم الموضوع.

12- هناك مبادئ للتأويل الحجاجي لا بد من مراعاتها ؛ حيث أنّ المعتقدات الاجتماعية والثقافية المشتركة بين المتكلمين تدخل في التأويل الصحيح لمدلول القول.

13 - قلة الروابط في البيت الشعري يعود إلى ضيق مساحة البيت.

14- تظهر الروابط الحجاجية في الخطاب الشعري وغيره على مستويين:

*مستوى أفقي ويشمل كل أنواع الأدوات النحوية وروابط الفصل وروابط الوصل وألفاظ التعليل... وتسهم في الربط بين الحجج والنتائج، وتنظيم العلاقات بين الأقوال، وينبغي مراعاة معاني الأدوات النحوية ؛ وذلك من أجل البحث في تلك التي يقصد بها التعليل، والربط بين القضايا اللغوية. كما أننا نجد أن الحجاج شامل لبعض المفاهيم التداولية كالاستلزام الحواري ومتضمنات القول ، وحتى الأفعال الكلامية التي تتحدد انطلاقا من وظيفة الأداة ومعناها (الاستفهام، والنفي، والشرط...) والتي تكون بدورها حججا للشاعر.

*ومستوى عمودي بحيث تنتظم الحجج في سلميۃ حجاجية من أضعف حجة إلى أقواها، ويمكن تأويل الأبيات الشعرية عن طريق البحث في المعاني المجازية، ثم تحديد المعنى الحقيقي للقول(قصد المتكلم)، من أجل استنباط الحجج وملا حظة كيفية ترتيبها والربط بينها، ويشمل هذا المستوى الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية.

15- التدريجية في بناء العلاقات بين تراكيب القول والحجج (السلم الحجاجي)، فالشاعر يبدأ في حججه -كما رأينا- من أضعف حجة إلى أقواها، بطريقة تدريجية سلمّية.

16- النسبية في القوة الحجاجية للحجج من حيث القوة والضعف؛ وذلك حسب السياق الذي ترد فيه.

17- ركز مؤسس نظرية السلالم الحجاجية على التدرج في توجيه الحجج وأهميتها لا تتجلى من خلال الصدق والكذب؛ بل في تبيان قوة وضعف الحجج.

18- تكمن فعالية الروابط الحجاجية في شعر المتنبي في دورها الإقناعي ، فحين يتمكن الشاعر من جعل المتلقي يذعن إلى رأيه ولا يمكن له رد الحجة أو تفنيدها، عندما يأتيه بحجج شبه منطقية، خاصة في مقام الحكمة مثلا ، كما قد تكون الحجة التي يقدمها الشاعر قابلة للرفض أو القبول، مثل الحجة التي يبنيها على الغاية، أو سبب تبذيره للمال و شربه للخمر وغيرها فللمتلقي كامل الحرية في قبول حجة الشاعر أو رفضها.

تجدر الإشارة إلى أننا حاولنا من بداية البحث أن يكون تطبيقيا، لذلك اعتمدنا على وضع الأمثلة من شعر المتنبي في جل المفاهيم التي بحثنا فيها، حتى أننا تفادينا في كثير من الأحيان وضع الأمثلة التوضيحية من اللغة العادية، وبحثنا عما يقاربها في شعر المتنبي.

إن إشكالية هذا البحث ستظل في حاجة إلى الدراسة والتحليل، رغم محاولتنا استجلاء كثيرٍ من قضاياها، وسنكون بداية لبحوث معمقة إن شاء الله. فدراسة "العلاقات الحجاجية في النص

الشعري" مثلاً من الإشكاليات التي ما تزال في حاجة إلى بحث معمق ودقيق، أو يبدو فيها من اللبس والإبهام والحاجة إلى التطبيق، وإن كنا قد أشرنا إليها في ثنايا هذا البحث، ولم نتعمق فيها؛ فذلك لأننا أردنا توجيه البحث نحو وِجْهةٍ وغاية واحدة محددة هي الروابط الحجاجية.

هذي رسالتي التي أتممتها هبةً وتوفيقاً من الرحمن

إن كنت قد وُفِّقْتُ في تأليفها فالفضل والإنعام للمنان

أو كنت قد أخطأت فهي عثرة منّي وتوهيم لِضَعْفِ جِناني

وفي الأخير أرجو الله أن يحقق بهذا العمل نفعا، **(وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبْ).**

قائمة المصادر والمراجع:

1- باللغة العربية:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

01- **إبراهيم عبد المنعم إبراهيم** : بلاغة الحجاج في الشعر العربي، شعر ابن الرومي نموذجا، مكتبة الآداب القاهرة الطبعة الأولى، 2007م.

02- **ابن كثير**: تفسير القرآن العظيم، كتب هوامشه وضبطه حسين بن إبراهيم زهران، دار الفكر، بيروت، لبنان، الجزء الأول،1426ه-1427 ه- 2006.

03- **ابن منظور** : لسان العرب، دار صادر بيروت ، المجلد الثاني الطبعة الأولى 1410ه-1990م.

04- **أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه** : الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلا م محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة، الجزء الأول، 1408ه-1988م.

05- **أبو البقاء العكبري** : شرح ديوان أبي الطيب المتنبي تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الباجي الحلبي وأولاده ، الجزء الثاني ، ط 2 ، 1376هـ_1956م.

06- **أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي**: الديوان، دار الجيل، بيروت.

07-**أبو الفتح عثمان ابن جني**: اللمع في اللغة، مكتبة مشكاة الإسلامية، كتبه : ميلود بن عبد الرحمن،16ربيع الثاني 1426الموافق ل2005/06/04.

08- **أبو الفضل الميداني** : مجمع الأمثال، مكتبة مشكاة الإسلامي ة، الجزء الأول، www.almeshkat.net/Books

*-**أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي**:

09- الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار العروبة، القاهرة 1378هـ.1954

10- كتاب اللامات، مكتبة مشكاة الإسلامية، كتبه : ميلود بن عبد الرحمن، يوم الجمعة 21 جمادي الثانية 1426 الموافق 2005./07/15.

11- معاني الحروف، مكتبة مشكاة الإسلامية، ميلود بن عبد الرحمن رابع عشر جمادى الثانية 1426 الموافق ل: 05/07/20.

12- **أبو العباس محمد بن يزيد المبرد :** المقتضب في اللغة، مكتبة مشكاة الإسلامية،2004/12/14، الجزء الأول والثاني.

13- **أبو ع مرو بن عثمان الجاحظ** : البيان والتبيين تحقيق حسن السندوبي، دار المعارف تونس، جانفي.1990

14-**أحمد حسن صبره، سعد سليمان حمودة :** التفكير الاستعاري والدراسات البلاغية، دار المعرفة الجامعية،ط2، 2002.

15- **أحمد محمود نحلة** : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار ال معرفة الجامعية 2002.

***أرسطو طاليس** :

16-الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، وكال ـ ة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت، لبنان،1979

17- كتاب الشعر، نقل أبي بشر متى بن يوسف القبائي من السرياني إلى العربي، تحقيق شكري محمد عياد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ،1386هـ-1967م.

18- **تمام حسان** : اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الطباعة مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، طبعة1994.

19- **جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي**: تفسير الإمامين الجلالين للقرآن الكريم، حققه ونسقه الشيخ محمد الصادق القمحاوي، مكتبة رحاب الجزائر.

20-**حازم القرطاجني**: منهاج البلاغة سراج الأدباء تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية تونس .1966

21 - **الحسن بن القاسم المرادي**: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوى، محمد نديم فاضلن دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1413ه-1992م.

22-**حسن جمعة**: في جمالية الكلمة: دراسة جمالية بلاغية نقدية، اتحاد الكتاب العرب، مكتبة الأسد 170ص،25سم دمشق ع 72،2002/4/6، موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الانترنيت:http:www.awu.dam.org البريد الإلكتروني : Email.une criv@net say aru@ net say.

23- **حلمى خليل** :الكلمة دراسات لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية ،الطبعة الثانية.

24-**حنا الفاخوري** : الموجز في الأدب العربي وتاريخه الأدب المولد، دار الجيل بيروت، المجلد الثانية الطبعة الثانية1411ه-1991م.

25- **خليفة بوجادي** : في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة ، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009.

26-**الخليل بن أحمد الفراهيدي** : كتاب العين، ترتيب وتحقيق : عبد الحميد هنداوي، المجلد الأول أ-خ، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأولى، 2003-1424ه.

27- **رابح بوحوش** : اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم، عنابة، الجزائر1427-.2006

28- **سامية الدريدي**: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، أربد عمان الأردن،الطبعة الأولى، 1428-2008.

29- **صابر حباشة**: التدولية والحجاج، مداخل ونصوص صفحات للدراسات و النشر دمشق، الإصدار الأول، .2008

30- **صالح إسماعيل عبد الحق**: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، تنوير ، لبنان الطبعة الأولى، بيروت، لبنان ط1-1993.

31- **صلاح فضل** : بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عال م المعرفة، الكويت، 164، صفر1413ه أغسطس/آب1992م.

32- **ضياء الدين ابن الأثير** : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق : أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القسم الأول، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة، الطبعة الأولى، 1379-1959.

***طه عبد الرحمن:**

33-في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية .2000

34-:اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1998.

35- **عبد الرّ حمن البرقوقي**: شرح ديوان المتنبي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1428ه-2007م المجلد الثاني، الجزء الثالث والرابع.

36-**عبد السّلام عشير**: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب 2006.

***عبد القاهر الجرجاني** :

37- أسرار البلاغة ، تحقيق محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت ،1424-2003م.

38- دلائل الإعجاز: تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الثلاثاء، 5جمادى الأولى1404-07 فبراير1984.

39- **عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي**: سر الفصاحة، كتبه: محمد بن إسماعيل بن عمر بن أبي بكر الحميدي الشافعي، مكتبة مشكاة الإسلامية، 30-03-2004.

40-**عبد الله صولة**: الحجاج في القرآن أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج، دار الفرابي،بيروت لبنان، منشورات كلية الآداب بمنوبة تونس، الطبعة الأولى ،2001، الطبعة الثانية 2007.

41-**عبد الهادي بن ظافر الشهري**: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد.

42-**عباس حسن**: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة ، والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، المجلد الأول، 1966. والمجلد الثاني، 1966. والمجلد الثالث. والمجلد الرابع، .1968

43- **علي بن أحمد الواحدي النيسابوري** : شرح ديوان المتنبي، مكتبة مشكاة الإسلامية ، 1426./06/24

44- **علي بن إسماعيل ابن سيدة**: شرح المشكل في شعر المتنبي، مكتبة مشكاة الإسلامية.

45- **علي محمد الجرجاني**: التعريفات، مكتبة مشكاة الإسلامية.

46- **عمر بلخير :** تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، 2003.

47- **فاضل مصطفى الساقي**: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي بالقاهرة1397ه-1977م.

* **قدامة بن جعفر**:

48 -: نقد الشعر : تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان

49 -: نقد النثر : دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان 1422هـ -1982م.

50- **القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني** : الوساطة بين المتنبي وخصومه تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى الباني الحلبي وشركاه.

51- **كميلة وتيكي**: كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة (مقاربة تداولية) دار قرطبة ، الطبعة الأولى 1425ه-2004م.

52- **محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي** : عيار الشعر، دراسة وتحقيق وتعليق محمد زغلول سلام، توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية شركة جلال للطباعة،الطبعة الثالثة.

53- **محمد التنوخي، راجي الأسمر** : المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)، مراجعة إيميل يعقوب، المجلد الأول، دار الكتب العلمية، الجزء الأول ، الطبعة الأولى، هـ 1421-2001م.

54- **محمد طروس**: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى،1426-.2005

55- **محمد العمري:** البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، 1999.

56- **محمد ولد الأمين** : حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، طرابلس، المركز العالمي لدراسات أبحاث الكتاب الأخضر الطبعة الأولى،-2004،www.HADAAT.COM

57- **محمد الولي** : الاستعارة في محطات يونانية عربية وغربية ، دار الأمان، الرباط، ط1-1426 هـ2005م

58- **مسعود صحراوي**: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 2005،ص15.

59- **مصطفى سبيتي** : شرح ديوان المتنبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1424-2003.

60- **مهدي المخزومي**: في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت لبنان ، ط2، 1406ه-1987م.

61- **موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش النحوي** : شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية بمصر، الجزء الثامن.

62- **ناصيف اليازجي :** العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، الجزء الأول و الجزء الثاني.

63- **نواري سعودي أبو زيد:** في تداولية الخطاب الأدبي ، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، سطيف الجزائر، ط1، 2009 .

2 – الكتب المترجمة:

01- **آن ربول، جاك موشلار** : التداولية اليوم، علم جديد للتواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت ط1-2003.

02- **أوزوالد ديكرو ، جان ماري سشايفر** : القاوس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي.

03- **جون لانجشو أوستين**: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق .1991 .

04- **دومينيك منقونو** : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة :محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى2005-2006.

05- **رولان بارت**: قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة، عمر أوكان، إفريقيا الشرق.

06- **ستيفن أولمان** : دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، دار غريب القاهرة، الطبعة الثانية عشر1997.

07- **فان دايك :** النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني.

08- **فرانسواز أرمينيكو** : المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي،1986

09- **فيليب بلانشيه**: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سورية، اللاذقية، الطبعة الثانية 2007.

3– باللغة الأجنبية:

01 **-Dominique Maigueneau**: Aborder la linguistique, Édition du Seuil collections Mémo, paris.

02 -**Jaque Moeschler - Anne Reboul**: Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique, Edition Seuil 1994.

03 -**Jean Dubois, Guspin Christiane Marcellsi, Jean Boiptiste Marcellesi, Jean Pierre Méve**, Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris 1973.

04 - **J.C.Anscombre et Ducrot**: l'argumentation dans la langue, philosophie et langage, troisième édition, MARDAGA,.

05 **-J. R. Searle**, les actes de langage (essai de philosophie du langage, collection savoir, lettre Herman, Paris, nouveau tirage,1996.

06-**le grand Robert**: Dictionnaire de la langue française T.1, Paris,1989

07-**Philipe Bretou**: L'argumentations dans la communication .Alger, casbah,1998.

08- Ruth Amossy : L'argumentation dans le discours, Discours politique, Littérature D'idées, Fiction, Nathan, Paris 2000.

4-المجـلات:

01-**أبو بكر العزاوي:** الحجاج في الشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، كلية الآداب بني هلال، العدد السابع، 1992.

02- **أبو بكر العزا وي**: الحجاج في اللغة، مجلة المنارة، الصفحة الثقافية، الثلاثاء 5ديسمبرhttp://www.almanarah.com

03-**أيوب المزين**:موسوعة ويكيبيديا في قسمها العربي.
WWW.Okham.net/frum/archive/index.php

04- **حفناوي بعلي**: التداولية...البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد17جانفي، .2006

05- **حميد سمير** : شعرية المثل عند المتنبي (البنية والوظيفة)، مجلة فكر ونقد ، العدد 35، البريد الإلكتروني: http://aljabriabed.com

06- **رحمان خرّكان** : مقومات عمود الشعر الأسلوبية ، إتحاد كتاب العرب دمشق 2004 البريد الإلكتروني email uncriy @net –s/aru @net / sy موقع على شبكة الانترنيت http://www.awu.dam.org

07-**الطاهر لوصيف** :التداولية اللسانية، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 17، جانفي 2006.

08- **فتيحة بوسنة :** انسجام الخطاب في مقامات جلال الدين السيوطي مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، دار الأمل، العدد الثاني ، ماي 2007.

09-**عز الدين الناجح**: العبقريّة الحجاجية في اللغة العربية من خ لال دراسة تداولية لسورة الإخلاص، مجلة المجمع الجزائري في اللغة العربية العدد السادس ، السنة الثالث ة، ذو الحجة 1428-ديسمبر .2007

10-**محمد سالم ولد محمد الأمين** : مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة فكر ونق د، الكويت، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثالث يناير، مارس2000.

11- **محمد العمري** : بلاغة الحوار ال مجال والحدود، مجلة فكر ونقد . http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net(n61-04 alumari.htm

12-**محمد الولي** : مفاهيم بلاغية "الكناية والشاهد والتشبيه والاستعارة وال‌تمثيل والأسطورة " ، مجلة علامات، المغرب، العدد17 ، 2004.

13-**مسعودي الحواس**:النصوص الحجاجية، مجلة اللغة والأدب ،دار الحكمة، جامعة الجزائر العدد، شعبان 1420 هـ/ ديسمبر 1999م.

14-**يمينة ثابتي**: الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، العدد الثاني، ماي.2007

15-الخطاب الإشهاري والقيمة الحجاجية?www.google.com/searchhi

5-بحوث أكاديمية (رسائل جامعية):

-عبد القادر بوعزة: عقدة الاستعلاء عند المتنبي من خلال شعره، إشراف محمد عبد الغني الشيخ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة وهران ،1986-1987.

*** فهرس الموضوعات:**

الموضوعات	الصفحة
مقـــدمة	أ
مدخل: مفاهيم حول التداولية والحجاج	
أولاً: مفهوم التداولية	01
1-الدرجات الثلاثة للتداولية	02
1-1. *تداولية الدرجة الأولى: دراسة الرموز الإشارية*	05
1-2 *تداولية الدرجة الثانية: المعنى الحرفي والمعنى التواصلي*.....	06
1-3 تداولية الدرجة الثالثة: نظرية الأفعال الكلامية	07
2- أبرز مصطلحات التداولية	08
*2-1 متضمنات القول:*Les implicites.....	08
2-2 الاستلزام الحواري:l'implication conversationnelle.....	08
2-3 الأفعال الكلامية:Les actes de langage.....	10
2-3-1 تصنيف أوستين"Austin للأفعال الكلامية	12
2-3-2 *تصنيف" سيرل"* Searle"*للأفعال الكلامية*.....	12
2-3-3 الأفعال الكلامية المباشرة والأفعال الكلامية غير المباشرة.....	15
ثانيا: في مفهوم الحجاج.....	18
1- الحجاج والبلاغة الجديدة.....	
2- الحجاج التداولي.....	**20**
3- مفهوم الرابط الحجاجي: Connecteur Argumentatif.....	23
	26
***الفصل الأول*: بنية الحجاج وتقنياته في شعر المتنبي**	30
أولاً - الحجـاج في الشـعر.....	
1- خصائص الخطاب الحجاجي.....	**33**
2- الحجاج والجدل.....	34
3- الشعر والخطابة.....	34
4- الشعر بين التخييل والإقناع.....	38
ثانيا : أساليب الإقناع في شعر المتنبي.....	41
1- الحجاج والمقام.....	44
1-1 في مقام المدح.....	
1-2 في مقام الغزل.....	52
1-3 في مقام الحكمة.....	53
1-4 في مقام الرثاء.....	53
1-5 في مقام الهجاء.....	
2- الأساليب البلاغية.....	56

1-2 الاستعارة.....	58
2-2 التشبيه.....	60
3-2 الكناية.....	61
4-2 الالتفـات.....	**63**
5-2 المقابلة والطباق.....	64
6-2 الجناس.....	65
3- الإيقاع.....	66
1-3 اسم التفضيل.....	67
2-3 اسم الفاعل.....	68
3-3 اسم المفعول.....	68
4-3 بنية التكرار.....	**68**
4- الأساليب الإنشائية.....	70
1-4 السؤال.....	70
2-4 الأمر والنهي.....	71
5- الأساليب المغالطية.....	71
ثالثا: تقنيات الحجاج في شعر المتنبي	**75**
1- الحجج شبه المنطقية.....	75
1-1 الحجج المنطقية التي تعتمد على البنى المنطقية.....	76
1-1-1 التناقض وعدم التناسب.....	**78**
2-1-1 التماثل والحد في الحجاج.....	**81**
3-1-1 الحجة القائمة على العلاقة التبادلية.....	**82**
2-1 الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية	82
1-2-1 حجة التعدية.....	82
2-2-1 تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له Argument de division.....	82
3-2-1 إدماج الجزء في الكل أو حجة الاشتمال L'argumentation par inclusion	83
4-2-1 الحجج القائمة على الاحتمال L'argumentation par le probable	84
2- الحجج المؤسسة على بنية الواقع.....	84
2-1- التتابع:الحجة السببية والحجة التداولية.....	85
2-2- الغائية: حجة التبذير، حجة الاتجاه، حجة التجاوز	
2-3- التعايش: حجة السلطة، حجة الشخص وأعماله.....	
3- الحجج المبنينة للواقع.....	85
3-1 الشاهد.....	
3-2 المثال.....	86
3-3 القدوة.....	**86**
3-4 المقارنة.....	87
3-5 التناسب.....	88
3-6 التمثيل	

***الفصل الثاني*: استراتيجية الإقناع اللغوية في شعر المتنبي**....	91
أولاً: المستوى الأفقي- العناصر اللغوية الحجاجية في شعر المتنبي.....	**93**
1- روابط الوصل وروابط الفصل.....	93
1-1 روابط الوصل.....	95
*-الواو.....	96
*-ثم.....	96
*-(إنّ-أنّ).....	96
1-2 روابط الفصل.....	96
*- أو.....	97
*- أم.....	**105**
2- ألفاظ التعليل.....	106
2-1 المفعول لأجله.....	109
*- اللام الجارة.....	110
*- اللام الناصبة.....	110
*- لام كي.....	111
*- كـي.....	111
*-الباء.....	112
*- في.....	112
*- كلمة "السبب".....	113
*- كلمة "دليل".....	**114**
*- كلمة "الشهادة".....	114
*- كلمة "حجة".....	116
*- لأنّ.....	118
2-2 الوصل السببي.....	119
2-3 التراكيب الشرطية.....	119
*-إنْ.....	119
*-إذا.....	121
*- لو.....	125
*-"إذْ.....	124
2-4 الاستفهام.....	126
*- الهمزة.....	127
*- هل.....	128
*- كيف.....	133
*- "أين".....	134
2-5- النفي.....	135
*-" لا".....	136
*-"ما".....	
*- "لم".....	

3-الحجاج بالتبادل.....	137
4-تحصيل الحاصل.....	137
ثانيا:- **المستوى العمودي: السلم الحجاجي في شعر المتنبي**.....	140
1- تعريف السلم الحجاجي: L'Echelle Argumentative.....	140
2- قوانين السلم الحجاجي.....	140
2-1 قانون الخفض: La Loi d'abaissement.....	141
2-2-قانون تبديل السلم:La Loi de Négation.....	142
2-3 قانون القلب: La Loi d'Inversion.....	142
3- وسائل السلم الحجاجي اللغوية.....	142
1-3- الروابط الحجاجية	143
3-1-1 لكن.....	**144**
3-1-2 بل.....	**144**
3-1-3 حتى.....	**144**
*- حتى الجارة.....	145
*-حتى العاطفة.....	152
*-حتى الناصبة.....	152
2-3- العوامل الحجاجية	152
3-2-1 الحصر بـ(ما إلا)-(لا إلا).....	152
3-2-2 الاستثناء بـ"إنما"	153
3-2-3 أسلوب التوكيد.....	153
-خاتـــمة........	153
- قائمة المصادر والمراجع	154
- فهرس الموضوعات	156
	157
	157
	158
	160
	161
	161
	162
	163
	165
	169
	178